

جامعة طنطا
كلية الآداب
قسم التاريخ

التاريخ السياسي لإمبراطورية طرابزون البيزنطية
منذ منتصف القرن الرابع عشر حتى سقوطها سنة ١٤٦١م

The Political History of the Byzantine Empire
of Trabizond From the Middle of The 14th
century till its fall in 1461 A , D.

رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الوسيط من قسم التاريخ
بكلية الآداب - جامعة طنطا

المعداد

هناك محمد إبراهيم بكات

أشرف

الأستاذ الدكتور

أسامة زكي زيس

استاذ تاريخ العصور الوسطى

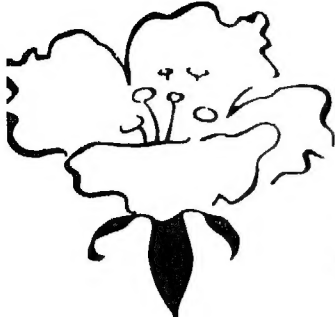
وكيل كلية الآداب لشئون تنمية البيئة

وقدمه المحترم بطاقتها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ
وَمَنْ رِبَاطَ الْخَيْلِ تَرَاهُمْ فِيهِ عَدُو اللَّهِ
وَعَدُوكُمْ وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ
لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ"

صَلَّى
الْعَظِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

أهدي ثمرة تعبى وجهدى الى
والدى ووالدتى وشقيقتى نجلاء
الذين سهروا معى الليالى وتعبوا
من أجلى فلهم جزيل الشكر
والتقدير والحب

م	محتويات الرسالة	رقم الصفحة
-	مقدمة الباحث.	١٠-١
-	دراسة نقدية لأهم مصادر البحث.	٢١-١١
-	تقعيد:	٤٤-٢٢
-	طرابيزون : موقعها ، تضاريسها ، أسماؤها المختلفة وتأسيس إمبراطورية بها .	
-	* الفصل الأول :	٨٢-٤٥
-	أحوال إمبراطورية طرابيزون قبيل الفتره موضوع البحث ١٣٠٠-١٣٤٩ م .	
-	علاقة طرابيزون بالأتراك .	
-	علاقة طرابيزون ببعض المدن الإيطالية " البندقية - جنوة" .	
-	علاقة طرابيزون بالقسطنطينية .	
-	طرابيزون والحروب الأهلية .	
-	* الفصل الثاني :	١١٧-٨٣
-	إمبراطورية طرابيزون فى عهد الإمبراطورية الكسيوس الثالث كومينيوس " ١٣٥٠ - ١٣٩٠ م" .	
-	اعتلاء الكسيوس الثالث عرش الإمبراطورية .	
-	الحروب الأهلية داخل إمبراطورية طرابيزون	
-	سياسه الكسيوس كومينيوس الدينيه .	
-	علاقة طرابيزون بالمدن الإيطالية التجارية " البندقية - جنوة"	
-	علاقة طرابيزون بالتركمان .	
-	علاقة طرابيزون بالإمبراطورية البيزنطية فى القسطنطينية.	

م	محتويات الرسالة	رقم الصفحة
-	* الفصل الثالث :	١١٨ - ١٥٤
-	السياسة الخارجية لإمبراطورية طرابيزون بين عامي "	
-	١٣٩٠ - ١٤٢٩ م .	
-	علاقة طرابيزون بالمغول .	
-	علاقة طرابيزون بالتركمان " القطيع الأسود " .	
-	علاقة طرابيزون ببعض مدن التجاره الإيطالية .	
-	علاقة طرابيزون بالقسطنطينية .	
-	* الفصل الرابع :	١٥٥ - ٢٠٢
-	" إمبراطورية طرابيزون فى عهد خلفاء الإمبراطور	
-	الكسيوس الرابع كومينيوس وحتى سقوطها " ١٤٢٩ -	
-	١٤٦١ م .	
-	النزاع بين آل كومينيوس وظروف اعتلاء حنا الرابع للعرش	
-	موقف حنا الرابع من مشروع الوحدة بين كنيسة	
-	القسطنطينية وروما .	
-	محاولة الأتراك العثمانيين الإستيلاء على طرابيزون عام	
-	١٤٤٢ م .	
-	جهود الإمبراطور داود لتكوين تحالف ضد الخطر العثماني	
-	سقوط إمبراطورية طرابيزون على أيدي الأتراك العثمانيين	
-	عام ١٤٦١ م .	٢٠٣ - ٢٠٦
-	* الخاتمة :	٢٠٧ - ٢٢٧
-	* ملاحق البحث :	
-	قائمة بأسماء أباطره طرابيزون .	
-	* الخرائط :	٢٢٨ - ٢٣١
-	* بيان بقائمة المصادر والمراجع الأجنبية والعربية	٢٣٢ - ٢٤٩

المقدمة

لقد شهد القرن الثالث عشر الميلادى تغييراً فى الأوضاع السياسيه بالنسبه للمجتمع البيزنطى فى الشرق . فكان بدايته سقوط القسطنطينة عاصمه الإمبراطورية البيزنطيه على أيدى اللاتين عام ١٢٠٤م وذلك بعد أن هيات لهذه الأوضاع السيئة فى الإمبراطورية بصفة عامة والصراع الدائم بين أباطرتها طمعاً فى الوصول إلى العرش الإمبراطورى بصفة خاصة . الأمر الذى ترتب عليه اندفاع اللاتين صوب القسطنطينة بعد انحراف خط سير الحملة الصليبيه الرابعة من مصر إليها، وهذه الفرصه التى طالما حلم بها الغرب الأوروبى كثيراً ها قد تحققت لهم دون عناء وكانت الكنيسه الغربيه تمثل باعثاً حقيقياً وراء تلك الحملة ولرغبتها فى إسقاط الكنيسه الشرقيه المنافسه لها . هذا إلى جانب تشجيع المدن التجاريه الإيطاليه للخروج على رأس هذه الحملة وفى مقدمتها البندقية . وقد ترتب على سيطرة اللاتين على القسطنطينة ، أن أعلنوا قيام المملكه اللاتينيه على أنقاض الإمبراطورية البيزنطيه وجعلوا من القسطنطينة عاصمه لهم . وعملوا على صبغ العالم اليونانى بالطابع الغربى وتبديل فكر وحياه اليونانيين وفرض النظام الإقطاعى عليهم ونشر المذهب الكاثوليكى على حساب المذهب الأرثوذكس، إلا أن هذه المحاوله أصيبت بالفشل . وإمعاناً فى توطيد نفوذ اللاتين قاموا بتقسيم الممتلكات البيزنطيه فيما بين قادة الحملة الذين سعوا فى الانتشار على الأراضى التى حصلوا عليها لتأسيس إقطاعيات جديده فظهر منها فى اليونان ، سالونيك وطيبه وآخيا وآيثنا ، لكى سرعان ما استيقظ البيزنطيون من غفلتهم عندما أدركوا زوال مجدهم . الأمر الذى دفعهم إلى نفذ غبار الهزيمة وإعلان التحدى والعمل على

استرداد العاصمة التي اغتصبها اللاتين وإحيائها مرة ثانية . وقد أدت كل هذه الظروف إلى نزوح فئة مختلفة من الأرستقراطيين ورجال الدين بعيداً عن القسطنطينية محاولين تأسيس مراكز يونانية تعد مناطق مقاومة ضد التواجد اللاتيني في القسطنطينية . فظهرت ثلاث دول يونانية قدر لها أن تلعب دوراً هاماً في التاريخ الوسيط بعد عام ١٢٠٤م . وأولى تلك المراكز ، طرابيزون التي تقع على الساحل الجنوبي الشرقي للبحر الأسود ، والثانية نيقية في آسيا الصغرى ، والأخيرة أبيروس في غرب البلقان .

وإذا كان تأسيس كل من أبيروس ونيقية بهدف الرد على الاحتلال اللاتيني للقسطنطينية، ومحاولة لاستعادة النفوذ البيزنطي مرة أخرى فيها ، إلا أن الأمر قد اختلف بالنسبة لإمبراطورية طرابيزون فكان تأسيسها استكمالاً لحكم أسره آل كومينيوس التي كانت تحكم بيزنطة في الفترة ما بين " ١٠٨١ - ١١٨٥م " حتى قهرت على أيدي اسحاق أنجيلوس ومن ثم قام تأسيسها على عاتق أحفاد الإمبراطور اندرونيقوس كومينيوس وبتأييد ثامارا ملكة جورجيا فيرجع إليها الفضل أولاً وأخيراً في ظهور هذه الإمبراطورية إلى حيز الوجود . ومن هنا يتضح أن تأسيس إمبراطورية طرابيزون قد تزامن مع مجيء الحملة الصليبية الرابعة وليست الحملة سبباً مباشراً في تأسيسها . وما يؤكد ذلك ، أن الوثيقة التي قسم فيها اللاتين ممتلكات بيزنطة فيما بينهم ، لم يكن هناك أى ذكر في معاهدة التقسيم The Partitio Romaniae إلى طرابيزون، التي كانت بالفعل قد استولى عليها الكسيوس كومينيوس وأخيه داود . ويرجع ذلك إلي أن الكومينيوس تم استيلائهم على المقاطعة قبل وضع تلك

المعاهدة . فاعتبرها اللاتين خارج نطاق الممتلكات البيزنطية .

كيفما كان الأمر . سعت كلاً من طرابيزون وباقي الكيانات البيزنطية لاستعادة أمجاد عاصمتهم المغتصبة. وقد عابهم جميعاً التفكك وعدم الاتحاد والتعاون سويّاً للمشاركة في القضاء على مملكة اللاتين . حيث انصرفوا إلى الصراع فيما بينهم للزعامة على العالم البيزنطى فى المنفى مما أدى إلى استنزاف الكثير من قواهم ومواردهم . الأمر الذى ترتب عليه بقاء مملكة اللاتين لما يزيد على خمسة عقود من الزمان وسرعان ما خرجت طرابيزون من دائره التنافس على تحقيق الحلم بسبب صراعاها مع نيقية التى تحقق الحلم البيزنطى على يديها عام ١٢٦١ م . وقد تناول الباحث فى هذه الدراسة موضوعاً يحمل عنوان " التاريخ السياسى لإمبراطورية طرابيزون البيزنطية منذ منتصف القرن الرابع عشر الميلادى حتى سقوطها عام ١٤٦١م". حيث كان لقيام الإمبراطورية على يد الكسيوس كومينيوس وأخيه داود عام ١٢٠٤م أثر هام على الأحداث وطبيعة العلاقات بين الكيانات السياسية التى ظهرت فى منطقة آسيا الصغرى وذلك خلال قرنين ونصف من الزمان فى ظل غياب القوى الأساسية وهى الإمبراطورية البيزنطية، وعلى الرغم من أهمية الدور الذى لعبته إمبراطورية طرابيزون على مسرح الأحداث خلال تلك الحقبة الزمنية من التاريخ البيزنطى ، كانت مركز يونانى حافظ على هيلينيته ولغته وعاداته وتقاليده خلال تلك الفترة .

وجدير بالذكر لم تنل إمبراطورية طرابيزون حظها من الدراسات التاريخية سواء من المؤرخين البيزنطيين المعاصرين أم المتأخرين زمنياً عن أحداث الفترة

موضوع البحث. وكذلك الحال بالنسبة للمهتمين بالدراسات البيزنطية من المؤرخين المحدثين فى الوقت الحالى^(١).

ومن هذا المنطلق قرر الباحث أن يخوض فى تفاصيل الموضوع لعله يسد فجوه هامه فى تاريخ الدولة البيزنطية من جانب والمكتبة العربية من جانب آخر، لأن كل ماكتب عن تاريخ طرابيزون خلال هذه الفترة الزمنية لم يكن أكثر من نتف وشذرات لاتشفى غليل الباحث المنطلق للوصول إلى الحقيقة التاريخية خاصة وقد ظهرت العديد من الوثائق والدراسات الحديثة مما يلقي الضوء على أحداث مرت على الإمبراطورية لم تكن معروفة من قبل . ولما كانت المصادر البيزنطية مقلة فى الكتابات حول الإمبراطورية ودورها . فإن الباحث تنقل بين المصادر البيزنطية وبعض الأعمال التى تركها المؤرخون والتى نشرت فى بعض الدوريات .

وقد قسم الباحث موضوع البحث إلى تمهيد وأربعة فصول تسبقها المقدمة ودراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع التى استعان بها الباحث لجمع المادة العلمية وأنهى بحثه بخاتمة تضمنت أهم النتائج والإستنتاجات التى أمكن التوصل إليها ثم ذيل البحث بمجموعه من الملاحق، لم تنشر من قبل ولم تترجم لإحدى اللغات الحديثة . وأخيراً خصص الباحث عدة صفحات تضمنت قائمة المصادر والمراجع . وكان التقسيم المنهجى لفصول الرسالة تقسيماً زمنياً وموضوعياً .

(١) بإستثناء وليم ميلر فى مؤلفه Trebizond , The Last Greek Empire فقد تناول المؤرخين إمبراطورية طرابيزون خلال كتاباتهم عن تاريخ الدولة البيزنطية ينوع من الإيجاز ومن هؤلاء أستروجورسكى فى كتابه History of the Byzantine State ، نيقول فى كتابه The byzantine Family of Kantakouzenos ، فازيليف فى كتابه Histoire de L' Empire Byzantin .

وفى الوقت ذاته راعى الباحث فيه التسلسل الزمنى للأحداث والوقائع.

وقد خصص الباحث للتمهيد عنواناً هو " طرابيزون: موقعها ، تضاريسها ، أسماؤها المختلفة وتأسيس إمبراطورية بها ". تضمنت الحديث عن الموقع الجغرافى والفلكى لطرابيزون وتضاريسها ومناخها، والمسميات العديدة التى أطلقت عليها. وأيضاً تناول الباحث بإيجاز تاريخ طرابيزون قبل أن تصبح إمبراطورية ووضح مدى اهتمام أباطرة بيزنطة بتلك المقاطعة .

وقد أفرد الباحث بضع صفحات تتناول تأسيس إمبراطورية طرابيزون ، والأخطار التى واجهتها منذ نشأتها وحتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادى ، تلك الأخطار التى ترتب عليها فشل آل كومينيوس فى تحقيق هدفهم فى استعادة تواجدهم مرة أخرى بالقسطنطينية بعد أن سحقهم اسحاق انجيلوس فى ثورته عام ١١٨٥م، إلا أن المصادر المعاصرة مثل نيكيتاس خونياثس Niketas Choniates والمتأخرة مثل نففورجريجورى Nicephori Gregorae قد ساعدت الباحث بذكر إشارات عن إمبراطورية طرابيزون خلال تلك الفترة.

أما الفصل الأول فجاء تحت عنوان " أحوال إمبراطورية طرابيزون قبيل الفترة موضوع البحث " ١٣٠٠ - ١٣٤٩م" ويشمل الحديث عن أحوال إمبراطورية طرابيزون من عدة إتجاهات أولها السياسية والتى تمثلت فى علاقة طرابيزون بالأتراك والقسطنطينية ، ثم إقتصادياً مع بعض مدن التجارة الإيطالية مثل جنوه والبندقية، وإجتماعياً حيث تناول الباحث الحروب الأهلية التى بدأت تنخر فى كيان الإمبراطورية . ولقد سلط الباحث الضوء على مدى

تأثير تلك الحروب على نظام الحكم بالإمبراطورية، وانقسام الشعب الطرابيزونى بين مؤيد ومعارض لنظام الحكم .

أما الفصل الثانى وعنوانه " إمبراطورية طرابيزون فى عهد الإمبراطور الكسيوس الثالث كومينيوس " ١٣٥٠ - ١٣٩٠م فقد أوضح الباحث اعتلاء الإمبراطور الكسيوس الثالث لعرش طرابيزون والجهود التى بذلها للقضاء على الحروب الأهلية التى مرت بها الإمبراطورية خلال السنوات الأولى من حكمه. وقد ساعده على ذلك سياسته الدينية والتقرب إلى رجال الدين حتى يكسب عطف وتأييد رعاياه اليونانيين ، أيضا أقدم الإمبراطور على بناء الأديرة والكنائس ومنحها الهبات رغبة منه فى تحقيق نفس الهدف، ثم تناول الباحث علاقة الإمبراطور الكسيوس بالمدن الإيطالية ومحاولته تحسين علاقة إمبراطوريته معهم وذلك بعقد المعاهدات التجارية لتوفير الأموال اللازمة لتصد الأخطار التى تتعرض لها البلاد والتى تمثلت أيضاً فى خطر التركمان، الذى يعد من أشد الأخطار إزعاجاً للإمبراطورية . ولقد تعرض الباحث لمحاولة الإمبراطور الكسيوس الثالث كومينيوس فى اللجوء إلى المصاهرات الزيجية بعد فشله فى الحروب ضد التركمان ليحقق من خلالها ما لم يحققه الحروب . ورغم تلك الظروف التى مرت بالإمبراطورية فقد حافظ الإمبراطور على التمسك بعلاقته مع القسطنطينية والتى شهدت مرحلتين إحداها عدائية ، وذلك بمناصرة الإمبراطور الكسيوس الثالث ، للإمبراطور حنا السادس كانتا كوزينوس المغتصب لعرش بيزنطة . أما الثانية: كانت يسودها الود بعد هزيمة حنا كانتاكوزينوس. ولقد حرص الإمبراطور الكسيوس على إقامة علاقات ودية

مع الإمبراطور الشرعى حنا الخامس باليولوجوس ووثقها بزواج ابنته ايدوديكيلا لإمبراطور بيزنطة .

أما الفصل الثالث وعنوانه " السياسة الخارجية لإمبراطورية طرابيزون بين عامى ١٣٩٠ - ١٤٢٩م " فقد تناول الباحث من خلاله اثنين من أباطرة آل كومينيوس وهما مانويل الثالث والكسيوس الرابع كومينيوس. وقد تزامن حكمهما مع ظهور الأتراك العثمانيين على مسرح الأحداث ، تلك القوة التى أصبحت خطراً يهدد الإمبراطورية فى طرابيزون وخاصة بعد توسعاتها على حساب جيران الإمبراطورية، ثم ظهور المغول وهو يعد أشد خطر من الأتراك آنذاك، وسرعان ما دار النزاع بين القوتين انتهى بهزيمة الأتراك العثمانيين . كما وقعت طرابيزون تحت سيطره المغول ، والتى أجبرتها على الاشتراك فى موقعة أنقره عام ١٤٠٢ م والتى ترتب عليها تدمير القوة العثمانية . وبعد تلك الموقعة بثلاث سنوات توفى تيمورلانك وتناول الباحث خضوع طرابيزون لقوى أخرى تمثلت فى التركمان من القطيع الأسود ليحل محل المغول فى الحد الشرقى للإمبراطورية لكن سرعان ماتخلصت طرابيزون من ضغط التركمان بعد وفاة زعيمهم كارايوسف . كما تحدث الباحث أيضاً عن العلاقة بين طرابيزون والمدن الإيطالية التجارية والتى اتسمت بالشد والجذب فى أغلب الأحيان . وكذلك أوضح علاقة الإمبراطورية الطرابيزونية بالقسطنطينية خلال تلك الحقبة والتى تمثلت فقط فى رفض الأخيرة من استخدام السيمونية فى طرابيزون .

وجدير بالذكر، لم تحاول القسطنطينية خلال تلك الفترة الزمنية أن تمارس

أى ضغوط على طرابيزون بسبب تعرضها لنفس الأخطار التى هددت طرابيزون ممثلة فى الأتراك العثمانيين والمغول .

أما الفصل الرابع والأخير وعنوانه " إمبراطورية طرابيزون فى عهد خلفاء الإمبراطور الكسيوس الرابع وحتى سقوطها (١٤٢٩ - ١٤٦١ م) فقد تناول الباحث أحوال إمبراطورية طرابيزون فى عهد اثنين من أباطرتها هما ، حنا الرابع، داود كومينيوس . وشهدت تلك الفترة محاولة الأتراك الفاشلة فى الاستيلاء على طرابيزون بعد أن نجحوا فى إعادة إمبراطوريتهم. ولقد أوضح الباحث علاقة طرابيزون بالبنادقة والجنوبة وتأثير ذلك على أحوال الإمبراطورية. وتناول العلاقة بين أباطرة طرابيزون والكنيسة من خلال الرسائل التى تبادلت بين الإمبراطور حنا الرابع كومينيوس والبابا إيجينيوس الرابع والتى أسفرت فى النهاية على عقد مجمع فلورنسا الكنسى عام ١٤٣٩م ولقد شجعت القسطنطينية هذا الأمر رغبة منها فى الاتحاد مع الغرب لكى تنقذها من السقوط فى أيدي الأتراك العثمانيين.

وجدير بالذكر، إن اتحاد الكنائس الشرقية والغربية والذي تم بهذا المجمع كان من الناحية الإسمية فقط، بينما من الناحية الفعلية لم يعترف به الشرق . وسرعان ما سقطت القسطنطينية عام ١٤٥٣م، فى أيدي العثمانيين، الذين أخضعوا طرابيزون بعد ذلك إلى الجزية وعندما حاولت التباطوء فى دفع ما عليها من جزية، أرسل إليها السلطان محمد الثانى حملة أجبرت طرابيزون على دفع الجزية . وعندما شعر أباطره طرابيزون بالخطر لجأء إلى تكوين تحالف

ضد الخطر العثماني ، وعاودوا الاتصال بالبابوية لحمايتها من الخطر المرتقب ، كما دخلت طرابيزون فى علاقة مصاهرات زيجية مع أقوى أمير تركمانى يدعى أوزون حسن ولكن هذا التحالف لم يؤخر من النتيجة الحتمية لمصير الإمبراطورية ، حيث تمكن السلطان محمد الثانى من محاربة هذا الحليف القوى واستطاع هزيمته بل وأجبره على التزام الحياد فى حرب السلطان المقبلة مع طرابيزون . وبالفعل تقدم السلطان عام ١٤٦١م ، وحاصر طرابيزون براً وبحراً حتى سقطت فى أيديهم ، واضطر الإمبراطور داود آخر أباطرة طرابيزون من آل كومينيوس ، إلى تسليم مفاتيح العاصمة إلى العثمانيين. وعندئذ أصدر السلطان محمد الثانى أوامره بنقل آل كومينيوس إلى القسطنطينية ثم منحهم مقاطعة بالجبل الأسود ، تدر عليهم إيراداً يكفى معيشتهم ، وفى تلك الأثناء تنبه السلطان إلى مؤامرة تدبر لإعادة آل كومينيوس إلي حكم طرابيزون مرة أخرى ، فأمر بإعدامهم جميعاً وبذلك أسدل الستار على إمبراطورية طرابيزون.

وختاماً ، فإنه إذا كان هذا الموضوع قد جاز له أن يخرج إلى حيز النور ، فيرى الباحث أنه ما كان يتم إلا بمأنا له من مساعدات وتوجيهات حصلت عليها من كل من عاوننى فى إتمام هذا الموضوع . وأخص بالذكر أستاذى ، الأستاذ الدكتور / أسامة زكى زيد الذى لم يبخل على بوقته وجهده وعلمه وكتبه ، إلى جانب مساعداته وتوجيهاته الفعاله لى خلال فترة إشراف سيادته التى ساعدت على جلاء كثير من نقاط البحث التى شابها الغموض . كذلك أتقدم بخالص شكرى إلى الأستاذ الدكتور / محمد محمد مرسى الشيخ أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة الاسكندرية لتفضله بالاشتراك فى الحكم على

ضد الخطر العثماني ، وعاودوا الاتصال بالبابوية لحمايتها من الخطر المرتقب ، كما دخلت طرابيزون في علاقة مصاهرات زيجية مع أقوى أمير تركماني يدعى أوزون حسن ولكن هذا التحالف لم يؤخر من النتيجة الحتمية لمصير الإمبراطورية ، حيث تمكن السلطان محمد الثاني من محاربة هذا الخليف القوى واستطاع هزيمته بل وأجبره على التزام الحياد في حرب السلطان المقبلة مع طرابيزون . وبالفعل تقدم السلطان عام ١٤٦١م ، وحاصر طرابيزون براً وبحراً حتى سقطت في أيديهم ، واضطر الإمبراطور داود آخر أباطرة طرابيزون من آل كومينيوس ، إلى تسليم مفاتيح العاصمة إلى العثمانيين . وعندئذ أصدر السلطان محمد الثاني أوامره بنقل آل كومينيوس إلى القسطنطينية ثم منحهم مقاطعة بالجبل الأسود ، تدر عليهم إيراداً يكفى معيشتهم ، وفي تلك الأثناء تنبه السلطان إلى مؤامرة تدبر لإعادة آل كومينيوس إلى حكم طرابيزون مرة أخرى ، فأمر بإعدامهم جميعاً وبذلك أسدل الستار على إمبراطورية طرابيزون .

وختاماً ، فإنه إذا كان هذا الموضوع قد جاز له أن يخرج إلى حيز النور ، فيرى الباحث أنه ما كان يتم إلا بمأنا له من مساعدات وتوجيهات حصلت عليها من كل من عاونني في إتمام هذا الموضوع . وأخص بالذكر أستاذي ، الأستاذ الدكتور / أسامة زكي زيد الذي لم يبخل على بوقته وجهده وعلمه وكتبه ، إلى جانب مساعداته وتوجيهاته الفعالة لي خلال فترة إشراف سيادته التي ساعدت على جلاء كثير من نقاط البحث التي شابها الغموض . كذلك أتقدم بخالص شكرى إلى الأستاذ الدكتور / محمد محمد مرسى الشيخ أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة الاسكندرية لتفضله بالاشتراك في الحكم على

دراسة نقدية
لأهم المصادر والمراجع

يتعلق موضوع البحث بفترة زمنية هامة فى التاريخ البيزنطى تقع بين عامى ١٣٥٠ - ١٤٦١ م ، وقد شملت تلك الفترة أحداثاً جسمية شهدتها إمبراطورية طرابيزون ككيان سياسى وذلك حتى سقوطها على أيدي الأتراك العثمانيين. ونظراً لتعدد الأطراف التى تلاقت على مسرح الأحداث مثل البيزنطيين والأتراك والتركمان والبنادقة والجنوية وغيرهم فكان لزاماً على الباحث أن ينقب عن الأحداث فى مصادرها الأصلية سواء التى كتبت بلغتها الأصلية أو ما ترجم منها بلغات حديثة . ولكن تأتى صعوبة الأمر فى عدم وجود كتابات تاريخية معاصرة بأيدي مورخين يقدموا بطرابيزون نفسها ويؤرخون لها ويعبرون عن وجهة نظرهم تجاه الأوضاع الداخلية أو الخارجية لإمبراطوريتهم، بإستثناء كتاب المؤرخ ميخائيل بناريتوس بعنوان حولية عن تاريخ أباطرة طرابيزون^(١) والتى انتهت من سرد أحداثها عام ١٣٩٠ م ،

(١) ميخائيل بناريتوس Micheal Panaretos، المؤرخ لأسرة كومينيوس فى طرابيزون . ولد فى بنطس عام ١٣٢٠ م ، وتوفى عام ١٣٩٠ م ، وقد قضى حياته فى خدمة الإمبراطور الكسيوس الثالث كومينيوس . وحصل على العديد من الألقاب فى الإمبراطورية ، كما شارك فى العديد من الحملات العسكرية مع الإمبراطور الكسيوس الثالث. ويعتبر المؤرخ بناريتوس المصدر الروائى والوحيد لتاريخ إمبراطورية طرابيزون وقد قام بتغطية تلك الفترة حتى عام ١٣٩٠ م . وكان شاهد عيان لأحداث تلك الفترة ، حيث تناول الأحداث الخاصة التى تتعلق بالحياه الوظيفية وحفلات الزواج و الجنازات والحملات الحربية . واتبع ميخائيل بناريتوس أسلوب الحوليات فى سرد أخباره مع الاهتمام بتسلسلها . وقد كتب مؤلفه بطريقة بسيطة قريبة من اللغة العامية ، ولكن يؤخذ عليه تجنب الروابط الشخصية عند سرد الأحداث الخاصة بالإمبراطورية، بالإضافة إلى ذلك نجد الحقائق التى تزودنا بالمعلومات عن طريق بناريتوس ، وهو المصدر الوحيد ، وقد ثبت أنه من الصعب الاعتماد عليه . وقد استطاع الباحث إستقاء بعض الاحداث الهامة من ترجمة بعض المؤرخين الحاديين للكتاب بناريتوس ومن بينهم ليبيو فى كتاب بعنوان Histoire du Bas Empire ، وأيضاً بريير فى مقالاته بعنوان Greeks and Turkmens .

O.D.B. vol : III , PP. 1569 - 1570 .

وللأسف لم يتمكن الباحث من الوصول إليه ، وعليه فكان لزاماً على الباحث أن يتلقى أغلب معلوماته من المصادر البيزنطية لعدد من المؤرخين الذين عاصروا تلك الفترة وسطروا لأحداثهم فى القسطنطينية . وبالتالي فإن الأحداث سوف تكتب من وجهة نظرهم الشخصية والتي ستتناول أحداث طرابيزون بإيجاز إذا ما قورنت بما سوف يسردونه من أحداث عن الإمبراطورية البيزنطية. وقد قام الباحث بالتنقيب عن عدد من المصادر الأصلية التى لاغنى عنها عند التصدى لأحداث هذه الفترة الزمنية ، ومن تلك المصادر ما هو معاصر أو متأخر زمنياً عن الفترة موضوع البحث. وسوف أقصر الحديث عن المصادر التى تمكن الباحث من التوصل إليها والتي لها أهمية خاصة وعلاقة مباشرة بموضوع البحث .

ويأتى فى مقدمه هذه المصادر وفقاً للتسلسل الزمنى كتاب المؤرخ البيزنطى نقفور جريجورى بعنوان Byzantina Historia أى التاريخ البيزنطى ^(١) وترجع أهمية هذا المصدر إلى أنه كان معاصراً لبداية أحداث

(١) Nicephori Gregorae, Byzantina Historia, in, Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae, Bonnae, 1829- 30 .

- ولد نقفور جريجورى فى بونتك Pontik بهرقلية عام ١٢٩٠ تقريباً. وقد تتلمذ وهو صغير على يد عمه " حنا " رئيس أساقفة هرقلية وعندما بلغ سن الخامسة عشر انتقل للقسطنطينية حيث درس علم المنطق والبلاغة على يد حنا الثالث جليكى John III Glykys الذى تولى كرسى البطريركية فيما بعد من عام ١٣١٠ - ١٣١٩م وتعلم الفلك والفلسفة على يد ثيودور ميثلوفيتس Theodore Metochites. وقد ساند أندرونيقوس الثانى " ١٢٨٢ - ١٣٢٨م " فى الحروب الأهلية ما بين عامى ١٣٢١-١٣٢٨ ولكنه وجد الخطورة فيما بعد عندما تولى أندرونيقوس الثالث حكم بيزنطة " =

الفترة موضوع البحث. وقد انفرد المؤرخ دون غيره من المؤرخين بالحديث باستفاضة عن الحروب الأهلية داخل إمبراطورية طرابيزون ، والتي استمرت زمناً طويلاً أُلْتهِمَت خلالها إيرادات الإمبراطورية ، بالإضافة إلى الصراعات الدائمة بين أفراد أسرة آل كومينيوس للمطالبة بأحقيتهم فى حكم البلاد والتي اقتضت تدخل القسطنطينية من حين لآخر^(١) .

إلى جانب ذلك فقد انفرد أيضا دون غيره بذكر الاتحاد الذى أسسه التركمان ، والذي يعرف باسم الكيبنى، بهدف شن هجمات على طرابيزون والمناطق المجاورة لها. ولقد نجح هذا الاتحاد فى الاستيلاء على بعض ممتلكات الإمبراطورية الطرابيزونية ولولا بسالة سكان الجبال المحيطة بالعاصمة طرابيزون فى صد هجماتهم المتكررة لسقطت فى أيديهم^(٢). كما انفرد أيضا بالحديث عن أحداث تولى الإمبراطور الكسيوس الثالث كومينيوس على العرش فى طرابيزون^(٣).

= "١٣٢٨ - ١٣٤١م" وتعرض للإدانة خلال مجمع دينى عقد بالقسطنطينية عام ١٣٥١م ، وإلى جانب كتاباته التاريخية . قد كانت له أعمال فى مجالات أخرى حيث كتب مؤلفات فى الفلك ومحاورات ومجالات مع Barlaam of Calabria وتعد أعماله التاريخية ذات أهمية للأحداث فى القرن الرابع عشر الميلادى . وقد توفى بالقسطنطينية حوالى عام ١٣٦١م. ويقال إنه ألقى بمجموعة أعماله فى شوارع القسطنطينية بعد وفاته أنظر :

Ioannes Bovinus, Nicephori Gregorae Vita, Opera, Eloeia, in Patrologiae Graecae, Belgium, 1866, vol. 148- 149, PP. 19- 25; CF also, O.D.B . vol : II, PP. 874- 875.

(١) الفصل الأول ، ص ٥٨ ، ٦١ ، ٦٨ - ٦٩ .

(٢) الفصل الأول ، ص ٧٩ .

(٣) الفصل الأول ، ص ٨٤ .

إلا أننا نأخذ عليه النظرة العدائية الخارجة عن الحياد كمؤرخ عندما أفاض فى إظهار روح الفوضى والاضطرابات التى عمت طرابيزون قبيل تولى الإمبراطور الكسيوس الثالث وتوقفه عن سرد أخبار الإمبراطورية الطرابيزونية التى عاصرها بعد ذلك وإغفاله ذكر الجهود التى بذلها الإمبراطور للقضاء على الفوضى والتى من شأنها تغيير تلك الصورة عن المجتمع الطرابيزونى . وربما يرجع ذلك إلى رغبة المؤرخ فى إظهار أمر الحروب الأهلية بأنها ليست فى بيزنطة فقط وإنما فى طرابيزون مما لا يؤثر بذلك على صورة وهيبة الإمبراطورية البيزنطية أمام العالم المسيحى .

ومن المصادر البيزنطية الهامة التى اعتمد عليها الباحث مؤلف للمؤرخ البيزنطى ميخائيل دوقاى بعنوان Historia Byzantina^(١) أى التاريخ

(١) Michaeli, Ducae: Historia Byzantina, C. S.H.B.; Bannae, 1834.

- ولد دوكاس عام ١٤٠٠ م ، ولم يذكر شئ عن معموديته أو تاريخ ومكان مولده. ويذكر أن جده كان له دور فى مساعدة حنا السادس كانتا كوزينوس على الهرب من القسطنطينية عام ١٣٤٥م، والذى التجأ الى أفس Ephesus مع الأمير التركى فى ايدين Aydin . ولقد ذكر اسم ميخائيل دوكاس أول مرة فى عام ١٤٢١م، يعيش بالقرب من فوقاس الجديدة Neo Phokaia . وخدم بودستات الجنوى ويدعى أدورنو Adorno ، حيث عمل كمساعد له. وفيما بعد ذلك انتقل فى خدمة أسرة جاتيلوزيو، التى تحكم لسبوس. وقد ذهب فى عدة سفريات كمبعوث إلى السلطان العثمانى حيث زار كلاً من أدرينابول، وفيلادلفيا، Didymoteichon وأسطنبول . ولقد بدأ دوقاى تسجيل كتابة التاريخ ابتداء من عام ١٣٤١م وتوقف فجأة عام ١٤٦٢ م . أثناء حصار العثمانيين لجزيرة مالطة . وكان دورقاي شاهد عيان لأحداث عديدة ومن الملاحظ أن وصفه لتلك الأحداث تتسم بالمحابة للأتراك ولكن يمكن الإعتماد عليها . ولقد تحدث دوقاى لغات عديدة منها الإيطالية =

البيزنطى وقد أنفرد المؤلف بذكر العلاقة التى ربطت بين الامبراطور الطرابيزونى الكسيوس الثالث وبين التركمان من قبيلة القطيع الأبيض وأيضاً الجورجين^(١) .
 علماً بأنه لم يكن معاصراً لذلك الحدث إلا أنه أورد ذكره فى الوقت الذى تجاهله العديد من المؤرخين المعاصرين لتلك الأحداث. ولعله قد نقل هذه المعلومة من مصدر مفقود لم يقع تحت أيدى الباحث .

كما انفرد دوقاى بذكر موقف مدن التجارة الإيطالية " جنوة والبندقية" من حصار القسطنطينية، حيث التزمت الأولى بالصمت حيال هذا الموقف بينما نجد البنادقة قد انضموا إلى جانب السلطان محمد الثانى ورفضوا السماح للسفن القادمة من طرابيزون بالمرور إلى القسطنطينية لتقديم النجدة^(٢) .

وإلى جانب ذلك فقد انفرد دوقاى بذكر عددا من الأحداث دون غيره، ومنها على سبيل المثال ، أمر السفارة التى أرسلها أوزون حسن زعيم القطيع الأبيض إلى السلطان محمد الثانى يأمره من خلالها بدفع الجزية التى كان يدفعها جده السلطان محمد الأول إلى جد أوزون ، ويدعى كارايولوك وذلك لمدة ستين عاما ونصف عام مضت وأوضحت تلك السفارة ما كانت تشتمل عليه

= والتركية كما أقترب من مصادر المعلومات بالنسبة للجنوبيين والعثمانيين وشاهد انتصارات الأخيرة ومعاقبة الله لخطايا البيزنطيين وذلك بقهرهم. وكان دوقاى رجل ولعاً بالأمور الدينية حيث أبد سياسة الاتحاد بين روما والشرق ولمزيد من التفاصيل أنظر :

O.D.B. vol : I, PP. 656- 657.

(١) الفصل الثانى ، ص ١٠٠ ، ١٠٦-١٠٧ .

(٢) الفصل الرابع ، ص ١٨٥- ١٨٦ .

الجزية وأظهر رد السلطان عليها بأنه سوف يحضر إليهم ما يطلبونه^(١)، وأيضاً انفرد بذكر الحملة التي أرسلتها البابوية عام ١٤٥٧ م لإنقاذ جزر اليونان من الخطر العثماني والتصدي له^(٢).

إلا أنه قد تجاهل تماماً الكثير من الأحداث التي تتعلق بالشئون الداخلية للإمبراطورية وأهمها الصراع الدائر بين أفراد أسرة آل كومينيوس على العرش والتي وصلت إلى حد الاغتيال، كما أهمل أمر المحاولات التي قام بها الأتراك للاستيلاء على طرابزون عام ١٤٤٢ م.

ومن المصادر البيزنطية المعاصرة التي اعتمد عليها الباحث مؤلف للمؤرخ البيزنطي جريجورس فرانتس بعنوان Annales^(٣) وترجع أهمية حوليات

(١) الفصل الرابع ، ص ١٩٠-١٩٣.

(٢) الفصل الرابع ، ص ١٩٠.

(٣) Georgius Phrantzes, Annales, in ,C.S.H.B, Bonnae, 1838.

- جريجورس فرانتس ، ولد في القسطنطينية عام ١٤٠١ م . من نسب شريف على صلة قرابة بالإمبراطور البيزنطي ، توفي والديه بمرض الطاعون عام ١٤١٧ م . كان من حجاب الإمبراطور مانويل باليولوجوس ومن أمناء أسرارته ، وبعد مانويل وولديه يوحنا وكنسطنطين من أقرب أصدقائه . وقد كتب فرانتس رسالات من أجل آل باليولوجوس وفي عام ١٤٢٩ م دافع عن قنسطنطين بجسده وتحمل الأسر بدلاً منه . وفي عام ١٤٣٢ م تقلد مركز رئيس الحجاب . وفي عام ١٤٤٦ م تولى أمر ولاية أسبرطه . ونجده في عهد قنسطنطين الذي خلف حنا الثامن على عرش بيزنطة، قد تقلد منصب أعلى . وفي عام ١٤٥٣ م وقع فرانتس في الأسر مع جميع ذويه في أيدي الأتراك وبيع ثم أعتق . وبعد أن احتل الأتراك البيلونيز، لجأ إلى إيطاليا وترهب هناك وبدل اسمه من جريجورس إلى غريغورس . وبناء على طلب أهالي كوكير بعد أن ترهب كتب حوليات في الشئون البيزنطية في أربعة كتب =

فرانتس لكونه معاصراً للأحداث إلى جانب أنه كان قريباً بإعتباره رذيس الحجاب للبلاط البيزنطى فى القسطنطينية . ولقد أنفرد مؤرخنا دون عن غيره من المؤرخين المعاصرين للأحداث، وذلك بذكر أمر خضوع إمبراطورية طرابيزون لسيطرة التركمانن القطيع الأسود والتي أستمريت فتره قليلة ، نحو ثلاث سنوات وقد واكب ذلك عهد الإمبراطور الكسيوس الرابع كومينيوس فضلاً عن الإشارة إلى علاقة مصاهرة بين طرابيزون والقطيع الأسود ^(١). كما أنفرد أيضاً بذكر محاولة السلطان مراد الثانى للإستيلاء على طرابيزون عام ١٤٤٢م والتي فشلت نظراً لحصانة أسوارها. وأكتف الأتراك بنهب وتدمير وأسر الرعايا الطرابيزونى ^(٢).

لقد أفادنا المؤرخ دون عن غيره بذكر وافى لأحداث زيارته إلى طرابيزون والتي كلف بها من قبل الامبراطور البيزنطى قنستنتين الحادى عشر بوصفه رئيس الحجاب للبلاط البيزنطى، ونجح المؤرخ من وصف الأحداث بإعطاء صوره واضحة عن مدى الفزع الذى إنتاب اليونانيين بسبب وفاه السلطان مراد الثانى وتولى محمد الثانى خلفا له وإن كان لإمبراطور طرابيزون رأى آخر ^(٣).

= شملت الفترة ما بين عامى (١٤٠١ - ١٤٧٧م) ويذكر فى كتابه الأخير ، إنه قد أنهاء وهو فى أسوأ الأحوال من فقر ومرض وشيخوخه ، وتوفى عام ١٤٧٧م .

-Fabric, Gregorius Phantzes, Notitia, Belgium, 1860, PP.vol . 156, 631-638; CF also, Schuumberger, les siege, La prise et le sac de constant nople. Paris, 1922, PP. 14 - 15.

(١) الفصل الثالث ، ص ١٤٠ .

(٢) الفصل الرابع ، ص ١٧٥ .

(٣) الفصل الرابع ، ص ١٨١ .

كما اشترك مع دوقاي في ذكر أمر المصاهرات التي ربطت الإمبراطور الكسيوس الرابع كومينيوس بكلا من والإمبراطور البيزنطي حنا الثامن باليولوجوس، وجورج بلانكفوش حاكم الصرب^(١).

إلا أننا نأخذ على مؤرخنا ، الخلط في ذكر بعض التواريخ ، مثل تاريخ وفاة الإمبراطور الكسيوس الرابع كومينيوس الذي اغتيل على أيدي أتباع ابنه حنا الرابع عام ١٤٢٩ م . فقد ذكر فرانتس أنه توفي عام ١٤٤٧ م . بينما الذي توفي آنذاك ، كان الإسكندر ابن حنا الرابع^(٢).

أما المصدر البيزنطي الرابع الذي اعتمد عليه الباحث فهو للمؤرخ ليونس كالكوكونديلاي بعنوان Historiarum Libri^(٣) أى كتاب التاريخ وترجع

(١) الفصل الثالث ، ص ١٥٤ .

(٢) الفصل الرابع ، ص ١٥٨ .

(٣) Laonici Chalcocondylae, Historiarum Libri, in, C.S.H.B, Bonnæ, 1843.

- ليونس كالكوكونديلاي Laonici, Chalcocondylae ولد بأثينا عام ١٤٢٣ تقريباً . والمعلومات التي لدينا عن حياته قليلة ، كان أباه فر هاريا إلى المورة عام ١٤٣٥ بعد محاولة فاشلة قام بها ضد Acciajuoli . ولقد تتلمذ في بلاط Mistra . ومن الملاحظ أنه قضى معظم حياته في مقاطعه Aegen ، وكتب تاريخه في عشر مؤلفات غطت الفترة ما بين (١٢٩٨ - ١٤٦٣ م) ولقد أظهر سقوط الإمبراطورية الهلينية العظمى القسطنطينية ، و أيضاً نحو القوى التركية ، كما أكد على نهوض الإمبراطورية العثمانية وبعد هذا الأمر شاذاً لمؤرخ بيزنطي . وتعد مؤلفاته مدخلا مباشراً للمصادر التركية . وقد أمدنا من خلالها ببعض المعلومات العامة عن التأسيس المبكر للعثمانيين وتوفي عام ١٤٩٠ م. وانظر:

-Miller, Thelast Athenian Historian Chalcocondyles, J.H. S.,

T.XIII, 1992, P. 38; O. D.B. vol : I, P. 407.

أهمية هذا المصدر إلى معاصرتة للأحداث. وقد أفادنا المؤرخ بذكر عصيان حنا الرابع ضد أبيه الإمبراطور الكسيوس الرابع عام ١٤٢٧ م ثم لجوئه إلى جورجيا ومنها إلى الجنوبة بمستعمرة كافا. وأنتهى الأمر باغتيال الكسيوس عام ١٤٢٩م وتولى حنا أمر الإمبراطورية بعد أن أنكر تهمة التحريض على مقتل أبيه ليكسب شرعية الحكم لنفسه ^(١) كما انفرد بذكر العام الذى توفى فيه الإسكندر شقيق حنا وذلك عام ١٤٤٧م بعد أن دارت عده إختلافات حول وفاة الإسكندر ^(٢).

إلى جانب ذلك فقد انفرد المؤرخ دون عن غيره من المؤرخين بذكر الحملة التى أرسلها السلطان محمد الثانى ضد طرابيزون عام ١٤٥٦م تقريباً والتى قادها خاطر بك حاكم أماسيا من أجل إخضاع طرابيزون للجزية السنوية ^(٣).

كما انفرد أيضا بذكر الشروط التى عرضها السلطان محمد الثانى على إمبراطور طرابيزون، داود كومينيوس والمفاوضات التى انتهت بتسليم الإمبراطور مفاتيح عاصمته للعثمانيين ^(٤). ولقد اتفق مع دوقاى فى ذكر رحيل الامبراطور داود إلى القسطنطينية حاملا كنوز إمبراطوريته ^(٥).

" ومن أهم الوثائق الأصلية التى اعتمد عليها الباحث والمتأخرة بعض

(١) الفصل الثالث ، ص ١٥٠ .

(٢) الفصل الرابع ، ص ١٨٠ .

(٣) الفصل الرابع ، ص ١٨٩ .

(٤) الفصل الرابع ، ص ٢٠٠ .

(٥) الفصل الرابع ، ص ٢٠١ .

الشيء عن الفترة موضوع البحث نذكر منها حولية لوكاس فاندنج بعنوان Annales Minorum^(١) أى حوليات أسيا الصغرى. وقد أفادنا فى ذكر محاولة التوحيد بين الكينستين الشرقية والغربية والتي قامت بين الإمبراطور الكسيوس الثانى كومينيوس والبابا حنا الثانى والعشرين، والتي لم يكتب لها النجاح بسبب وفاه الإمبراطور. كما أنفرد بذكر اتصال الإمبراطور الطرابيزونى داود كومينيوس مع البابا بيوس الثانى من أجل مساندة طرابيزون ضد خطر الأتراك العثمانيين^(٢).

ومن الوثائق أيضا التى أعتمد عليها الباحث ، مانس

(١) Wadding , L; Annales Minorum, T, XII, Florentiam, 1932.

- لوكاس فاندنج ، مؤرخ فرنسيسكانى ، ولد فى فاتفورد بإيرلندا عام ١٥٨٨ ، وتوفى فى روما عام ١٦٥٧م. درس فى لشبونه وجامعة كامبيرا. ودخل فى رهبانية الفرنسيسكان ورسم كاهناً عام ١٦١٣م، ودرس اللاهوت فى جامعة سلامنكا Salamonca . وعمل متشاراً لاهوتياً للملك فيليبوس الثالث فى روما، وذلك فى عام ١٦١٨. كما دافع عن بنى وطنه المضطهدين وعمل فى أكثر من دائرة من الدوائر الرومانية ورفض شرف الكردينالية . و نجد من أهم أعماله حوليات الرهبان الأصاغر " أى الفرنسيسكان ، وهى تشمل الفترة من بداية الرهبنة حتى عام ١٥٤٠م وآخر طبعه كانت بأواراكى " ١٧٤٠ - ١٨٨٦م" فى سبع عشر مجلد بالإضافة إلى مجلد تكميلى فوصل بالتاريخ إلى عام ١٦٦٠م . ومن أهم أعماله أيضاً كتاب الرهبنة الفرنسيسكانية فى ثلاث مجلدات طبعت بروما عام ١٩٠٦. وله أعمال لاهوتية، لم تذكر وشارك أيضاً فى نشر أعمال دونس كوت الفرنسيسكانى عام ١٦٢٣م.

-Enciclopedia Cattolica, Romae, 1951, T. VII.,

PP. 1639-1640

(٢) الفصل الرابع ، ص ١٩٤، ١٩٨ .

بمعنوان Sacrorum conciliorum nova et amplissimo cotlec-
tio^(١) أوسع مجموعة جديدة للمجامع المقدسة ورغم اشتراكه مع فاندنج فى
ذكر الخطابات المتبادلة فيما بين الإمبراطور حنا الرابع كومينيوس والبابا
إيجينيوس الرابع ، فقد انفرد وحده بذكر نص خطاب أرسله الإمبراطور إلى البابوية^(٢).

وبالإضافة إلى هذه المجموعة من المصادر اللاتينية فقد رجع الباحث إلى
عدد غير قليل من المراجع الأجنبية والعربية والمعربة يكتفى الباحث بثبت بيان
بها فى قائمة المصادر والمراجع الأجنبية بآخر صفحات البحث ، هذا إلى جانب
المزيد من الدوريات الهامة التى تناولت أموراً خاصة بالبحث ، والتى كانت له
أثر كبير فى فهم الخطوط العريضة لموضوع البحث وأفادتنا فى علاج كثير من
القضايا إبان هذه الدراسة .

(١) Mansi, J. Sacrorum Conciliorum nova et amplissimo collectio,
vol : xIx, Paris, 1904 .

- مانس ، اسمه الحقيقى جوفانو دومينكو Giovanni Domenico ، ولد فى مدينة لوكا
Lucca ١٦٩٢م، وتوفى بها أيضا عام ١٧٦٩ م ، ترهب فى الثالثة عشر من عمره ، ودرس
اللاهوت الأدبى فى نابولى وكان مستشارا لاهوتياً فى نفس المدينة حيث أسس أكاديمية التاريخ
الكنسى والطقوس ، وعين رئيساً للأساقفة فى نفس الأكاديمية عام ١٧٦٥م. وكان نشاطه ينصب على
جمع المراجع . ومن أهم أعماله إعادة طبع حوليات بانوريوس، أيضا والتاريخ الكنسى لتوبول وذلك
فى تسع مجلدات وكذلك وللكتبة اللاتينية لغابر يكوس فى ست مجلدات ، لكن أعظم أعماله
مجموعة المجامع وهى عبارة عن مزج بين أعمال " لابييه " و " كوسار " و " كوليتى " تحت عنوان أوسع
مجموعة جديدة للمجامع القلصة . وقد صدرت أول طبعة عام ١٧٥٧م فى ثلاثين مجلداً بلفورنسا
والثانية فى فينيسيا والأخيرة بياريس فى ستين مجلداً من عام ١٨٩٩ - ١٩٢٧ م .

-Enciclopedia Cattolica, Romae, 1954, T. XII. PP. 1979- 1980 .

(٢) الفصل الرابع ، ص ١٦٦-١٦٧ .

تمهيد

**طرابيزون : موقعها ، تضاريسها، أسماؤها
المختلفة وتأسيس إمبراطورية بها .**

تقع طرابيزون شمال شرق آسيا الصغرى فى شبه جزيرة الأناضول، بداية من الانحناء الذى يقع فى الجزء الأخير من البحر الأسود فى الزاوية الجنوبية الشرقية منه، وتطل على ساحل تكثر فيه التلال ويفصله عن باقى آسيا الصغرى وأرمينيا سلسلة من الجبال تعرف باسم " جبال بنطس " التى حمت طرابيزون على مر تاريخها لكونها إحدى مدن أقليم بنطس Ponts ، وتقع بين خطوط طول ٣٣، ٤٠ شرقاً ودائرة عرض ٤١ شمالاً، يحدها من الشمال البحر الأسود، ومن الجنوب ولايات أرزن الروم Erzurum، ومن الشرق جورجيا Georgia، ومن الغرب قصطمونى Castamon^(١).

(١) Texier, ch. : Asie Mineure, Paris, 1961, P. 19; Cuient, V. : Turquie d' Asie, Paris, 1842, Tom. I, P. 410.

انظر أيضاً : بطرس البستاني ، دائرة المعارف ، ج٥ ، دار المعرفة - بيروت - د. ت ، ص ٢٣٧ .
- بنطس "Ponts"، هناك عده مفاهيم تطلق فى التاريخ البيزنطى على كلمه بنطس، لكن المعتاد ذكره أن أقليم بنطس يوجد فى شمال شرق آسيا الصغرى، وأصله جزء من كبادوكيا . وكان يطلق إسم كبادوكيا أولاً على المنطقة الواقعة على شاطئ البحر الأسود ويغلب عليه الطابع الجبلى فى الشرق والجنوب ، ويقع بين أرمينيا وكليكس colchis، ونهر هاليس River Halys ، بينما توجد على طول الساحل سهول خصبه واسعه وأهم مدينه بأقليم بنطس هى طرابيزون .
لمزيد من التفاصيل راجع :

Ramsay, W.: The Historical Geography of Asia Minor, Amsterdam, 1967, PP. 317 - 327.

انظر أيضاً : أومان - ش، الإمبراطورية البيزنطية، ترجمه / مصطفى طه بدر ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

- أما بالنسبة إلى أرزن الروم أو أرضروم ، هى قصبه ولاية أرمينيا التركية، تقع على هضبة ترتفع لمسافة ٦٠٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر، وينبع من هذه الهضبة نهر قوه صو أو الفرات الغربى، =

وقد بلغت مساحة طرابيزون حينئذاك ما يقرب من ٣٠٠٠ر٣١كم^٢،

= وهو الطريق الطبيعي الوحيد الذى يؤدى إلى شمالى آسيا الصغرى وذلك عبر القوقاز الروسية وفارس "تريز" ويتصل أرزن الروم أيضا "طرابيزون" وبحيره وان فى الشمال أما فى الجنوب يوجد طريق مهم. وكانت لأرضروم أهمية من الوجهتين الحربية والتجارية . وقد أطلق عليها العرب وعلى أقليمها إسم قاليقلا . ولم تعرف المدينة إسمها الحديث " أرضروم " إلا فى غضون القرن الحادى عشر الميلادى . فى عام ١٠٤٩م دمر السلاجقة مدينة أرزن التى لاتبعد كثيراً عن مدينة كرين بأرمينيا شرقاً فهجرها أهلها إلى قاليقلا وأطلق عليها أرزن الروم وأرض الروم .

- إبراهيم خورشيدو آخرون : دائره المعارف الإسلاميه، ج٢، دار الشعب، القاهرة، د.ت، ص ٥٧٨ .
- وبالنسبه إلى جورجيا Georgia، تقع شرق طرابيزون، ويشار إليها بموقعين هما جورجيا الشرقيه وتضم عدة مناطق مثل "Pers- Gurgun "ivirk Arm- Georgkatli, Gr.Iberia" وجورجيا الغربيه وتشتمل على "Georg Egrisi -lazika -colchis- Abchasia". وقد اتخذوا سياسياً فى عهود مختلفه مع بيزنطه فيما بين (٩٧٨- ١٢٥٨م، ١٣٣٠-١٤٥١م) ونلاحظ أن المؤرخ فازيليف ذكرها تحت إسم جورجيا أو أيبيريا وذلك فى مقالته عن تأسيس إمبراطورية طرابيزون، وربما لأن أيبيريا جزء من املاك جورجيا .

Vasiliev, A.: The Foundation of the Empire Trebizond(1204- 1222)

Speculum, 1936,N.x1, P.11; O.D.B.vol . II, P. 840.

- أما عن قصطمونى Castamon، أو قصطموننا الجديدة kastamouni، تقع شمال الأناضول على بعد مئة كيلو متر من البحر الأسود، شملت هذه المقاطعة كل أقليم الرومان القديم فى بفلاجونيا Paphlagonie. وقد أسسها الأتراك، وتقع فى الغرب من طرابيزون بالقرب من سينوب Sinope، وتصل قلعتها إلى أعلى وادى أمنياس Amnias فى شرق بفلاجونيا، . وكانت ضمن ممتلكات أسرة كومينيوس، وقد تبادل الأتراك والبيزنطيين السيطرة عليها حتى آلت إلى الأتراك فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى .

Ramsay: op. cit., PP. 65 -66; O.D.B.Vol. II,P. 1110.

استغل خمسها فى الزراعة وباقى المساحة ظل ما بين الغابات والمناطق الوعرة^(١).

وتتميز سهول طرابيزون الساحلية بكثرة أمطارها، كما تنحدر السلاسل الجبلية نحوها بمدرجات تقوم عليها الزراعة، وبسبب اعتدال مناخها غطت تلالها غابات كثيفة جعلتها مصدراً لايفرغ للأخشاب وذلك لآلاف السنين. بينما كانت المناطق الصالحة لإقامة الموانى فى تلك المنطقة قليلة ويرجع ذلك إلى أن مياه الأنهار ضحلة^(٢). وتعد طرابيزون، مدينة ضخمة أعطاها مينائها وضعاً متميزاً على رأس أفضل الطرق من البحر الأسود حتى إيران الحالية، مما جعلها من أهم الموانى الموجودة فى تلك المنطقة^(٣). وكان لموقع طرابيزون الجغرافى أثره فى تجنبها التعرض للرياح الغربية والشمالية الغربية مما ساعد على عبور السفن فى أمان^(٤) كما أنعمت الطبيعة عليها بموقع حصين فيحيطها سور وتتخللها حدائق فسيحة. وكانت منازل طرابيزون تبنى من طابق واحد مبنية بالحجر والجير، حتى لا يكاد القادم من البحر أن يرى منها شيئاً، وبلغ

Cuient, op. cit., Loc. cit. (١)

Cuents, op. cit, p. 19 ; Leaf, W. : The commerce of sinope, (٢)

CF. The Journal of Hellenic Studies, London, 1916, Vol. VIXXXV, P.2.

انظر أيضاً: جوده حسنين جوده، جغرافيا آسيا الأقليمية، دار المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٥، ص ٦٢٧ - ٦٣٠.

O.D.B.vol : III.P. 2112. (٣)

Cuient, op.cit; loc. cit. (٤)

عدد حصونها اثني عشر حصناً وقلعة حصينة^(١). كانت مصدراً لإلهام بعض شعراء الوصف في آسيا لما تمتعت به من جمال الطبيعة وغازاة الأشجار وبخاصة الكروم والزيتون^(٢).

ويرجع المعنى الحرفي لكلمة طرابيزون إلى كلمة منضدة Table وذلك لشكلها الرباعي غير منتظم الأضلاع ، والذي منحها هذا الشكل مجموعة من الأسوار^(٣).

وعرفت طرابيزون بأسماء متعددة منها طرابيزونده - ترابيزون - ترابيزوس طرابيزوس - طرابيزيوس - ترافاصون - - ترافن - ترابكسوس. وجميعها تعنى المعنى السابق ، بينما كان الاسم الشائع في الكتابة هو طرابيزون^(٤).

(١) بطرس البستاني : المرجع السابق، ج٥، ص ٢٣٨ .

(٢) Bury .J.: The Eastern Roman Empire, CF, Cam. Med. Hist, Vol. IV, London, 1923, P. 487.

(٣) Hammer, D.: Histoire L' Empire Ottoman, Paris, 1835, T.3, P. 76; Texier: op. cit., p. 594.

- انظر أيضاً : إبراهيم خورشيد ، المرجع السابق، ص٣، ص ٥١٩ .
- سطح طرابيزون مستوى قليلاً إلى حد ما ، أتخذت قاعدة المدينة والأسوار شكلاً رباعياً غير منتظم يتجه نحو الجنوب، حيث يكون أكثر ارتفاعاً . كما لم يعد هذا الجزء من المدينة منتظم بسبب الأسوار وصخورها العالية التي كونتها البراكين التي تعرضت لها طرابيزون خلال القرن السادس الميلادي .
وقد حمت تلك الأسوار وصخورها طرابيزون من الاعتداءات الخارجية .

Texier: op. cit , pp. 19, 594; Hammer : op. cit., loc. cit .

(٤) Cuient : op . cit ., loc . cit.

راجع أيضاً : ابراهيم خورشيد : المرجع السابق، ج٣، ص ٥١٩ : بطرس البستاني : المرجع السابق، ج٢، ص ٢٣٧ .

ويرجع تاريخ طرابيزون إلى القرن الثامن قبل الميلاد ^(١)، حيث قام بتشبيدها جالية يونانية وفدت إليها من سينوب، وأصبحت عاصمة لها ^(٢) وقد آل

(١) ابراهيم أنيس وآخرون : الموسوعة العربية الميسرة، ج٢، دار نهضة لبنان - بيروت ١٩٨٧، ص ١١٥٦ .

(٢) Texier : op . cit., P. 594 .

- سينوب Sinope ، ميناء رئيس فى منطقة بنطس، ذو ميناء مزدوج. جمعت بين التحصين والتحسين يحيط بها الماء من جميع الجهات عدا جهة واحدة، هى الجهة الشرقية، ولها هناك باب واحد لايدخل إليه أحد إلا بأذن حاكمها، وقد أدى موقعها إلى الغرب من البحر الأسود لإكتسابها أهمية تجارية وفتح لها مجال الاتصال مع القرم. ونلاحظ أن تاريخ مدينه سينوب المبكر غامض وقد أغفل ولاندرى السبب من وراء ذلك . ثم ظهرت المدينة فى كتابات المصادر متصلة بالبحر الأسود. ويذكر ان الإمبراطور جستنيان أستخدمها ليشرف من خلالها على خيرسون cherson، والبحر الأسود، وسميت سينوب فى القرن التاسع الميلادى " عجل البحر" ولقد حكمها الإمبراطور اليونانى بازيلوس بمساعدة المرتزقة الفرس. وكانت تلك المدينة بمنى عن غارات العرب التى استهدفت الطرق الهامة . وأخيراً وصلتها هجمات العرب عام ٨٥٨م ، وخلال القرن الحادى عشر الميلادى وعلى وجه التحديد عام ١٠٨١م استولى عليها السلاجقة إلى أن وصلها الإمبراطور والكيوس الأول كومينيوس (١٠٨١ - ١١١٨م) ليجدد الحكم البيزنطى بها، حيث أقام هناك بيت المال الامبراطورى وعادت سينوب كميناء دفاعى أثناء تحركات الإمبراطور أندرونيقوس الأول كومينيوس ١١٨٣ - ١١٨٥م فى منطقة بنطس .

Leaf : The commerce of Sinopes, PP. 2-10; The New Encyclop edia
Britiannica, London, 1973, Vol : IX, PP. 231- 232; O.D.B. Vol :
III, 1904.

انظر أيضاً : ابن بطوطه، تحفه النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار الكتاب المصرى ،
القاهرة ، د.ت ، ص ٢١٢ .

أمرها إلى ملوك بنطس، وقامت بها مملكة بلغت أوجها فى عهد ملكها مترايداتيس السادس Mithridates VI (١٢٠ - ٩٠ ق.م) وقد تضمنت تلك المملكة أملاكاً واسعة شرقى البحر الأسود وحوله حتى شواطئه الشمالية إلى جانب السيطرة على المنطقة التى تمتد من سينوب وطرابيزون إلى باطوم الحالية^(١). كما خضعت طرابيزون لحكم الرومان ونالت اهتماماً كبيراً من قبل العديد من الأباطرة مثل تراجان (٩٨ - ١١٧م) الذى جعلها عاصمة لمملكة بنطس^(٢) ونالت طرابيزون أيضاً أهمية خاصة فى عهد الإمبراطور جستينان (٥٢٧ - ٥٦٥م) حيث أمر بتوسيع مينائها والذى ترتب عليه ازدهار المدينة إقتصادياً . واهتم كذلك بتحسينها واستخدمت طرابيزون كقاعدة حربية ضد أعداء الإمبراطورية من الفرس، وترك لنا نقشاً على باب الحصن فى طرابيزون مدوناً عليه أسماء الشعوب التى هزمها^(٣).

(١) أومان : المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

- باطوم Batoum ، تعرف الآن بإسم باطومى، وهى ثغر فى بلاد ما وراء القوقاز السوفيتية على البحر الأسود. وقد أقيمت على موقع ثغر رومانى قديم يعرف بإسم " باتيس" أنشأ فى عهد الإمبراطور هادريان . وأحتلها العرب لفترة قصيرة لكنهم لم يحتفظوا بها، وفى القرن التاسع الميلادى كانت باطوم جزء من أعمال ملك جورجيا وأخيراً أصبحت باطوم جزء من الإمبراطورية العثمانية وذلك فى النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادى .

- إبراهيم خورشيد : دائره المعارف، ج ٦، ص ٩٠ .

Hammer : op . cit., T. II, P. 77. (٢)

Vasiliev. A .: Zur geschichte von Trapezunte unter (٣)

Justinian Gossen., B.Z. " 1929 -1930" PP. 384 -385.

أصبحت طرابيزون منذ عهد جستنيان من أهم المدن الرومانية فى هذا الإقليم بعد أن نجح العرب فى الإستيلاء على جزء كبير من مدن الرومان. وغدت طرابيزون عاصمة الإقليم تحت إدارة حكومة عسكرية^(١). وكان لتعدد طرق الاتصال الخارجية بها سواءً كانت برية أم بحرية أن سهل لها الاتصال بالمناطق التجارية الأخرى ذات الأهمية الكبرى مثل أرمينيا والقسطنطينية وفارس وبغداد. وقد ساعدها ذلك فى نقل السلع المنتجة من الشرق إلى أوروبا^(٢).

وقد نجح الأتراك السلاجقة فى السيطرة على طرابيزون فى عام ١٠٧٤م ولمدة عام ثم خضعت بعد ذلك لسيطرة القائد اليونانى ثيودور جابراديس Theodor Gabrades، الذى ظل يحكمها حتى عام ١٠٩٨م باسم أسرة كومينيوس فى القسطنطينية^(٣).

(١) ابراهيم خورشيد : المرجع السابق ، ج٣، ص ٥١٩ - ٥٢٠ .

(٢) Bryer. A.: Greeks and Turkmens, D.O.P., Columbia, 1975, N. 29 , P. 118.

انظر أيضا : نعيم زكى فهمى، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٧٣، ص ١٦٠، ١٨٢ - ١٨٣ .

- بالنسبة لأهم الحاصلات التجارية من طرابيزون نجد معظمها من الذره، الجوز ، البندق، التبغ، الفواكه على إختلاف أنواعها، الخنطة، الشعير، القنب، الكتان، الأرز، العسل والشمع من النحل وللبلاد تجارة فى ما تقدم من الحاصلات، والمنسوجات، الجلود، الأسماك، والخمور، فضلاً عن وفرة معادنها مما شجع على قيام الصناعات واستغلال تلك المعادن فى صناعة العملات الخاصة بطرابيزون .

- بطرس البستاني : المرجع السابق، ج٥، ص ٢٣٨ .

(٣) Brehier, L.: Europein The Middle ages Selected Studies, New York, 1977; Vol. V, P. 373; O.D.B. Vol. I, p. 207, Vol. II, p. 2112 .

وظلت طرابيزون مدينة تابعة لقيصرية القسطنطينية يتولى شئونها حاكم يعين من قبل بيزنطه يلقب دوق حتى استولى اللاتين على القسطنطينية عشية الحملة الصليبية الرابعة عام ١٢٠٤م^(١).

وقد أدى سقوط القسطنطينية إلى ظهور ثلاث قوى يونانية على مسرح الأحداث تأمل كل منها نيل شرف استرداد القسطنطينية من اللاتين وتمثلت هذه القوى فى أبيروس Epiros، نيقية Nicaea ثم طرابيزون^(٢).

(١) Brehier :op . cit ., P. 261.

أنظر أيضا : جيوفرى فلهاردين : فتح القسطنطينية، ترجمه/ حسن حبشى، جده ، ١٩٨٢، ص ١١-١٤؛ كلارى (ر) : فتح القسطنطينية ، ترجمة/ حسن حبشى، ١٩٦٤، ص ٢٣-٢٤، ٤٨-٥١؛ رنسيما : الحضارة البيزنطية ، ترجمة/ عبد الغريز جاريد، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ١٩٦١، ص ٥٦؛ بطرس البستاني : المرجع السابق، ج٥، ص ٢٣٩؛ جوزيف نسيم، تاريخ الدولة البيزنطية (٢٨٤ - ١٤٥٣م) الاسكندرية، ١٩٨٤، ص ٢٦٩؛ رأفت عبد الحميد العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٨٤، ص ١٦٧ .

(٢) Hammer: Histoire L' Empire Ottoman,T.3,P. 78; Bailly. A.:

Byzanace,Paris, P. 373; Vasihiiev :op . cit., Sp, P.1.

- انظر أيضا، رأفت عبد الحميد : العلاقات من الشرق والغرب، ص ٢٣٣ .
- ابيروس، Epiros، تقع غرب اليونان فى منطقة جبلية بين بيندس pindos والبحر الأيونى Ionian fea، مع غنى المنطقة بشاطئ على درجة كبيره من الأهمية فى العلاقات مع الغرب. وقد أنقسمت المقاطعة فى القرن الرابع عشر الميلادى إلى ابيروس القديمة فى الجنوب، وأبيروس الجديدة فى الشمال وكانت ينقوبوليس Nikopolis عاصمه أبيروس القديمه، وتتكون من اثنتى عشرة مدينه ، أما أبيروس الجديدة عاصمتها دراخيون Dyrrachion، تضم تسع مدن. وتعد أبيروس أحد الدول اليونانية المستقلة التى نشئت بعد سقوط القسطنطينية عام ١٢٠٤م . وقد تأسست بواسطة ميخائيل الأول كومينيوس دوقاس الذى نجح فى السيطرة على الشاطئ الغربى من اليونان وجزء كبير من تساليا ويقع هذا الجزء فى وسط اليونان إلى الجنوب الغربى من سالونيك . وطالما تمى حكامها فى =

وجدير بالذكر، ما يكن تأسيس إمبراطورية طرايزون رداً على الإحتلال اللاتيني للقسطنطينية عام ١٢٠٤م، وإنما كان قيامها امتداداً لحكم أسرة آل كومينيوس التي ظلت تحكم بيزنطة قرناً من الزمان (١٠٨١ - ١١٨٥م) ثم قهرت على أيدي إسحاق أنجيلوس وأسرته عام ١١٨٥م. ولقد ساهمت ثامارا Thamara، ملكة جورجيا (١١٨٤ - ١٢١٢م) فى تأسيس كيان مستقل داخل الأراضى البيزنطية لأحفاد الإمبراطور أندروينقوس الأول كومينيوس يساعدهم فى استعادة عرش بيزنطة مرة أخرى؛ ولذلك دفعت ملكة جورجيا

= إعادة القسطنطينية. نجد فيما بعد أن نيقية نجحت فى قهر أبيروس فى موقعة بيلاجونيا Pelagonia عام ١٢٥٩م لكن أبيروس استرددت استقلالها عام ١٢٦٤م إستمر حكامها يحملون لقب الطغاه حتى عام ١٣١٨م . عندما سيطرت عليها أسرة أورسينيو orsinio الإيطالية فى الفترة ما بين (١٣١٨ - ١٣٣٧م) بعد فتره وجيزه استردها اليونانيون وفى نهاية الأمر إستولى عليها الصرب عام ١٣٤٨م .

O.D.B.Vol. II, PP. 715 - 716.

- أما نيقية Nicaea ، هى مدينة فى بيشينيا Bithynia، وتعد واحدة من أعظم المدن البيزنطية، كانت عاصمه للإمبراطورية البيزنطية فى القرن الثالث عشر الميلادى. وقد شهدت تلك المدينة مجمعين كنسين، كما أمتازت بموقعها على الطرق التجارية و الحرية الهامه، فضلاً عن سيطرتها على إقليم فسيح خصب. وفى عهد متأخر كانت حصناً قوياً مملوء بالمدينين وقاعدة عسكريه ومقرّاً لخزانة الإمبراطورية. وفى عام ١٢٠٤م مع مجئ الحملة الصليبية الرابعة على القسطنطينية، أخرج لاسكاريس زوج أنا ابنة الكسيوس الثالث أنجيلوس (١١٩٥-١٢٠٣م)، مؤسساً لنفسه دوله فى نيقية أملاً فى تحقيق حلمه الكبير، باسترداد القسطنطينية مرة أخرى من أيدي اللاتين. وبالفعل قد تحقق الحلم وعادت القسطنطينية على أيدي نيقية عام ١٢٦١م .

O.D.B . Vol:III. pp. 1463 - 1464.

بخيرة جنودها لمساعدة الكسيوس كومينيوس Alexis Comnenos في الاستيلاء على طرابيزون التي كانت تابعة للقسطنطينية حينذاك^(١).

(١) Choniates, N.: Historia, in, C.S.H.B, Bonnae, 1835., P. 842;
Acropolita, G.: Annles, in, C.S.H.B: Bonnae, 1835, I.P.7; CF, also.,
Ostrogorsky, G.: History of Byzance State, Oxford, 1956, p.373;
Brehier: op. cit; vol:V, P. 261; Vasiliev : op . cit., SP., PP. 13 -20;
Vasiliev : On the relationship between the founder of the Empire of
Trebizond, Gergian Queen Tamara, SP., Vol.XV, 1940, PP. 299- 310;
O.D.B. vol.III, PP. 2112-2213.

انظر أيضا : جوزيف نسيم، المرجع السابق، ص ٢٦٦ : محمد الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الاسكندرية، ١٩٩٤ ، ص ٣٨١ .

- أما عن تامارا Tamara، أو شمس خرثليا، حكمت جورجيا بين عامي (١١٨٤ - ١٢١٢)م، وكان عهدها أزهى العهود في تاريخ جورجيا، وهى ابنة الملك جورج الثالث George III (١١٥٥ - ١١٨٤)م وقد شاركته على عرش جورجيا لمدة سبعة عشر عاماً تبدأ من عام ١١٧٨م وحتى ارتقت العرش بمفردها. وقد تضاربت الأقوال حول قرابة تامارا بأسرة كومينيوس، البعض يرجع أنها شقيقة روسدون الجورجية زوجة الإمبراطور أندرونيقوس الأول كومينيوس (١١٨٣ - ١١٨٥)م بينما يرى البعض أنها ابنة أندرونيقوس وشقيقة مانويل كومينيوس، الذى أنجب الطفلين الكسيوس وداود أحفاد أندرونيقوس. ولكن هذا غير صحيح بدليل مشاركتها لأبيها جورج الثالث على عرش البلاد. وترجع علاقة أندرونيقوس الأول كومينيوس ببلات جورجيا عندما أبتعد عن القسطنطينية بعد عام ١١٧٠م حيث التجأ إلى جورجيا وهناك استقبل بترحاب ومنحه الملك جورج مدناً وقلاعاً، كما إشتراك في حملات حربية مع جيش جورجيا . بينما ترجع علاقة آل كومينيوس عموماً بأسرة بغراط الجورجية التى تنحدر منها الملكة تامارا إلى عام ١١٢٥م عن طريق المصاهرات الزيجية. ونظراً لصلة القرابة بين تامارا والكومينيوس نجحت في إنقاذ الطفلين أبناء مانويل كومينيوس من غضب إسحاق أنجيلوس (١١٨٥ - ١١٩٥م) وأيضاً تمكنت من الإستحواذ على الذهب والأحجار الكريمة التى توضح مدى الثراء الذى تمتعت به إمبراطورية طرابيزون فيما بعد. وقد ساعدهم على ذلك سفناً كان قد =

وجدير بالذكر، كانت هناك أسباب عديدة دفعت ثامارا إلى مسانده الكومينيوس، ويغلب عليها الطابع الشخصي، وذلك بسبب إعتداءات آل أنجيلوس على هباتها وصدقاتها إلى الآديرة. فضلاً عن الثأر لآل كومينيوس وكانت تلك المساعدة بمثابة نوعاً من المعاقبة لأنجيلوس ارتبطت بالسياسة التوسعية العامة لمملكة جورجيا^(١).

= أعدها الإمبراطور أندرونيقوس قبل الثورة لمحاربة النورمان . لذلك مدت ثامارا يدالعون للكومينيوس رغم الغموض الذي أرتبط حول علاقة ثامارا بأل كومينيوس .

Vasiliev.: The foundation of the Empire Trebizond, Sp.,PP. 409.

انظر أيضا : ابراهيم خورشيد، دائرة المعارف ، ج٩، ص ٤٤٧ .

- أما الكسيوس كومينيوس Alexis Comnenos، إمبراطور طرابيزون في الفترة ما بين (١٢٠٤ - ١٢٢٢م) ولد عام ١١٨٢م - توفي في فبراير ١٢٢٢م وهو الأبن الأكبر لمانويل ابن أندرونيقوس الأول كومينيوس. وكان الكسيوس مرتبطاً بـثامارا ملكه جورجيا لصله القرابه بينهما. ربما لأن زوجه مانويل شقيقة ثامارا وعندما هلك أندرونيقوس وابنه مانويل على أيدي أسحاق إنجيلوس لجأ أحفاد أندرونيقوس ، الكسيوس وأخيه داود إلى بلاط جورجيا خوفاً من بطش أنجيلوس. بينما يذكر أحد أبناء الكسيوس، ويدعى حنا كومينيوس John Comnenos (١٢٣٥-١٢٣٨م)، بأن الكسيوس ظل في القسطنطينية بعد ثورة أنجيلوس. ويرجح أنه تزوج من ابنة حنا كومينيوس الثمين، وهرب فقط بعد مؤامرة حنا عام ١٢٠٠م لكن من المؤكد هروبه وأخيه عقب ثورة أنجيلوس ١١٨٥م ويعتبر الكسيوس المؤسس الأول الإمبراطورية طرابيزون التي حكمها الكومينيوس العظام لما يقرب من قرنين ونصف من الزمان. ومن المحتمل أن الكسيوس إستخدم لقب إمبراطور ولكن أثناء فتره حكمه فقدت الإمبراطورية أجزاء منها، التي سبق وضمها أخيه داود وذلك بعد وفاة الأخير عام ١٢١٤م.

O.D.B.B. Vol. I,P. 63, Vol. III, P. 2112 .

Vasiliev : op . cit . loc. cit.

(١)

انظر أيضا : جوزيف نسيم ، المرجع السابق، ص ٢٦٦ .

وفى يوم ٣ ابريل ١٢٠٤م. خرجت حملة عسكرية من تفليس Tiflis العاصمة الجورجية تضم الجنود الجورجين وأسندت تلك الحملة إلى الكسيوس كومينيوس. وقد اختلفت الآراء حول خط سير الحملة الموجهة إلى طرابيزون ، نظراً لبعد جورجيا عن الشاطئ فضلاً عن عدم وجود ميناء فى جورجيا يشرف على البحر الأسود. وأخيراً لجأت ثامارا إلى ميناء بوتى Poti فى فاسس Phasis اليونانية ، وكان حينذاك تحت قبضة جورجيا . بينما يذكر أحد المؤرخين، أن الكسيوس وجنود الجورجين أستخدموا البر فى حملتهم وذلك بالإستيلاء على لازاكا Lazkia فى طريقه إلى طرابيزون وقد استغرقت تلك الحملة ثمانية أيام وكل ما نعرفه أن الطريق المؤدى إلى طرابيزون كانت بدايته أرزن الروم^(١) .

(١) Vasiliev: Histioire de L' Empire Byzantin, Paris, 1932, T, II , PP. 108 - 109; Brand, CH: Byzantium confronts the west, Cambridge Mass., 1968, PP. 86 -87, 135- 136, 144- 145, 161, 174; Vasiliev: op. cit., Sp., pp. 18-20., Bury: op. cit., pp.479-480; Kursanskis, M.: L'Empire de Trebizonde et la Georgie, R.E.B. Paris, 1977, T. 35, P.246.

أنظر أيضاً : هايد، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ترجمة أحمد رضا، ج٢، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩١، ص ٣٢٩ .

- أما عن تفليس Tiflis ، هى قصبه بلاد الكرج " جورجيا" وتقع فى الجزء الشرقى منها والمعروف بإسم "خرثليا" كما تقع على بعد فرسخين من سُملى برزه على الطريق إلى أرمينيا . وقد بناها ملك الكرج من بيت كسرى الذى أنحدر من الساسانيين وذلك بين أبواب القوقاز كحصناً فى وجه منسختا العاصمة القديمة لجورجيا وقد عرفت هذه المدينة فى لغة الكرج باسم تفيلس Tphilis أو تبليس Thebilisi ، وفى العربية بإسم تفليس أيضا والشائع أن هذا الإسم مشتق من كلمة تفيلى Tphili =

وقد سهل أمر الحملة، موقف سكان طرابيزون عند ظهور الجيوش الجورجية بقيادة الكسيوس كومينيوس، حيث قولت باستحسان ولم يبد الشعب أى مقاومة ضدهم ، وذلك لاعتبارهم أحفاد آل كومينيوس، الذين اعتادوا على حكمهم سابقاً، فضلاً عن كراهيتهم لحكم آل أنجيلوس^(١) . وعلى ذلك آل أمر

= ومعناها "الحار" وفى ذلك إشارة إلى منابع تفليس الحارة وتعرف فى اللغة الأرمينية باسم تفكس Tphkhis " تفلس Tphlis " .

إبراهيم خورشيد : المرجع السابق، ج٩، ص ٤٣٩ .

- بالنسبة إلى فاسس Phasis ، هو نهر فى كليكس colchis ، يصب فى البحر الأسود عند بوتى Poti . وتبدو فاسس بهجاء مختلف فى اليونانية قاسان وفى اللاتينية فاسين.

O.D.B.Vol. III, P. 1647.

- أما بالنسبة إلى لازاكا Lazika أو لازا، هى مقاطعة تقع جنوب شرق كليكس colchis القديمة، بمحاذاة الشاطئ الشرقى للبحر الأسود، ولقد أمتد سلطانها فى القرن الرابع الميلادى جهة الشرق حتى أبخازيا Abahazia وكانت أرخيوبوليس Archeiopolis عاصمة لها، حيث تشرف على بعض الممرات بالقوقاز. وقد لقيت اهتمام كبير من بيزنطة كطريق تجارى ، ورغم تبعية ملوكها إلى بيزنطة لم يقدموا إليهم الجزية السنوية وسبق وأغار الفرس عليها ثم عادت إلى بيزنطة فى النصف الثانى من القرن السادس الميلادى كما ثبت أن موقع لازاكا على الشاطئ الجنوبى الشرقى للبحر الأسود ضمناً مع طرابيزون، ونلاحظ أن بيزنطة قد أحكمت سيطرتها عليها فى القرن الرابع عشر الميلادى، كما كانت سابقاً أسقفية لطرابيزون.

Texier : op . cit., loc. cit ; Tournebize, Fr; Histoire Politique et religieuse L'

Armenie, Paris, 1900, P. 775; O.D.B. Vol . II , P. 1199 ,Vol.III,p. 2112.

vasiliev : op . cit., S., P. 7.

(١)

طرابيزون إلى الكسيوس وأخيه داود كومينيوس David Comnenos، اعتماداً على نفوذ ثامارا، وأصبحت حاكمين مستقلين تماماً، الأمر الذي دفع بعض المؤرخين الجورجيين إلى اتهامها بالتحيز إلى الكومينيوس نظراً لصلة القرابة دون النظر لمصالح مملكتها الخاصة^(١).

ولم يكتف داود كومينيوس بالاستيلاء على طرابيزون، بل امتد طموحه إلى تكوين إمبراطورية تصبح عاصمتها طرابيزون وبالفعل نجح في ضم عدد من المدن والمقاطعات بمساعدة القوات الجورجية، أصبحت تلك المناطق تحت إدارة طرابيزون بكيرسانت Kerasunt، ليمينا limnia، سامسون

Vasiliev : op . cit., Sp., P. 29.

(١)

- أما عن داود كومينيوس David Comnenos ويدعى أيضاً داود الأول كومينيوس، حاكم بفلاجونيا Paphlagonia (١٢٠٤ - ١٢١٢م)، توفي في سينوب، وهو الأخ الأصغر للكسيوس الأول كومينيوس. وقد ساعد في أخضاع طرابيزون. وكان ذلك في أواخر عام ١٢٠٤م ثم اندفع مع الجنود الجورجيين وجهز جيوشه للاستيلاء على بفلاجونيا وأصبحت تحت يديه أراضى واسعة تمتد من سينوب Sinope وحتى هراقلية البونتك Pontic Heraclea، كما استولى على نيقوميديا Nicomedia، وأخذ على عاتقه توسيع نطاق الإمبراطورية علي حساب المقاطعات المجاورة . وقد تضاربت الآراء التي تناولت وفاته داود كومينيوس. فأشار البعض أنه قتل عام ١٢٠٦م أثناء فتوحاته في البسفور والبعض يرجع وفاته إلى عام ١٢١٢م بينما يذكر فازيليف أنه قتل عام ١٢١٤م على أيدي الاتراك السلاجقة بإعتباره حاكماً على سينوب آنذاك . ويرجع الباحث الرأي الأخير، بدليل عدم تناول المصادر لإسم داود بعد عام ١٢١٤م.

Vasiliev : op . cit., Sp., P. 27; O.D.B. Vol . I, PP. 589 -590.

انظر أيضاً : رنسيان (س): تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة/ السيد العربي، ج٣، دار الثقافة بيروت، ١٩٨٠، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

Samsun، سينوب Sinope، بفلاجونيا Paphlagoania، وأونياون Oinaion^(١).

(١) Vasilive : op . cit, Sp., P. 22; Ostrogrsky : op . cit; cit; P. 378;

Bury: The Eastern Roman Empire. P. 480; Bratinu G.1.:

Le commerce Genoie dans Le Mer Moire au XIII Siecle, Paris, 1926,

P. 163 .

- انظر أيضا : هايد، المرجع السابق، ج٢، ص ٣٢٩ .

- كيرسانت Kerasunt - مدينة على شاطئ البحر الأسود، غرب طرابيزون وأيضاً ميناء هام يتصل بآسيا الصغرى وكانت مركزاً يشرف على لازا، كيرسانت وطرابيزون . وفي القرن الحادى عشر الميلادى نعمت كيرسانت بحكم أسرة محلية وأثناء حكم إمبراطورية طرابيزون كانت مركز القيادة ضد تحركات التركمان وفى عام ١٣٠١م انتصر الإمبراطور الكسيوس الثانى كومينيوس فى حربه ضد القبائل التركمانية عند كيرسانت.

O.D.B. Vol . II, P. 1123 .

- أما ليمينيا Liminia، Limnia، Limona، هى إمارة صغيره فى الجبال بين طرابيزون وأردنجان، وتطل بشاطئ على البحر الأسود وتقع على مسافة عشرين ميلاً غرب طرابيزون.

Lebeau,D.: Histoire du Bas - Empire, Paris, 1835 T.xx, P. 485; Gibbons, H:

The foundation of Ottoman Empire (1300- 1403) Oxford, 1916, P, 393

- سامسون Samsun ، وهى أماسيا حالياً، تقع على الشاطئ الساحلى من البونطس شمال شرق آسيا الصغرى بالقرب من أراس Iris، وبالتحديد تقع على مسافة خمسة كيلو مترات من شاطئ البحر الأسود، وهى أحد الموانئ الهامة ويحيط بها ثلاث أسوار قد أهمل أحدهم وأعيد الإهتمام بالموقع على أيدي الأتراك العثمانيين. ولقد أطلق إسم سامسون حديثاً على هذه المدينة ، دوراً تجارياً هاماً فى تزويد خيرسون Cherson بالقمح . ونلاحظ تعدد أسماء المدينة ومنها Simisso =

وأصبحت كل من مقاطعة بنطس وبفلاجونيا تخضعان لدواد، ثم قسمت تلك الممتلكات بينه وبين الكسيوس، فكان نصيب الأول الشريط الساحلى

.Samsun , Aminosos, Amisos =

Bryer, A.: Greeks and Turkmens, P. 123; Lebeau: Op. cit., T.xx, P. 489.

- أما بفلاجونيا Paphlogonia، مقاطعة تقع شرق آسيا الصغرى فيما بين غلطة أو جلاتيا Gala-tia والبحر الأسود وتشتمل على حافة ساحلية ضيقه ومعزوله، لكن أوديتها الداخلية غنية بالأخشاب والقمح وظلت فى عزلتها حتى أدمجها جستنيان الأول مع هورينوس Honorias التى تقع بالقرب منها. وقد وصل العرب والفرس إليها فى القرن السابع والثامن الميلادى، وبعد ذلك إستقلت المقاطعة فى وقت مبكر من القرن التاسع الميلادى وأصبحت تملك جيشا يضم خمسة آلاف فارس وخمسة حصون ويبدو أن معظم بفلاجونيا استحوذ عليها الأتراك السلاجقة بعد معركة ملاذكرت عام ١٠٧١م ثم جاءت الحروب الصليبية عام ١١١٠م بمثابة كارثة بالنسبة للمقاطعة ثم معارك حنا الثانى فيما بين عامى ١١٣٠ - ١١٣٥م. وأخيراً خضعت المقاطعة على أيدى الأتراك ثم الجنوى فى نهاية القرن الرابع عشر الميلادى، ولزيد من التفصيل راجع .

O.D.B. Vol . III, P. 1597.

- أما بالنسبة إلى أونايون Oinaion، تعرف الآن بإسم أيونية "Iounie" وقديما تحت إسم أونوبولس Oionopolis وهى مدينة قديمة تقع على مسافة ثمانية عشر ميل من نهر ثرمودون بإقليم بنطس، وقد ظهرت كمقاطعة كبيرة، وتلاحظ على بعد مسافة من الجنوب يوجد جبل مرتفع وإلى الشرق توجد قلعة حصينه محاطة بأربعة جدران، ومازال بها كنيسة يونانية للقديس نيقولاس St.Nicolas فضلاً عن صخورها، الجميلة وهى مكان لزيارة المسافرين من المسيحيين. علماً بأن هذه المقاطعة تمتد شرقاً حتى طرابيزون وخذيا، كما تقع على الحدود اليونانية اليوغوسلافية فى مقابلة جزيرة كورفو شرقاً Korfo.

Lebeau : op . cit; T. xx , PP. 486 - 487.

أنظر أيضاً؛ أومان إمبراطورية البيزنطية، ص ٤؛ محمد فريد، تاريخ الدولة العليا العثمانية، دار النفائس، القاهرة، د.ت. ص ١٥٥ .

الطويل فى الركن الجنوبى من البحر الأسود، بينما كان نصيب الكسيوس، طرايزون ونواحيها حتى غرب أونايون Oinaion، فضلاً عن سينوب^(١) وبذلك يكون أحفاد أندرونيقوس قد استطاعوا تكوين إمبراطورية فى خلال سنوات قليلة، كانوا يتطلعون خلالها إلى استعادة عاصمتهم المسلوية من أيدى اللاتين، وحمل لقب بازيلوس، وبذلك يكون لهم السبق قبل القوى البيزنطية الأخرى والتي تمثلت فى أبىروس ونيقيه^(٢).

كيفما كان الأمر، تطورت الأحوال سريعاً بإمبراطورية طرايزون، إذ إعترضتها صعوبات جمة بعد تأسيسها، تمثلت فى محاربة إمبراطورية نيقية لآل كومينيوس واستحوذها علي بعض ممتلكاتهم المتمثلة فى سامسون Samsun وشاطئ بفلاجونيا حتى سينوب فى الفترة ما بين عامى (١٢١٣ - ١٢١٤م)^(٣). فإضطرت طرايزون إلى الاستنجاد باللاتين فى القسطنطينية

(١) Choniates.Op. cit P. 842; CF also, Vasiliev : op. cit; SP.,P. 13;

Ostrogorsky: op. cit; PP. 378 - 379; Bratianu: op . cit . loc. cit ;

Nicol,D.: The byzantine Lady ten portai ts, Cambridge , 1994,P. 120.

O.D.B. vol : III, P. 2112.

Vasiliev: Histoire de L' Empire Byzantin, T.II, P. 214 - 216; (٢)

O.D.B: Vol . I, P. 358.

انظر أيضا ابن بيبى : تاريخ سلاجقة الروم، ترجمة/ محمد منصور، دار الثقافة العربية، القاهرة

١٩٩٤، ص ٦٥؛ هايد : المرجع السابق، ج٢، ص ٣٢٩؛ رنسيما : تاريخ الحروب الصليبية، ج٣،

ص ٣١١؛ ابراهيم أنيس: المرجع السابق، ج٢، ص ١١٥٦؛ جوزيف نسيم: المرجع السابق، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

Choniates:op.cit., PP. 828 - 844 - 845; CF,Ostrgorsky : op . cit., (٣)

loc . cit; Brehier :Europein The Middle ages Selected Studies, P. 373.

لمواجهة تهديدات نيقية عن طريق عقد المعاهدات ، لحمايتها من ناحية والتصدى لخطر نيقية من ناحية أخرى، هذا فضلاً عن المحاولات الفاشلة التي حاولها الكومينيوس لعقد مصاهرات زيجية مع اللاتين بالقسطنطينية^(١).

ولم تلبث طرابيزون أن تعرضت لخطر أعظم من ذلك أنحصر في ظهور الأتراك السلاجقة الذين تقدموا شرقاً بهدف إيجاد منفذاً بحرياً حراً على البحر الأسود ولذلك حاولت نيقية التصدي لهم ووقف توساعتهم في آسيا الصغرى ولكنها فشلت في تحقيق ذلك ، حيث تمكن الأتراك السلاجقة عام ١٢١٤م من الاستيلاء على سينوب وقتل حاكمها داود كومينيوس ، وأجبرت الكسيوس كومينيوس على التبعية لدولة السلاجقة وذلك عام ١٢٢٣م والزمته بدفع جزية سنوية قدرها عشرة آلاف دينار وخمسمائة جواد، ألفى ثور، وعشرة آلاف كبش، خمسين حملاً، وأنواع من التحف الثمينة ، فضلاً عن إرسال فرق عسكرية لمساعدة الأتراك السلاجقة عند الضرورة^(٢) وكانت العلاقة بين

(١) Vasiliev : op. cit., Sp. P. 24; Joinvill,J.: Histoire de Saint Louis, Paris, 1882 , P. 59 ; Vasiliev, op. cit; . T. II, P. 190; O.D.B . Vol . III, P. 1291.

(٢) Bailly: Byzance, P. 376; Vasiliev, op . cit., Sp., P. 27; Zachariadou. A; Trebizond and Turcs, Athena, 1979, P. 333; Bratianu: Le commerce Genoïse dans Le Mer Moire, P. 163.

-انظر أيضاً : ابن بيبى ، المصدر السابق ، ص ١٣ - ١٣٤؛ ابن كثير ، البداية والنهاية، ج ٣ ، بيروت، ١٩٧٧، ص ٢٥٦؛ ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج ١٢، القاهرة، ١٨٤٤ ص ١٦٠؛ فاسيلى بارتولد، تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ترجمة صلاح الدين هاشم الكويت ١٩٨٠، ص ٦٥٦؛ حافظ حمدى، الشرق الاسلامى قبل الغزو المغولى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٥٠، ص ٢٦؛ بطرس البستاني : دائرة المعارف الاسلامية، ج ٥، ص ٥٢٠؛ رنسيما : المرجع السابق، ج ٣، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ ؛ زييده عطا : الشرق الاسلامى والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين، القاهرة ، ١٩٩٤، ص ١٢٤ .

بالنسبة إلى إستيلاء السلاجقة على سينوب عام ١٢١٤، فقد نجح الإمبراطور مانويل الأول=

الطرابيزونيين والسلاجقة ما بين شد وجذب حتى عام ١٢٤٣م عندما بدأ يلوح فى الأفق خطر أعظم ألا وهو المغول، إذ ترتب على ظهورهم فى منطقة آسيا الصغرى إنقاذ ممتلكات طرابيزون من ضغط كل من الأتراك السلاجقة والجورجين^(١) الذين قاموا باكتساح المقاطعات الشرقية وأجبروا الكسيوس كومينيوس على إرسال الهدايا. واكتفى المغول بخضوع طرابيزون الاسمى فقط ودفع الجزية السنوية فى مقابل ترك الامبراطورية الطرابيزونية تنعم بالأمن .

= كومينيوس Manuel I Comnenos (١٢٣٨ - ١٢٦٣م) فى إعادة سينوب، بعد أن بدأ الضعف يدب فى أوائل الدولة السلجوقية، واحتفظ بها فى الفترة ما بين عامى (١٢٥٤ - ١٢٦٥م) حتى إستولى عليها الأتراك فى فبراير ١٢٦٦م .

Nystazopoulou, . M.: La dernier Reconquete de Sinope parle Grecs de Trebizonde, R.E.B. 1964, Vol :xxx11, PP. 244 -248; Bratianu : op .cit., PP. 164, 169 .

انظر أيضا : ابن بيبى ، المصدر السابق ، ص ٣٤٣ .

Bury : op . cit., P. 514; Zachariadou, op. cit., P. 334; Bratianu: op (١) . cit ., PP. 164, 190; Miller,W.: Trebizond the ladt Greek Empire, London, 1926, PP.20-29; Kursanakis. M; The coinage of the Grand Komnenos Manuel I, Athena, 1979, P. 24; Nicol : op. cit. loc. cit.; O.D.B. Vol :1. p.63,Vol.II,PP.1290- 1291.

- انظر أيضاً : ابن بيبى ، المصدر السابق، ص ٦٩ - ٧٢ ، ١٩٨ - ٢٠٠؛ رشيد الدين الهمذانى : جامع التواريخ، ج٢، القاهرة ١٩٦٠ ص ٦ ، ٥٢ : هايد: المرجع السابق، ج ٢ ، ص ٣٠٢، ٣٣٠ : محمد كوبريلس : قيام الدولة العثمانية، ترجمة/ أحمد سليمان، اسطنبول، د.ث، ص ٩٤ - ٩٥ : ابراهيم خورشيد: المرجع السابق، ج ٣ ، ص ٥٢٠ - ٥٢١.

ولقد اعتبرت طرابيزون مقاطعة تابعة للمغول في تاريخها مرتين في عام ١٢٤٣م، ثم في عام ١٤٠٢م كما سيتضح فيما بعد. ومع ذلك تمتعت إمبراطورية طرابيزون بالرخاء وازدادت أهميتها أثناء التواجد المغولي في آسيا الصغرى نظراً لأن إقتصادها يعتمد أساساً على التجارة، فهي مرحلة من مراحل الخط الذي يسلكه بناء حركة التجارة بين الشرق والغرب، فضلاً عن تدمير بغداد على أيدي المغول عام ١٢٥٨ م. وما ترتب عليه من انقلاب الحركة التجارية، فأصبح جزء كبير من البضائع يصل إلى بنطس ثم شاطئ البحر الأسود عند طرابيزون^(١) وإن كانت سيادة المغول على طرابيزون بدأت تتلاشى بعد عام ١٢٦٥م تقريباً. وأخذت في الإضمحلال^(٢). وذلك في وقت عودة الإمبراطورية البيزنطية مرة أخرى عام ١٢٦١م على أيدي آل باليولوجوس، ومع ذلك ظلت طرابيزون تتمتع باستقلالها تحت السيادة الإسمية للقسطنطينية حتى عام ١٣٠٠م^(٣).

(١) Kursanakis, l' Empire de Trebizonde et la Georgie , PP. 247 -

256; Finlay . G.: A History of Greece,ed . Tozer, Oxford, 1877,Vol.

III; P. 340; Bryer : op . cit. loc . cit; Bratianu :op - cit., PP. 164 - 165 ;

Zachariodou: op . cit; pp. 333- 334 ; Kursanakis, op . cit ; P. 25 .

(٢) Nicol, D.: The byzantine family of kankou zenos (ca 1100 -

1460), Columbia, 1968, PP. 88- 89 ; Zachariodou: op. cit., P. 336.

انظر أيضاً : ابراهيم خورشيد ، المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٥٧ .

(٣) Ostrgorsky : op - cit., loc. cit.; Vasiliev : op . cit ., T . II , P. 190 ;

Nicol: Op. cit ., PP. N. 12 .

أنظر أيضاً : جوزيف نسيم ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٧٢ - ٢٧٣؛ ابراهيم أنيس : الموسوعة

العربية الميسرة ، ج٢ ، ص ١١٥٦؛ بطرس البستاني : المرجع السابق، ج٥ ، ص ٣٢١؛ رنسيان :

تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣ ، ص ٣٢١ .

وجدير بالذكر، فإنه على الرغم من أن آل كومينيوس قد انشأوا إمبراطوريتهم فى طرابيزون إلا أنهم لم يجرؤا على أن يلقبوا أنفسهم بلقب إمبراطور، وظل لقب الدوق فيهم حتى تولي حنا الثانى كومينيوس John II Comnenos (١٢٨٠ - ١٢٨٥ م)، ولقب نفسه " بالإمبراطور، الحاكم المطلق للرومان" ضارباً بالسياسة البيزنطية عرض الحائط حيث كانت لا تعترف إلا بوجود إمبراطور واحد فقط فى القسطنطينية ورغم ظهور ادعاءات كثيرة مع مجئ الحملة الصليبية الرابعة^(١) وبالإضافة إلى اللقب الإمبراطورى فقد لقب آل كومينيوس بألقاب عديدة منها، الكومينيوس العظام ابتداءً من عهد

(١) Gregorae, N. : op. cit., I, PP. 148- 149; Franzuis, E.: History of byzantine Empire Mother of Nation, New York, 1967, P. 417; Miller : op . cit. loc; Texier: op . cit., loc. cit; Nicol : op. cit., P. 130; Nicol : the Byzantine lady Ten portraits, P. 120; O.D.B vol : II, P. 1194.

انظر أيضا : بطرس البستاني ، المرجع السابق، ج٥، ص ٥٢٠ .

- حنا الثانى كومينيوس John II Comnenos ، هو الابن الثانى لمانويل الأول (١٢٣٨ - ١٢٦٣ م) وأمه أيرينى، تولى عرش الإمبراطورية خلفاً لجورج كومينيوس (١٢٦٦ - ١٢٨٠ م) . ويذكر أن والد حنا قد سبقه ولقب نفسه بأمبراطور طرابيزون ، ولذلك ساءت العلاقة بين حنا الثانى والقسطنطينية بسبب من محاولته المساواة فى اللقب الإمبراطورى مع الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوجوس (١٢٥٨ - ١٢٨٢ م) الذى سعى لاستقطاب حنا ، فزوجه إبنته إيدوكيا عام ١٢٨٢ م وقد أنجب منها طفلين هما، لكسيوس الثانى خليفته على عرش الإمبراطورية، وميخائيل ويعد الإمبراطور السادس عشر لطرابيزون .

الكسيوس الأول كومينيوس، وينسب البعض تلك التسمية إلى كُنية العظمه لآل كومينيوس، والبعض الآخر يرجع تلك التسمية إلى فكرة الكسيوس وأخيه فى إعادة القسطنطينية إلى حوزتهم ، وبعد فشل هذا المشروع زالت الفكرة وظلت الكُنية فيهم حتى سقوط الإمبراطورية فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر الميلادى، كما لم يقصر ذلك اللقب على أفراد عائلة آل كومينيوس بل شملت زوجاتهم ومن ضمن الألقاب أيضا لقب حاكم كليكس colchis^(١) .

وبالرغم من الصعاب التى واجهت إمبراطورية طرابيزون والتى تمثلت فى صراعها مع نيفيه، الأتراك السلاجقة ، والجورجيين، ثم المغول، إلا أنها ظلت تتمتع بالرخاء والازدهار، ولعل ذلك يكون مرجعه إلى تلك الظروف التى طرأت على القرن الثالث عشر الميلادى والتى منها، استيلاء المسيحيين على أنحاء الأندلس ماعدا غرناطة، وتحطيم الحملة الصليبية الرابعة لقوى بيزنطة وما ترتب عليه عن فتح البحر الأسود للأساطيل التجارية وخاصة المدن الإيطالية ، فضلاً عن اختفاء الإمارات الصليبية وأخرها طرابلس عام ١٢٨٩م

(١) Choniates:op. cit., P.482; Lampsidis, O.: Letitre MEIAE, MomnihoE. , B, Bruxelles, 1967, Vol . IV , PP. 114- 116; Lampsidis : Grand comnene Paleologue, R.E.B. Paris, 1984, T. 42, P. 222.

- كليكس Colchis ، منطقة أسيوية قديمة فى القوقاز يحدها من الجنوب أرمينيا وجمال القوقاز من الشمال ويحدها من الشرق أقليم أيبيريا، والبحر الأسود من الغرب وهى منطقة خصبه .
- أومان : المرجع السابق ، ص ٤ .

مما زاد من أهمية البحر الأسود . وهناك إشارات ترجع إلى عام ١٢٩٢م تؤكد وجود تجار من الجنوية فى طرابيزون^(١) وسوف يتضح فيما بعد علاقتهم بإمبراطورية طرابيزون ومن الملاحظ أيضا إستمرار التجارة مزدهرة فى طرابيزون على الرغم من الصراع الدائر بين أفراد الأسرة الكومينية خلال تلك الفترة المتأخرة من القرن الثالث عشر الميلادى، والتي تمثلت فى النزاع بين الإمبراطور حنا الثانى كومينيوس وأخوته غير الأشقاء وهم ، جورج الحاكم السابق الذى أطلق من أسره محاولاً إسترداد العرش الإمبراطورى، وأيضاً شقيقته يشودورا التى أغتصبت العرش من أخيها حنا الثانى فى الفترة ما بين (١٢٨٥ - ١٢٩٧م). وتوفى الإمبراطور حنا فى نفس العام تاركاً عرش الإمبراطورية لإبنه الكيسيوس الثانى^(٢) ليواجه الكثير من الصعاب، والمشكلات فضلاً عن الحروب الأهلية التى ظهرت منذ عهد حنا الثانى .

(١) Bratianu : op . cit ., PP. 159 - 173 ; Balard, M., Les Genoïs en

Crimee Aux XIIIe - XIVe Siecles, Athena, 1979, P. 215.

انظر أيضا : هايدا، المرجع السابق، ج٢، ص ١٠٣ - ١٠٤؛ أرشيبالد لوييس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط، ترجمة/ محمد عيسى، القاهرة، د. د. ت، ص ٤٠٠.

(٢) Pachymeres, G.: De Michaelē et Andronico Palaeologis, in,

C.S.H.B, Bonnae, 1835, II, PP. 270- 271; Gregorae: op. cit I, P. 20;

Franzius. Op. cit., Loc. cit; Miller : op . cit., PP. 30 -31;

O.D.B. vol: II, P. 129.

الفصل الأول

أحوال إمبراطورية طرابيزون قبيل الفترة موضوع البحث

(١٣٠٠ - ١٣٤٩ م)

- **علاقة طرابيزون بالأتراك**
- **علاقة طرابيزون ببعض المدن الإيطالية "البندقية جنوة"**
- **علاقة طرابيزون بالقسطنطينية**
- **طرابيزون والحروب الأهلية**

لقد استعرضنا فيما سبق كيف تأسست إمبراطورية طرابيزون. وتناولنا بإيجاز تطورها كإمبراطورية والظروف التي مرت بها في الصراع بين أفراد الأسره الحاكمه في طرابيزون وما ترتب عليه من نجاح الكسيوس الثاني كومينيوس Alexis II Comnenos (١٢٧٩ - ١٣٣٠م)، في أن يستحوذ على السلطة ويتربع على عرش الإمبراطورية في طرابيزون خلفاً لوالده الإمبراطور السابق حنا الثاني كومينيوس^(١). وقد باركت القسطنطينية هذا الأمر وساعدت على تحقيقه بسبب صغر سنه ووجوده تحت وصايه شقيق والدته الإمبراطور البيزنطى أندورنيقوس الثاني باليولوجوس Andornikos II Palaiologos ، فأصبحت بذلك طرابيزون منذ ذلك الوقت تحت التبعية

(١) Gregorae : Op. cit., I, P. 202; Pachymeres, Op. cit., II, P. 272 .

- الكسيوس الثاني كومينيوس Alexis II Comnenos (١٢٧٩ - ١٣٣٠م) ولد عام ١٢٨٣م وتوفى ٣ مايو ١٣٣٠م، وهو ابن حنا الثاني كومينيوس إمبراطور طرابيزون فيما بين (١٢٨ - ١٢٧٩م) ووالدته ايدوكيا باليولوجوس Eudokia Palaiologos - قد حاول الكسيوس جاهداً تحرير طرابيزون من أخطار كثيره منها الأتراك وتسלט الجنوى على الشئون التجارية في طرابيزون بالإضافة إلى ذلك أهتم برعاية الفنون التي ظهرت بالآديرة آنذاك وتوفى في عام ١٣٣٠م تاركاً ستة أبناء، هما أندورنيقوس الثالث Andronikios III، بازيليس Basilieus الحاكم الثاني عشر للإمبراطورية، وميخائيل اساخيليتوس Micheal Asachouluots، جورج أخويجانس George Achpouganes وأيضاً آنا أناكويتلو Anna Anahcoute Lou الحاكم الرابع عشر لطرابيزون ، وأيدوكيا أميره سينوب ويقال إنها تزوجت من حاكمها التركى .

Zaky thions, A.: le chrysobulle d' Alexios III Comnenos Emperur de Trebizond de en faveur de Venitiens , Paris, 1932, P. 32; Finlay: History of Greece . Ox ford, 1877, Vol : IV, P. 436.O.D.B., Vol. I, p. 64.

الفعلية للإمبراطورية البيزنطية وليست الإسمية كما كانت فى الفترات السابقة^(١) .

وكان الإمبراطور الكسيوس الثانى كومينيوس قد نجح فى أن يتخلص من تلك الوصايا البيزنطية عام ١٣٠٠م تقريباً، بدليل أنه كان يواجه العديد من الصعوبات منذ تلك الفترة بمفرده دون أن تتحرك القوى البيزنطية لتأييده ، فضلاً عن رغبته فى الحصول على حرية الإمبراطورية من نفوذ الأتراك ، الذين نجحوا فى اختراق مقاطعة كير سانت Kerasunt. وهى ثانى مدن الإمبراطورية

(١) Miller : Trebizond the last Greek Empire, P. 32; O.D.B. vol : I, P, 64.

- أندرونيقوس الثانى باليولوجوس Andronikos II Palaiologos (١٢٨٢ - ١٣٢٨م) هو ابن الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوجوس وفى عهده أصاب الخراب الممتلكات البيزنطية فى آسيا. ولقد أجمعت فى شخصية أندرونيقوس جميع مساوئ أبيه من وخيانه وقسوه. ولقد قضى حياته فى تنصيب بطارقة الكنيسة وعزلهم، وأثناء انشغاله بالنزاع مع بطارقته كانت الإمبراطورية تسير نحو الانهيار. وإذ بحكام السلاجقة يقتربوا شيئاً فشيئاً من هضبة آسيا الصغرى حتى وصلوا أبواب أفسس Ephesus وأزمير . وأخيراً بدأ الخطر مجسماً للإمبراطور عندما ظهر الأتراك على شواطئ بحر مرمرة وهددوا أسوار نيقية وبروسه ثم عانى من حرب طويلة مع حفيده، الذى يحمل اسمه وذلك بسبب رغبة الإمبراطور فى حرمان حفيده ووريثه أندرونيقوس الثالث من ولاية العهد. وأنتهى الأمر بأن أعترف الإمبراطور بحفيده وريثاً له على عرش الإمبراطورية البيزنطية عام ١٣٢٨م.

Laiou- Angeliki, E.: Constantinople and Latins, the foreign policy

Andronicus II (1282- 1328), Cambridge, Mass., 1972, pp. 302-305.,

O.D. B . Vol. I, PP . 359 - 360 .

انظر أيضاً أومان الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٢٤٢ - ٢٤٥؛ جوزيف نسيم : تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .

فى الأهمية بعد العاصمة طرابيزون، فشن الإمبراطور الكسيوس الثانى كومينيوس عليهم حرباً شعواء عام ١٣٠١م انتهت بهزيمة الأتراك هزيمة ساحقة وقتل العديد من فرسانهم وأسروا قائدهم وأعاد المقاطعة إلى السيادة الطرابيزونية مرة أخرى^(١). ويعد عدم ظهور الإمبراطور البيزنطى أندرونيقوس خلال تلك الحرب ، دليلاً على إنفراد الإمبراطور الكسيوس الثانى بالعرش عام ١٣٠٠م قبل معركة طرابيزون ضد الأتراك .

(١) Zachariadou :Trebizand and Turks, P. 342; Bratianu, Le commerce Genoio dans la Mer Noire au XIII, P. 171; Miller : op . cit ; PP. 32 -33; Zakythions, op. cit, P. 39; Westerink,G.: La profession de foi Gregoire chioniates, R.E.B.Paris, 1980, T. 38, PP 235- 238; O.D.B.vol . II. P. 1122 .

انظر أيضاً : فايز إسكندر : دراسة لاتفاقية تجارية بين إمبراطورية طرابيزون والبندقية عام ١٣٦٤م الاسكندرية، ١٩٨٣، ص ٢ .

- هبت الفرصة للأتراك أن يتوغلوا فى الأناضول على أثر الحملة الصليبية الرابعة عام ١٢٠٤م وما نجم عنها من تدمير شامل للنظام الإمبراطورى البيزنطى وذلك أثناء القرن الثالث عشر الميلادى . والمعروف أن سلطانهم فى بلاد الأناضول ظل يرتكز حتى وقتئذاك على سلطة السلاجقة فى قونية، ولكن غزوات المغول التى بدأت عام ١٢٤٣م، قوضت الدولة السلجوقية ثم مرتها نهائياً . وسرعان ما أغتنتم التركمان فرصة الحروب الأهلية وضعف السلطة المركزية بالعديد من الغارات داخل الإمبراطورية الطرابيزونية ومحاصرة أراضيها من أجل الحصول على المزايا ، لأن الساحل الشمالى لبلاد الأناضول ما زال فى حوزة بيزنطة وإمبراطورية طرابيزون بينما احتل الأتراك البلاد والواقعة جنوب طرابيزون . وقامت فى الشمال الغربى إمارة جديدة يزعمه أمير يدعى عثمان .

Vryonis,S. : Byzantine Legacy and Ottoman Forms, D.O.P.Columbia, 1969, N. 23, PP . 301 - 302 ; Franzius : op . cit . P. 417; O.D.B. Vol.I, P. 463.

انظر أيضاً : رنسيما ، تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص ٧٥٣ - ٧٥٤ .

ويبدو أن الدرس الذى لقنه الكسيوس الثانى للأتراك كان غير كاف،
بدليل ظهورهم مرة أخرى عامى ١٣٠٤ ، ١٣٠٦م فى آسيا الصغرى، ومعاودة
إغاراتهم على طرابيزون ، الأمر الذى دفع الإمبراطور إلى تشييد حائط جديد
يطوق الميناء الذى سبق له أن شيده على البحر الأسود ليحمى الأجزاء الخلفية
للمدينة من أى هجوم تتعرض له من قبل الأتراك^(١) .

وقد واكب تلك الأحداث ظهور خطر قتل فى إرسال حاكم الصرب ويدعى
استيفن أورش الثانى "Stephen urosh II" (١٢٨٢ - ١٣٢١م) ،
سفارة إلى طرابيزون عارضاً رغبته فى الزواج من الأميرة إيدوكيا والده
الإمبراطور الكسيوس الثانى ، كما حملت هذه السفارة أيضاً رغبة الصرب فى
إبرام معاهدة صداقة مع طرابيزون. علماً بأن دولة الصرب، حينذاك ولم تكف
جيوشها عن الاعتداء على الأراضى البيزنطية سواء بالإستيلاء أو غزو
أراضيهـم ، الأمر الذى جعل الإمبراطور الكسيوس عاجزاً وأمام الرد على تلك
السفارة لرغبته فى عقد صداقة مع الصرب تحميه وإمبراطوريته من غزوهم
الصرب لأراضيه، فى حين رفض أمر زواج والدته من حاكم الصرب ، لأنها تعد
الزيجة الرابعة بالنسبة له وعندما عادت السفارة برفض المطلب الأول، والموافقة
على المطلب الثانى أرسل حاكم الصرب يعلن عن إصراره لإتمام تلك الزيجة
مضيفاً عبارات التهديد والوعيد بإتزال الويل على إمبراطورية طرابيزون
وإمعاناً فى إيجاد حل وسط يخلص الإمبراطور الكسيوس الثانى من تعنت

Finlay, Op. cit., vol. IV.P 393; Miller:Op. cit, P. 33 ; O.D.B. vol. III . P. 2112. (١)

حاكم الصرب المتمسك بمسألة الزواج من والدته. فقد وردت إليه فكره أخرى استطاع من خلالها تجنب إمبراطوريته الصدام مع الصرب، حيث أرسل إلى حاكمها طالباً الزواج من إحدى بناته. وبالفعل فقد ساعده ذلك على تخليص إمبراطوريته من خطر الصرب، وتشكل هذه الواقعة الحادثة الأخيرة في طور العلاقة بين طرابيزون والصرب، حيث توقفت المصادر عن سرد أى أحداث بين الطرفين ويرجع ذلك لإنشغال الصرب في ردع خطر الأتراك عن بلادهم^(١).

(١) Gregorae :op. cit., I, P. 203; Pachymeres : op. cit., II, PP, 273 -275.

- الصرب Serbia، ويطلق عليها أيضاً صربيا Serblia، وذكرت في فترة العصور الوسطى بالبلقان وعرفت كأبروشية في مقدونية. وفي المصادر اللاتينية كانت تطلق عليها أحياناً اسم Rascia , Raxia, Rassia، وقد اشتق اسمها من السلافى Rauska . وتطل السواحل الغربية للصرب على البحر الأدرياتي، يحدها من الشمال الشرقي، وفي الجنوب الشرقي توجد البلغار، بينما الأجزاء الجنوبية منها تطل على اليونان وألبانيا .

O.D.B. Vol . III, . 1871 .

- أما بالنسبة لاستيفن أورش الثاني Stephen Urosh II (١٢٨٢ - ١٣٢١) واجهت دولته في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي والرابع عشر حركات انفصالية قام بها عدد من النبلاء خاصة في زيتا Zeta، وكانت رد فعل لهجوم البيزنطيين والبلغاريين عليها، ولكن الحاكم الصربي أستطاع استغلال مناجم الفضة التي توجد في منطقة نوفوبردو Novo Brdo وغيرها في بناء قاعدة إقتصادية تساعده على مد نفوذ الصرب سياسياً. ونجح في أقتطاع جزء من نيقوميديا من البيزنطيين. وقد تزوج حاكم الصرب استيفن ثلاث مرات، الأولى كانت أبنته زعيم " فالاخيا" وذلك لبضع سنوات ثم سرحها وجرّد شقيقة زوجة أخيه من رداء الرهينة وتزوجها لكن كنيسةهم رفضت هذه الزيجة المحرمة فسرح زوجته هذه بعد سنين طويلة، وتزوج للمرة الثالثة من أخت زعيم البلغار ويدعى قنشرلاس Spendoot hlav ولم يرزق منهن بأولاد تتولى عرش البلاد خلفاً له، لذلك أخذ يفكر في الزواج للمرة الرابعة. وقد وقع اختياره على إيدوكيا بالبولوجوس التي رفضت رغبته وذلك لاختلافها لزوجها وتفرغها كلياً لصالح الشعب الطرابيزوني لمزيد من التفاصيل راجع .

Gregorae : op. cit., I, PP. 202 - 203; cF, O.D.B. vol : III, P. 1872 .

وقد واجه الإمبراطور الكسيوس الثانى كومينيوس مشاكل عديدة يأتى فى مقدمتها علاقته بالمدن الإيطالية التجارية مثل جنوه والبندقية^(١).

فكان الجنوبيون يتمتعون بامتيازات عديدة فى طرابيزون ترجع إلى آواخر القرن الثالث عشر الميلادى وكان أهمها إعفائهم من الرسوم الجمركية مما أدى إلى حسن العلاقات بين الطرفين الجنوى والطرابيزونى، ولكن لم تستمر الأوضاع على هذا الحال كثيراً، إذ سرعان ما اضطرت العلاقات بينهما عام ١٣٠٦م عند ما ضاق الإمبراطور الكسيوس الثانى ذرعاً من إزدياد النفوذ الجنوى داخل حدود إمبراطوريته، وعدم تفتيش بضائعهم بمعرفة موظفى الإمبراطورية، وإصرارهم على تخفيض الضرائب المقررة على تجارتهم اعتماداً على أن أباطرة القسطنطينية أعفوه من ذلك^(٢) ولكن لم يعطى الإمبراطور الطرابيزونى أى اهتمام لتنفيذ ما يطلبونه، وحينذاك هدده الجنوبيون بالرحيل عن

(١) Zakythions : Le chrysobulle d' Alexios III Comenos Emperry de Trebizond, P. 4.

(٢) Pachymeres:op. cit., II. P. 449; cF also, Miller : Trebizond the last Greek Empire, P. 31; Lopez, R. : Medival Trade in the Mediter-raean world, London, 1955, PP. 126 - 127; Dolger, Fr . Beitragezur Geschichteder, Byzantinischen Finanzer Waltung, und, II , Byzant: Archiv, Fasc. 9 (leipzig 1927) P. 95; Bratianu, op. cit,PP. 157, 173; O.D.B.vol . I,P. 80.

انظر أيضاً : هايد ، المرجع السابق، ج٢، ص ٨٤ - ٨٨، ٣٣٢ - ٣٣٣؛ ابراهيم خورشيد : دائرة المعارف، ج٣، ص ٥٢١ .

بلاده فلم يبد الإمبراطور عندئذ اهتماماً لتهديدهم بل اشترط عليهم لكى يسمح لهم بالرحيل لابد وأن يسددوا الرسوم المستحقة على بضائعهم فأصبح دفع الرسوم إجبارياً على الجنوية فى طرايزون منذ ذلك الوقت . ويبدو أن الكسيوس الثانى لم يهتم برحيلهم لأنه يعلم أن منافسيهم " البنادقة" ينتظرون أخذ أماكنهم فى طرايزون فضلاً عن أن الخسائر التى تعود عليهم لانقطاع حركة التجارة الجنوية مع طرايزون قد تكون أكثر من التى تصيب إمبراطوريته . وقد ترتب على ذلك اشعال الصراع بين الطرفين الذى تكبدوا خلاله الكثير من الخسائر فى الأموال والأرواح. وحاول الجنوية مخادعة الإمبراطور، فأشعلوا النيران فى ضاحية المدينة ولكن لسوء حظهم وصلت السنة تلك النيران إلى بضائعهم فى الميناء، وخسرت الجنوية على إثر ذلك الحادث خسائر فادحة فى العتاد والأرواح^(١).

جدير بالذكر، عندما استخدم الجنوية أسلوب التهديد والضغط على طرايزون كان ذلك يرجع إلى معرفتهم السابقة عن أهالى طرايزون بأنهم لن يساهموا فى التجارة بصفة عامة إلا بنصيب ثانوى وذلك لأنها تحتاج مجهوداً كبيراً فضلاً عن إقبالهم إلى الصناعات الصغيرة، مما جعل الجنوية يدركون المزايا العديدة التى تعود على الإمبراطورية الطرايزونية من وفود الأجانب

Pachymeres: Op. cit.,II, PP. 447 - 450.

(١)

إليها لتصريف منتجاتهم^(١).

ولم تشر المصادر عن طبيعة العلاقة بين الرعايا الجنوبية فى طرابيزون والإمبراطور الكسيوس الثانى خلال الفترة ما بين عامى ١٣٠٦ - ١٣١١م، إلا أنها على ما يبدو اتصفت بالعداء السافر بين الطرفين حيث أدى ما ناله الجنوبية من معاملة سيئة إلى تجديد النزاع بين الطرفين عام ١٣١١م، عندما تمرد الجنوبية فى طرابيزون هذه المرة اشعلوا النيران فى الترسانة البحرية وشهدت طرابيزون فى السنوات التالية سلسلة من المعارك بينهم وبين الجنوبية . الأمر ، الذى دفع طرابيزون للأخذ بالثأر مما فعله الجنوبية ببلادهم، حيث بادر الإمبراطور عام ١٣١٣م بعقد تحالف مع الأتراك فى سينوب. وقاموا بشن حملة على القرم حيث توجد المستعمرة الجنوبية فى كافا على البحر الأسود . ونجحت تلك الحملة فى مطاردة سفنهم فى البحر، ولكن استطاع ملاحوا الجنوبية من إغراق عددا كبيرا من سفن طرابيزون. وانتهى الأمر ، بأن أوقع كل من الطرفين بالآخر أضرارا جسيمة^(٢).

(١) Laiou - Anglikie: The Byzantine Economy in the Mediterranean trade System Thirteenth - Fifteenth, centuries, D. O.P. , Columbia (1980- 1981) N. 34 -35, P. 196; Bratianu: Le commerce Genoïse, P. 173; Bryer: Turkmens, P. 118.

وتساهم الحاصلات الزراعية فى طرابيزون بنصيب فى التجارة ومن أهمها الذرة، الجوز، البندق، الأرز، التبغ الشعير، الكتان بالإضافة إلى الفواكه على اختلاف أنواعها وأهمها العنب فضلاً عن المنسوجات، الجلود، الاسماك المعادن

- بطرس البستاني : دائرة المعارف الإسلامية ، ج٣ ، ص ٢٣٨ .

Zakythions, Op. cit., P. 39. (٢)

انظر أيضا : هايد ، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى ، ج٢ ، ص ٣٢٥ .

وفى تلك الأثناء تعرضت العاصمة طرابيزون لهجمات فاشلة للأتراك لم تؤثر على المدينة نفسها وذلك بسبب قوة أسوارها، ولكن نتج عن تلك الهجمات أن استطاع الأتراك فرض نفوذهم على طريق جبلى عند رأس جاثون Cape Jason^(١) وقد دفع هذا الهجوم الإمبراطور الكسيوس الثانى ، أن يعيد حساباته فيما يتعلق بالعلاقة مع الجنوية خشية حدوث أى تقارب منهم مع الأتراك مما يهدد سلامة وأمن الإمبراطورية ، فبادر بطلب عقد معاهدات مع الجنوية فى عامى ١٣١٤ ، ١٣١٦م. فأراد الجنوية استغلال تلك الأوضاع لصالحهم، وعندئذ طلبا الجنوية تعويضاً كبيراً من طرابيزون عن خسائرهم الفادحة التى تكبدتها فى حروبها فوافق الإمبراطور الكسيوس الثانى على مطالبهم^(٢) . وأعطاهم مقابل عقد الصلح موقعاً آخرأ عوضاً عن ضاحيتهم القديمة فى ليوننوكاسترون، ووعدهم ببناء أسوار وأبراج وفنادق كما منع رعاياه من الإقامة فى موقع الجنوية أو التحرش بهم . الأمر الذى دفع الجنوية على

(١) Lebeau: Histoire du Bas - Empire, T. XX, PP. 494 - 495.

- رأس جاثون Cape Jason ، وتعرف اليوم باسم اسنبونى Easonbourni، ويقع على مسافة ثمانية عشر ميلا من فاتزا "Phatza" ، وستة وثلاثين ميلاً من أونايون، ويتصل شاطئها بالقرم ، وبها مرس مملوء بصخور البحر. وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى مغامر يدعى جاثون، نجح فى التوصل إليها. كما يوجد فى جنوبها نتوء أحاطها منذ عهد قديم، وأيضاً كنيسة للعدراء مريم .

Ibid, P. 494.

(٢) Miller : Op. cit., P. 33; Bratianu :op , cit ., PP. 175 - 178.

انظر أيضا : هايدا ، المرجع السابق، ج٢، ص ١٣٤ .

إنشاء مستوطنات أخرى على طول سواحل البحر الأسود بإعتباره محطة بحرية قوية^(١).

وعلى الرغم من ذلك ، لم يشكل الإتفاق السابق اريتاحا للإمبراطور الكسيوس الثانى ، حيث اعتبره فرضاً من الجنوية على اقتصاد بلاده ولذلك أخذ يتحين الفرصة التى تمكنه من محو هذه السيطرة دون أن تؤثر عليه خارجياً أو داخلياً . ووجد ذلك فى البنادقة حيث استغل فرصة صداقته الحميمة مع دوق البندقيه حنا سورنزو "Jean Soranzo" (١٣١٢ - ١٣١٨) ^(٢).

(١) Miller : op . cit; P. 37; Zaky thions : op . cit., PP. 41 -42.

انظر أيضاً : هايد ، المرجع السابق، ج٢، ص ٣٣٥ - ٣٣٧ .

- اما عن ليونوكاسترون ، تحريفاً لكلمة قلعة الأسود، وهى ضاحية فى طرابيزون. كانت تلك القلعة تشكل جبهه متقدمة تشرف على البحر الاسود برصيف يسمى دافنوس "Daphnus" . وكان لهذا الموقع مزايا عديدة نظراً لموقعه بجوار الميناء أيضاً وعلى مرتفع يشرف على كل المدينة ولازال بهذا الموقع آثار لابنية من صنع الجنوية .

- هايد : المرجع السابق، ج٢، ص ٣٣٤ .

(٢) Thomas, G- Predelli, Th.: Diplomatorium Veneto - levantinum, Venetiis, 1880, Pars, 1, P. 122.

حنا سورنزو "Jean Soranzo" دوق البندقية فى الفترة ما بين عامى (١٣١٢ - ١٣١٨م) كان يعمل كقائد لأسطول بندقى يضم خمس وعشرون سفينة، تمكن بفضل أسطوله الدخول فى حروب بحرية ضد الجنوية بل واحتل مدينة كافا عام ١٢٦٩م لبضع سنوات ، لم تحددها المصادر أو المراجع. وكما نجح حنا فى وضع حد لهجمات المغول على تلك المدينة .

Romanin, S.: Storia documentata di Venezia, Venise, 1913, III, P.89;

Zakythions. Op. cit ., P. 42 .

وعقد مع البنادقة معاهدة تجارية كانت بمثابة ضربة قاصمة للتجارة الجنوبية وفي نفس الوقت كانت تلك المعاهدة مصدراً لانتعاش التجارة في طرابيزون أدت إلى ازدهار ورخاء البلاد ^(١). ففي عام ١٣١٩م عقدت المعاهدة بين سفير البندقية، بايتليون ميخائيل Pintaleon Michiel، والامبراطور الكسيوس الثانى كومينيوس، منح من خلالها البنادقة لأول مرة حق تنظيم مرسى فى طرابيزون وأسوة بالجنوية. وبذلك يكون البنادقة منذ ذلك التاريخ قد وضعوا أساس أول مستعمرة تجارية لهم فى طرابيزون ^(٢).

(١) Thiriet, Fr.: Le Venitiens en Mer Moire, Athena, 1979, P. 42.

انظر أيضاً : فايز اسكندر، دراسه الاتفاقية تجارية بين امبراطورية طرابيزون والبندقية، ص ١٢ - ١٣.

(٢) Bratianu : op. cit., P. 286; Miller: Trebizond, P. 38; Zakythions: op. cit., PP. 6, 92; O.D.B. Vol : I, P. 64.

انظر أيضاً : هايد ، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى ، ج٢ ، ص ٣٣٧ - ٣٣٨ ، ٣٤٠ .
أما عن معاهدة طرابيزون والبنادقة، نلاحظ أن الإمبراطور حرص على جعلها متساوية تماما مع معاهدات الجنوية، حيث رخص لهم إستعمال موازينهم ومكاييلهم ، وأن يكون لهم وسطاء وسماسة من جنهم، وجعل الرسوم الجمركية المفروضة على الأمتين متماثلة تماماً، كما حددت رسم المرور بمبلغ عشرون آسبر aspres وذلك عن حمولة الدابة الواحدة ، فإذا إستوردوا البضائع من الإمبراطورية لبيعها يحصل الدوق عن كل من البائع والمشتري رسماً مختلفاً، تبعاً لجنسيته ، إذا كانت السلعة تباع بالوزن أو الكيل لأفراد غير بنادقة يدفع البائع ثلاثة فى المائة ورسماً إضافياً يتروح ما بين واحد ونصف وأثنان فى المائة من قيمة السلعة . وقد عاجلت المعاهدة أمر البضائع التى يأتى بها البنادقة من داخل أسيا الصغرى فيفرض عليها عند دخولها رسماً قدرة أثني عشر آسبر. كما يفرض على كل السلع التى تباع داخل الإمبراطورية رسم إنتاج قدرة واحد فى المائة .

- هايد : المرجع السابق، ج٢، ص ٣٣٩ - ٣٤٠ .

وقد أسفرت سياسة الإمبراطور الكسيوس تجاه عقد معاهدات تجارية مع أكبر المدن التجارية في إيطاليا إلى ازدهار بلاده ورخائها وذاع صيت طرابيزون في العالم كافة، وفي إيطاليا بصفة خاصة، الأمر الذي شجع بابا روما في ذلك الوقت ويدعى هنا الثاني والعشرون John XXII (١٣١٦ - ١٣٣٤م) على مراسلة الإمبراطور الكسيوس الثاني وذلك للقيام بمحاولة توحيد الكنيستين الشرقية والغربية^(١) ولكن لم تخرج تلك المحاولة إلى حيز التنفيذ لوفاة إمبراطور طرابيزون عام ١٣٣٠م. وجاءت وفاته نذيراً باشتعال نار الحروب الأهلية في طرابيزون مرة أخرى طمعاً في تولي عرش الإمبراطورية. وقد ساعد على زيادة اشتعالها النزاع بين أبناء الكسيوس الثاني كومينيوس. ولذا فقد أطلق على الفترة اللاحقة لحكم الإمبراطور الكسيوس فيما بين عامي (١٣٣٠ - ١٣٤٩م) بعصر الفوضى والحروب الأهلية كما سيتضح فيما بعد. وقد شجع هذا الأمر أعلاء الإمبراطورية على غزوها وعادت الأخطار الخارجية تهدد طرابيزون والتي سبق واستطاع الكسيوس القضاء على خطرها طوال فترة حكمه^(٢).

كيفما كان الأمر فقد تولى أندرونيقوس الثالث Andronikos III في عام ١٣٣٠م عرش الإمبراطورية الطرابيزونية لمدة عامين خلفاً لأبيه بصفته أكبر أبناءه سناً، وقد عزم أندرونيقوس على تأمين عرشه معتمداً على مساندة

Wadding. L. : Annle Minorum, Flor entian, 1932, Vol.II, (١)

P. 359; Dictionnaire de Theologie Catholique, paris. 1942,

T. VIII, pp. 633 - 634.

Finlay : History of Greek , Vol . IV , P. 436.

(٢)

الأتراك له وكان كثير الشك والريبة فيمن حوله ، الأمر الذي جعله يقتل أخويه ميخائيل Micheal ، جورج Gorge ، بينما نجح أخوه الثالث ويدعى بازيليوس Basilies وكذلك عمه ميخائيل تجنب نفس المصير فاضطرا إلى الفرار ولجأوا إلى القسطنطينية بينما كان أندرونيقوس يقترب تلك الجرائم بحجة الدوافع السياسية وما تقتضيه مصلحة الإمبراطورية^(١).

وبعد أن توفي أندرونيقوس في يناير ١٣٣٢م، خلفه على عرش طرابيزون، ابنه مانويل الثاني كومينيوس Manuel II Comnenos ، لمدة عام واحد ، باعتباره أكبر أبنائه وكان يبلغ من العمر حينذاك ثمانية أعوام . وكانت جرائم والده قد أفسدت المجتمع تماما وصبغته بالرديلة ، مما أعطى الفرصة لأولئك الذين يأملون في الحصول على الثروة والقوة في إثارة الحروب الأهلية والاضطرابات الفردية لأعضاء الأسرة الإمبراطورية، وتحريض الأهالي للقيام بالثورة العصيان وذلك لإرضاء طموحاتهم وأصبحت المدينة خلال حكم مانويل الثاني مسرحاً للفوضى كما شهد القصر الملكي العديد من أعمال سفك الدماء ، فكان وزراء الدولة والقساوسة والنبلاء وحكام الأقاليم وقادة الجيش الطرابيزونى يقدمون على تدبير المكائد لبعضهم البعض للفوز بالزعامة في

(١) Finlay : op . cit ., Vol . IV , P. 359; Miller : op . cit., P. 43;

Lebeau: Histoire du BasEmpire, T. XX, P. 483.

- أندرونيقوس الثالث كومينيوس Andronikes III Comnenos (١٣٣٠ - ١٣٣٢م)، ابن

الإمبراطور الكسيوس الثاني، وقد أنجب طفلاً واحداً، ويدعى مانويل الثاني.

Finlay : Op. cit ., Vol. IV, P. 436 .

البلاط الإمبراطورى ولعل ذلك مرجعه إلى الضعف الذى سرعان ما انتشر فى أنحاء الإمبراطورية وأدى إلى إثارة روح الحقد والغيرة بين الجماعات أو الأحزاب المختلفة التى عرفتها أرض طرابيزون والذى تمثل فى طبقتين هما النبلاء البيزنطيين أولاً، وهم الذين جاءوا من القسطنطينية مع آل كومينيوس فى بداية القرن الثالث عشر الميلادى وفمت فى طرابيزون ، أما الثانية، فهى الطبقة الأرستقراطية التى كانت تعيش فى طرابيزون، عندما أتى آل كومينيوس إليها، وتشمل بعض الأسرات المحلية وأهمها تزانخيتس Tzanichites، وأيضاً كامخينوس Kamachenos، وينحدرون من قلعة كامخ Kamkh ، بالطرف الغربى من أرمينيا حيث يقطنون الغابات الخلفية لمدينة طرابيزون . فضلاً عن وجود أحزاب وطنيه فجحت فى بسط نفوذها على المقاطعات الإمبراطورية واستطاعت أيضاً أن تكسب إلى جانبها النبلاء البيزنطيين الذين يمثلون الحزب الملكى فى الإمبراطورية الطرابيزونية . بالإضافة إلى الصراعات الدائمة بين أفراد آل كومينيوس للمطالبة بأحقيتهم فى حكم البلاد^(١).

وفى غمار هذه الأحداث وجد الأتراك أن الوقت مناسب لكى يقوموا بغزو طرابيزون منتهزين فرصة الفوضى والنزاعات التى عمت أرجاء الإمبراطورية

(١) Gregorae: op. cit., 1, pp. 548-551., Miklosich , F. and Muller, J.: Acta at Diplomata Graca, Medi, Avi, Sacra et profan, Vienna, 1860, T. 1, p. 201; Franzius: History of Byzantine, p. 417; Finlay: op. cit., Loc. cit; Miller: Trebizond. p. 43.

والتي جعلتها على حافة الانهيار فضلاً عن أن الدويلات التركية الصغيرة التي قامت على أنقاض الدولة السلجوقية أصبحت تتآخم طرابيزون وهي دويلات قصطموني في الغرب ومعها سينوب، وفي الجنوب أسرة ذي القدر، وفي الجنوب الشرقي التركمان "الآق قويونلي". وقد شجع الأتراك على ذلك أن نفوذ المغول أخذ في الاضمحلال في العقد الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي^(١) الأمر الذي دفع الأتراك لشن هجوم مفاجئ على طرابيزون عام ١٣٣٢م، ولكن

Miller : Op. cit. Loc. cit.

(١)

انظر أيضاً : ابراهيم خورشيد، المرجع السابق ، ج٣، ص ٥٢١ .

- الآق قويونلي Akkounly، أي قبيلة القطيع الأبيض، وهي أسرة من تركمان آسيا الوسطى ، ويطلق عليها أيضاً بانيديريه لاتصال نسبها بديار بانيدير الأبن الأكبر (كوك خان)، قد جاءوا من بلاد التركستان عابرين نهر جيحون واستقروا في الوديان العليا لنهر الفرات ودجله كما أقتربوا من مقاطعات بنطس وأسسوا مقاطعات في مناطق تتميز بحصانتها مثل بايبرت Bayburt وأردنجان Erzican وذلك في القرن الرابع عشر الميلادي ، وساعدهم على تحقيق ذلك، غزوات المغول المخربة التي تركت مجالاً لهؤلاء السكان الجدد. وقد أطلق عليهم القطيع الأبيض، نسبة إلى إشارات اعلامهم وأشتهروا أيضاً بإقتناء الشياه البيضاء. وقصد والوا توسيع نفوذهم والدليل على ذلك عندما بدأت فتوحات يتمورلانك كانت معظم بلاد النهرين وأرمينيا الغربية التي تشمل أرزن الروم وأردنجان في أيديهم. وبعد بهاء الدين قره عثمان مؤسس هذا القطيع ولقب أيضاً باسم كارايولوك Kara Yolouka. وقد حارب أمراؤها كلا من القره قويونلي وهم التركمان من القطيع الأسود و الكرد الأيوبيين، الكرج والعثمانيين .

Zachariadou : Trabizond, P. 341.

أنظر أيضاً : صلاح حسين ، العراق في التاريخ ، بغداد، ١٩٨٣، ص ٥٦١ - ٥٦٢؛ ابراهيم خورشيد : المرجع السابق ، ج٤ ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

فجح مانويل الثانى كومينيوس فى التصدى لهم وإحباط محاولاتهم بفضل مساندة جميع الأحزاب بالعاصمة ، وكان لهذا الأمر أثر كبير حيث أدى إلى حدوث اضطرابات داخل أسوار العاصمة ، ورغم النصر فقد أصاب الشعب والرعب خوفاً على مصير الإمبراطورية ، فقام بتأييد النبلاء البيزنطيين لوضع نهاية لهذه الحكومة الفوضوية التى يتولاها إمبراطور لايزال قاصراً. الأمر الذى دفعهم إلى الإرسال فى طلب بازيلوس Basilios من القسطنطينية ليتولى عرش إمبراطورية طرابيزون . ولقد وصلها الأخير فى سبتمبر عام ١٣٣٢م، وقام بعزل الإمبراطور مانويل الثانى، وأعتقله فى مكان منعزل لمدة ثمانية أشهر ثم دبر مؤامره لاغتياله، واعتلى عرش طرابيزون تحت إسم بازيلوس الثانى Basilios II^(١).

وعندئذ أعطى الفرصه لمؤيديه وأنصاره لارتكاب أعمال مشينة. وقد استمر حكم بازيلوس سبع سنوات وستة أشهر أساء خلالها معاملة باقى

(١) Zachariadou: Op. cit., P. 343; Finlay : Op. cit., Vol . IV, P.

360; Miller : Trebizond, P.43 ; lebeau :op. cit. Loc. cit.

- بازيلوس الثانى Basilios II (١٣٣٢ - ١٣٤٠م) وهو الابن الثانى للإمبراطور السابق الكسيوس الثانى كومينيوس . وكان للإمبراطور بازيلوس أربعة أولاد من أمراه طرابيزونية تدعى : إيرنى، وهما الكسيوس Alexios، الذى توفى صغيراً وحنا John ، الذى أصبح الأمبراطور السابع عشر لطرابيزون ، تحت إسم الكسيوس الثالث AlexiosIII، الذى ولد عام ١٣٣٧م ثم ماريا Maria، التى تزوجت عام ١٣٥٢م من كيتلج بك Kovtloubeg زعيم التركمان من القطيع الأبيض ، ثم نيودورا Theodora، التى تزوجت عام ١٣٥٨م من أمير خلايا .

Finlay : Op. cit., Vol. IV, P. 437.

النبلاء فى المقاطعات الطرابيزونية وذلك فى محاولة منه لاضعاف قوتهم التى اكتسبوها خلال فترة الفوضى السابقة، وقد اعتمد الإمبراطور بازيلوس الثانى كومينيوس علي مزيج من قوات الفرنجة والأيبيريين والبيزنطيين لحمايته ضد أعدائه المتربصين به وذلك لحراسة القلعة والقصر الإمبراطورى بعد أن فقد الثقة فى حماية حزب السكولاريوى Scholarioi. وقد انتهزت تلك الحماية الفرصة، وقامت بعمليات السلب والنهب داخل الإقليم مما زاد من عدم رضا الشعب الطرابيزونى لحكم بازيلوس، بالإضافة إلى سلوكه الشخصى وأسلوبه فى بسط نفوذه على للإمبراطورية خاصة بعد أن تزوج من إيرينى، الإبنه غير الشرعية الإمبراطور البيزنطى أندرونيقوس الثالث باليولوجوس Andronikos III Palaiologos^(١).

Gregorae : op . cit, II, P. 536.

(١)

- السكولاريوى Scholaioi، وهو أحد الأحزاب الوطنية فى طرابيزون، ولم تشير إليهم المصادر أو المراجع، لكنهم نجحوا فى بسط نفوذهم على مقاطعات الإمبراطورية وأكتسبت تأييد وتعاطف النبلاء البيزنطيين لهم . وكان للحزب دوراً هاماً فى تسير شئون الإمبراطورية كما سيتضح فيما بعد .

Gregorae: Op. cit, Loc . cit; Miklosich et Muller: op . cit ., P. 210

- أندرونيقوس الثالث باليولوجوس Androikos III Palaiologos ، إمبراطور القسطنطينية فيما بين عامى (١٣٢١ - ١٣٤١م)، وهو حفيد الإمبراطور أندرونيقوس الثانى (١٢٨٢ - ١٣٢٨م) . كانت الفترة الواقعة بين عامى (١٣٢١ - ١٣٢٨م) مليئة بالحروب بين الجد و حفيده، ولم يعد السلام إلا بعد وفاه الإمبراطور الكهل بعد حروب طويلة بينهما لم تنته إلا عام ١٣٢٨م عندما أعترف الرجل المسن بأندرونيقوس الأصغر وريثاً له وشريكاً على عرش الإمبراطورية. وقد تعرضت بيزنطة فى عهد أندرونيقوس الثالث لخطر الأتراك الذين نجحوا فى الاستيلاء على بروسه عام ١٣٢٦م، نقيه عام ١٣٢٩م، ونيقوميديا عام ١٣٣٧م، وضاعت الولايات الإمبراطورية الآسيوية وتوفى أندرونيقوس عام ١٣٤١م تاركاً أملاكه المتداعية معرضه لأخطار الأتراك لمزيد من التفاصيل راجع أيضاً .

- أومان، الامبراطورية البيزنطية، ص ٢٤٧ - ٢٤٩؛ جوزيف نسيم : تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٨٣ ، ٢٨٥ .

ومعاملة الإمبراطور بازيلوس الثانى لزوجته معاملة سيئة، اضطرت رجال الدين فى القسطنطينية إلى مخاطبة القساوسة فى طرابيزون بخصوص هذا الشأن، ولكن الآخرين أنكروا ما وصل من أخبار إلى القسطنطينية . ومما زاد الطين بله، حياة الفسق التى كان يحيها بازيلوس مع إحدى نساء طرابيزون وتدعى إيرينى أيضا . فضلاً عن المؤامرة الفاشلة التى دبرها للتخلص من زوجته الأولى إيرينى باليولوجوس، وكانت كل هذه الأمور محل إثارة الشعب ضده وغضب رجال الدين فى طرابزون والذين اضطروا إلى تهديده بإصدار قرار الحرمان ضده ولكنه قابل ذلك التهديد بإزدراء ^(١) ويرى الباحث أن موقف الإمبراطور من ذلك التهديد يرجع لإدراكه أن رجال الدين فى طرابيزون وقتئذ لم تكن لديهم القدرة على تنفيذ تهديدهم للإمبراطور .

وقد زاد من حالة الاضطراب، تعرض طرابيزون عام ١٣٣٦ م لهجوم مفاجئ من الأتراك، دار خلاله القتال بين الطرفين عند أسوار سانت كيراكيس St, Cyriacus، ورغم ما انتهى إليه القتال بهزيمة الأتراك حينما هبت عاصفة شديدة وأمطار غزيرة أفقدتهم القدرة على مواصلة القتال وأدت إلى هزيمتهم ومصرع قائد جيوشهم أثناء هروبه من ساحة القتال ، إلا أن ذلك لم يعط السعادة الكاملة لشعب طرابيزون بسبب الظروف السيئة التى يعيشونها ^(٢).

(١) Gregorae : op. cit . II , PP. 548 - 551.

(٢) Miller: Trebizond, PP. 46 -47; Lebeau : op . cit, T.XX, PP. 483 - 484.

سانت كيراكيس St, Cyriacus، هو عبارة عن دير يوجد على إمتداد طرابيزون فى مكان حصين خارج أسوار العاصمة طرابيزون .

Lebeau: op. cit, T. XX, p. 483., O.D.B. Vol. III, p. 2112.

وفى ذات الوقت نفسه حدث كسوف للشمس مما أصاب الشعب بالفرع والخوف وفسروا ذلك بأن الله قد حل بالإمبراطورية غضبه، لما يقتصره الإمبراطور من آثام فقام الشعب بالتجمع أمام قلعة الإمبراطور التى احتوى بها، وألقوه بالحجارة تعبيراً عن سخطهم إذاء حكمه السيئ^(١).

وبالرغم من تلك الظروف ، نجد الإمبراطور بازيلوس الثانى قد نال موافقة قساوسه طرابيزون بإعلان زواجه الثانى من إيرينى الطرابيزونية عام ١٣٣٩م، دون أن تشير المصادر إلى الطريقة التى أقنع بها الإمبراطور قساوسته إن كانت بالترغيب أو التهيب . وتظاهر الإمبراطور أنه لايعرف أن زواجه غير شرعى، خاصة بعد أن فشل فى الحصول على طلاق زوجته الأولى إيرينى باليولوجوس . وقد اضطر إلى إعلان زواجه من هذه المحظية لكى يفتح الطريق أمام أبنائه منها ليخلفوه فى تولى عرش الإمبراطورية لاسيما وأن زوجته الأولى لم تنجب أطفالاً.

وبعد فترة مرض لم تستمر طويلاً، توفى الإمبراطور بازيلوس الثانى كومينيوس عام ١٣٤٠م إثر مؤامرة دبرتها إيرينى باليولوجوس مع بعض النبلاء الذين وعدوها بإعتلاتها على عرش طرابيزون ولعل ذلك الاتهام كان بمثابة إشاعات افتراء على الإمبراطورة، ولكنها كثير ما ترددت فى القصر الإمبراطورى آنذاك باعتبارها المستفيدة الأولى بالتخلص من الإمبراطور

Finlay : History of Greece, Vol. IV , P. 361; Miller : op . cit. Loc (١)
cit; Lebeau, op. cit . Loc . cit .

بازيليوس الثانى كومينيوس^(١) .

وسرعان ما استولت زوجته الشرعية إيرينى باليولوجوس على الحكم وأمرت بنفى الزوجة الثانية مع أطفالها إلى القسطنطينية ، كرهينة حتى يعود الهدوء إلى طرابيزون ولتضمن الانفراد بالحكم، كما لجأت إيرينى إلى اتباع سياسة الاعتدال فى تعاملها مع المعارضين لحكمها فى طرابيزون، والذين ثاروا بسبب نجاح خططها التى حطمت كل ما يصبون إليه فى الإستيلاء على الثروة والقوة، وعلى الرغم من سياسة إيرينى إلا أن الحرب الأهلية سرعان ما اندلعت بمجرد اعتلاء إيرينى لعرش الإمبراطورية. وقد استفحل الأمر خطورة عندما انقسمت طرابيزون إلى حزين الأول، هو الحزب المعارض للإمبراطورية إيرينى ويطلق عليه حزب الأمة وكان يتزعمه السكولاريوى Scholarioi، ويشمل بعض الأسر المحلية فى طرابيزون مثل دورانتوس Doranites، والكاباسيتس Kabasites، فضلاً عن حماية عسكرية من الحرس الإمبراطورى ظلت على ولائها لذكرى الإمبراطور السابق بازيليوس بالإضافة إلى جموع الشعب فى طرابيزون، وأولئك الذين بغضوا حكم إيرينى بإعتبارها دخيله قسطنطينية على بلادهم وقد ألفوا سابقاً حكم كومينيوس. وكان لهذا الحزب دوره الكبير فى التأثير على السياسة الطرابيزونية. وفق ما سوف سيتضح فيما بعد. وقد عبر المعارضون عن

(١) Gregorae: op. cit. II, P. 551, Cf also, Finlay: op. cit, Vol .IV, PP. 360- 363, 437.

سخطهم بالاستيلاء على دير سانت إيجينوس St, Eugenios^(١) ، أما الحزب الآخر هو المؤيد لسياسة حكم الإمبراطورة إيريني باليولوجوس ويتزعمه اميتزانثورانتا Amytzentorantai مع بعض المرتزقة الإيطاليين والبيزنطيين وبعض النبلاء، الذين تمسكوا بالقلعة مع الإمبراطورة . وقد أدى الخلاف بين الحزبين إلى وقوع صراعات ومنازعات بينهم استمرت لمدة شهرين دون أن تؤدي إلى نتيجة حاسمة، حتى انضم للحزب المؤيد خصى يوناني يدعى حنا ، كان يشغل منصب الدوق العظيم في عهد الإمبراطور السابق بازيلوس الثاني ، على أية حال استطاع حنا إستغلال الظروف التي تمر بها الإمبراطورية ونجح في الاستيلاء على قلعة ليمينا Liminai واعتبرها ملكاً خاصاً له .

(١) Miller: Trebizond, P. 47; Finlay : op . cit., Vol. IV, P. 360.

- بالنسبة لدير سانت إيجينوس St. Eugenios، شيده الإمبراطور جستنيان الثالث (٦٨٥ - ٦٩٥م) أكراماً وتعزيراً للقديس الشهيد حامل هذا اللقب، ويقع إلى الشمال منها قلعة طرايزون . وغرباً تطل على إعتداد جبل ميثرس Mount Mithiros . وبذلك تشغل موقعاً متميزاً، وعندما أستولى السلطان محمد الثاني على المدينة حولها إلى مسجداً وأصبحت تلك المنطقة تعرف بإسم " مسجد الجمعة الجديد Yeni Djouma Djami ووصفت بالتفصيل بواسطة كل من , Baklanov Millet . ولقد عانت من نكبات عديدة فتهدم سطحها عندما تعرضت للحريق في أعوام ١٣٤٠م، ١٣٥٠ . وكلف أباطره طرايزون ترميمها مبالغ باهظة.

Rice,T.: Natice on some Religious Buliding in the city and Vilayes of Trebizond, B., (1923 - 1930) Paris, Vol :IV., P. 54; lebeau: op. cit., P. 485; Blakonov, N.: Deux monuments Byzantins des Trebizond, B., Paris 1932, PP. 361, 391

وقد أقتضت مصلحته بعد ذلك إلى الانضمام للإمبراطورية . وقد نجح هذا الخصى فى الاتصال بأتباعه فى طرابيزون وقاموا بمحاصرة حزب الأمة فى ديرسانت إيجينيوس، وهاجموهم بقوة واستخدموا فى ذلك المجانيق والكرات النارية التى قذفوا بها داخل المكان واشتعل الدير والكنيسة ورسومات الجدران القديمة . ولقد كان ذلك الدير بمثابة مأمن للإمبراطورية البيزنطية فى طرابيزون. وقد نجح هذا الخصى أن يأسر قائد حزب الأمة وبعض أفراد السكولاريوى وقام بإرسالهم إلى ليمينيا كأسرى وهناك لقواحتفهم فى العام التالى^(١) .

ولقد عبرت تلك الحروب الأهلية عن حالة الفوضى والاضطرابات التى أدت إلى سوء الأحوال السياسية بالإمبراطورية والتى ستترك أثراً على كيانها وقوتها وتقلل من قدرتها على مواجهه أى اعتداء خارجى من القوى المترصة لها فى الظروف الراهنة^(٢) .

وجدير بالذكر ، فقد استغل الأتراك فى Amidi ، تلك الظروف الصعبة التى تمر بها الإمبراطورية وشنوا هجوماً عليها عام ١٣٤٠م ولكنهم هزموا هذه المرة أيضاً بدون مقاومة من الشعب اليونانى بسبب هبوب رياح

(١) Finlay: History of Greece, Vol . IV, P. 363; Miller : op . cit., PP. 47 -48.

- أميتزانثورانتا . ويطلق ذلك الاسم على أمير أو رئيس الحجاب فى القصر الإمبراطورى ومن ثم تلك الأسره اشتقت من ذلك الاسم . وكان يعرف صاحبه سابقاً بنشاطه فى بلاط القسطنطينية.

Lebeau : op. cit., T.XX, P. 488 .

Finlay : op . cit ., Loc . cit . (٢)

عاصفة نتج عنها حريق متأجج فى كل طرابيزون من الدخل والخارج ، فاضطر غالبية أفراد الشعب للجوء إلى الكنائس. بينما تعرض بعضهم وخیولهم للنيران التى أبادتهم حتى نجم عنه تعفن الجثث المحترقة وانتشار الأوبئة فى طرابيزون بدرجة كبيرة ^(١). إلا أن تلك الهزيمة القاسية لم تثن أترك آمد عن محاولة تكرار الهجوم مرة أخرى على طرابيزون أملاً فى إسقاطها. فقاموا بمعاودة الهجوم مرة أخرى على طرابيزون فى محاولتين متقاربتين فى الفترة الزمنية من عام ١٣٤١م، ولكنهما أيضاً لاقيتا نفس المصير وهو الفشل ^(٢).

وفى تلك الأثناء ، أرسلت الإمبراطورة إيرينى باليولوجوس برسالة إلى والدها الإمبراطور اندرونيقوس الثالث باليولوجوس تطلب منه أن يرشح لها

(١) Miller: Trebizond, P. 49; Finlay : op. cit., Vol . IV, P. 367 .

- آمد Amidi ، يطلق عليها أيضاً ديار بكر Diar Bakr ، نسب إلى بكر ابن وائل بن ربيعة، عاشت قبيلة بكر فى تهامة باليمن واليمامة والبحرين إلى حدود الجزيرة وسكنت قبيلة أيضاً أماكن فى بلاد فارس وخاصة إقليم خراسان ولكنها نزلت بالجزيرة فى نواحي آمد. وكانت تعرف قديماً بإسم آمد Amada علماً بأن إسمها الأصلي هو " قره آمد" أى الآمد السوداء لأن أسوارها كانت عن البازلت الأسود. وقد أطلق على الأتراك فى آمد إسم اميتيوتا Amitiotai وذلك الإسم أطلقه الطرابيزونيون فى القرن الرابع عشر الميلادى على مركز التركمان فى أناطوليا الوسطى منذ النصف الأول من ذلك القرن . ولقد صادفت هؤلاء المتاعب فى بداية الأمر ودارت بينهم وبين الطرابيزونيين منوشات كثيرة حول المراعى .

Bryer: Turkmens,P. 134; Zachariadou: op. cit., PP. 339 - 341.

انظر أيضاً : ابراهيم خورشيد، دائرة المعارف ، ج٧، ص ٤٧٥ .

Zachariadou : op. cit. Loc. cit .

زوجاً من بين النبلاء البيزنطيين، ويكون له حظوة لدى أبيها وذلك ليصبح إمبراطوراً على طرابيزون ويتولى إدارة مصالحها ويقود حروب الإمبراطورية بل ويساعدها فى قمع الشعب الطرابيزونى المتمثل فى تدبير المكائد المستمرة ضد حكمها. وعندما وصل المبعوثان إلى القسطنطينية وجدوا الإمبراطور أندرونيقوس خارج البلاد فى حرب ضد أبيروس فقرروا الانتظار حينما يعود من حربه ^(١). وكانت إيرينى فى هذا الوقت قد أقامت علاقة غير شرعية مع أحد الوطنين العظام، لم تحدد المصادر اسمه، لكن هذه العلاقة قادت بها إلى التحيز إلى شخصيات قليلة منحتهم بعض الهبات، الأمر الذى أدى إلى انقسام بلاطها إلى أحزاب. وبذلك قدمت إيرينى الفرصة مرة أخرى إلى أعدائها القدامى الذين نجوا من نكبة سانت إيجينيوس لإشهار سلاحهم فى وجهها مرة أخرى وبذلك انفجرت عاصفة جديدة على الإمبراطورة المخادعة ^(٢).

وفى نفس العام ١٣٤١م توفى الإمبراطور البيزنطى أندرونيقوس الثالث باليولوجوس دون أن يحقق مطلب ابنته فضلاً عن تولى أمر إدارة الإمبراطورية البيزنطية خلفاً له حنا كانتا كوزينوس John Cantacuzenus، وكان قد رفض تلبية مطلب إيرينى فى إرسال زوج لها. لأنه أدرك عدم موافقه أهل طرابيزون على أى فرد من بيزنطة يتولى أمرهم ويرجع ذلك إلى تقليد متبع

(١) Gregorae: op. cit., II, P. 679; CFalso, Lebeau: op. cit., T

CXV, P. 124.

(٢) Finlay : op. cit., Vol . IV, P. 365.

لديهم يقضى بضرورة انحذار حكامهم من سلالة الكومينيوس هذا إلى جانب أن حنا كانتاكوزينوس كان قد عزم على إرسال حاكم جديد على طرايزون من سلالة كومينيوس وهو ميخائيل كومينيوس^(١) ، شقيق الإمبراطور السابق الكسيوس الثاني، وعم بازيلوس الثاني، وكان رجلاً طاعناً في السن يبلغ من العمر ستة وخمسين عاماً كان قد نجح في الفرار إلى القسطنطينية خوفاً من بطش بازيلوس كما سبق الإشارة^(٢).

Gregorae : op. cit., II, P. 679 .

(١)

- حنا كانتا كوزينوس John Cantacuzenus . ولد عام ١٢٩٥م، وتوفي عام ١٣٨٣، كان والده حاكماً على البيلونيز Peloponnesa من أسرة كانتاكوزينوس الإرسقراطية . وكان حنا صديقاً حميماً للإمبراطور أندرونيقوس الثالث وأصبح أكبر وزرائه وكان رجلاً من رجال البلاط البيزنطي واجتهد كثيراً لتقليد سيرة الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوجوس وعزم على تقليده وعندما سنحت له الفرصة لمنصب الوزير . كما سبق وأيد عصيان أندرونيقوس الثالث ضد جده (١٣٢١ - ١٣٢٨م) وظل قائده ومتشاره طوال فترة حكمه وبعد وفاه أندرونيقوس ترك وريثاً يبلغ من العمر تسع سنوات، هو حنا الخامس باليولوجوس John V Palaiologos . وعندئذ فشل كانتا كوزينوس في الاحتفاظ بمركزه ككبير الوزراء ونائب الملك ، جاهد بقوته ضد الإمبراطورة آنا أف سافوا Ann a of Svaoyol على العرش الإمبراطوري . وسرعان ما أندلعت الحرب الأهلية بين حنا باليولوجوس وحنا كانتاكوزينوس ، أنتهت بتحول الأخير إلى حياه الراهبه وعرف باسم الراهب جوزيف .

Nicol, The by zantine family of kantakouzens, PP. 88. 89;

Iorgo,N.: Latins et Grecs d'Orient et L' Etablissement des Turcs en

Europe. B.Z., 15(1906) P. 22., O.D.B. Vol. II, P. 1050.

انظر أيضاً : أومان، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٤٩ - ٢٥٣ .

(٢) أنظر ما سبق، ص ٥٧ .

وفى زحمة هذه الظروف ظهرت أنا أناكتيلو، الوريثة الشرعية للإمبراطور بازيلئوس الثانى. وكان ذلك فى وقت فضلت فيه كل أقاليم الإمبراطورية العيش تحت سيادة البيت الكومينى عن سيادة سلسلة آل بالولوجوس البيزنطى، بالإضافة إلى أن إيرنى فقدت شعبيتها فى طرابيزون بسبب الخسائر التى تكبدها الطرابيزونيون من حملته أترك آمد على العاصمة وبعد الهجوم الثالث لهم فى نفس العام (١٣٤١م) وما نجم عنها من خسائر بالإضافة إلى تصرفاتها المشينة . الأمر الذى ساعد أنا فى الاستيلاء على لازا Laza ، وتدعيم الرأى العام لقانون أساس فى طرابيزون ينادى باقتصار حكم الإمبراطورية على أسرة آل كومينيوس العظام فقط . وبذلك نجحت أنا فى الاستحواذ على عرش طرابيزون باعتبارها الوريثة الشرعية لأسرة كومينيوس . وأعلنت بالفعل إمبراطورة فى ١٧ يوليو ١٣٤١م بعد أن تم عزل إيرنى بالولوجوس بعد حكم استمر عاماً وأربعة أشهر فتمكنت من الهرب على ظهر سفينة أوروبية إلى القسطنطينية والتى دخلتها برفقة أتباعها الذين تمكنوا من الهرب وسط ثورة شعب طرابيزون^(١) .

(١) Grwgorae: op. cit., II, P. 679; CF also, Finlay : History of Greece, Vol. IV, P. 365.

أنا أناكتيلو Ann Anachoutlou (١٣٤١ - ١٣٤٢م)، وهى ابنة الإمبراطور الكسيوس الثانى، وشقيقة الإمبراطور السابق بازيلئوس الثانى . كانت تحيا حياة الرهينة وتعيش فى عزلة حتى هذا الوقت، لكن نجح الحزب المعارض لحكم إيرنى فى إقناع أنا بضرورة طرح رداء الرهينة والتطلع لحكم الإمبراطورية . وبالفعل توجت كإمبراطورة على عرش طرابيزون عام ١٣٤١م . وكانت الحاكمة الرابعة عشر للإمبراطورية .

Finlay : op . cit., Vol . IV, P. 437.

ولم يمض على حكم الإمبراطوره أنا سوى ثلاثة أسابيع حتى وصل ميخائيل الثالث كومينيوس Michael III Comnenos إلى طرابيزون وكان حنا كانتا كوزينوس قد اختاره زوجاً لايرنى باليولوجوس ولكنها قد عزلت من عرش الإمبراطورية قيل وصوله إلى طرابيزون^(١).

وجدير بالذكر، تبنى بعض الأحزاب الوطنية ممن يتمتعون بمكانه وثراء فى المجتمع الطرابيزونى فكرة ترشيح أحد أبناء الإمبراطور السابق بازيلوس الثانى، غير الشرعيين من وجهة نظر الشعب الطرابيزونى لمنحه لقب إمبراطور وتسلم دفة الحكم وإدارة البلاد بما يلائم مصالح إمبراطوريتهم، لكن لم يكشف هؤلاء الزعماء عن هدفهم عندما وصلت السفينة الإيطالية التى تحمل ميخائيل ومعه سفينتين حربيتين تحمل على ظهرها مجموعة مختارة من الجيوش البيزنطية، بل قاموا باستقبال ميخائيل استقبالاً حافلاً فى القصر الإمبراطورى كما أكد إليه نيقتاس Niketos القبطان العام لجماعة السكولاريوى بأحقية فى تولى عرش الإمبراطورية وأظهر لميخائيل أنه سيعترف بذلك مع كل الأحزاب فى طرابيزون.

ولقد عزم زعماء الأحزاب ، فى الحصول على غايتهم باستخدام الخداع والخيانة ويرجع ذلك إلى إرتياهم فى تأييد الشعب الطرابيزونى لما يصبوا إليه

Finlay, op. cit., Vol. IV, P. 336.

(١)

- ميخائيل الثالث كومينيوس Michael III Comnenos (١٣٤٤ - ١٣٤٩م) وهو الابن الثانى للإمبراطور حنا الثانى، تولى عرش طرابيزون بعد عزل ابنه حنا كومينيوس .

Ibid, P. 437.

. كيفما كان الأمر ، فقد تسلم ميخائيل العرش فى احتفال بهيج حضره أسقف طرابيزون . وفى هذا الحفل أيضاً حصل الإمبراطور على يمين الولاء والطاعة من النبلاء وموظفى الإمبراطورية، ثم عاد إلى القصر الإمبراطورى إستعداداً لتتويجه فى اليوم التالى. وحينئذاك تبدأ خيوط المؤامرة تتكشف إذ قامت الأحزاب بتحريض الأهالى ضد الحملة القادمة من القسطنطينية بصحبة ميخائيل، وفى الحال نهض الشعب فى ثورة وحاصروا ميخائيل فى قصره، وأرسل أسيراً إلى ليمينيا ، كما قتل وسجن عدد كبير من اصطحبوا موكب ميخائيل^(١).

وقد تسلم الحكم خلال ذلك الوقت اتحاد قوى من زعماء اللازيين باسم الإمبراطورة آنا بينما رأى الشعب أن الضرورة تقتضى وجود حاكم قوى يفى باحتياجات إمبراطوريتهم . ولتحقيق ذلك تمكن بعض أفراد أسرة السكولاريوى من ترك طرابيزون على متن سفينة تابعة للبنادقة، قاصدين القسطنطينية لاستمالة حنا الثالث ابن ميخائيل الثالث كومينيوس حيث يقيم بها، وذلك ليتولى عرش الحكم فى طرابيزون كعضو من أسرة كومينيوس . ويذكر أن هؤلاء طالبوا الإمبراطورة آنا بتنصيب حنا إمبراطور على طرابيزون^(٢) والذى

Gregoriae: op. cit . II, PP. 679 - 680. (١)

Miller: Trebizond, P. 53 . (٢)

- حنا الثالث كومينيوس، John III Comnenos، هو ابن ميخائيل الثالث كومينيوس تولى حكم الإمبراطورية الطرابيزونية فيما بين عامى (١٣٤٢ - ١٣٤٤م) وبعد الحاكم السادس للإمبراطورية .

Finlay : op. cit., Vol. IV, p. 437.

كان يبلغ من العمر حينئذاك عشرين عاماً . ولم يذكر شيئاً عن موقف أنا من الاقتراح.

وعلى أية حال أرسل الشاب على رأس ثلاثة مراكب من المرتزقة الإيطاليين وصلت عام ١٣٤٢م إلى مرفأ طرابيزون بعد عشرة أيام وتم مواجهة أصحاب المؤامرة بالسلاح وهجمت أبواب المدينة بالقوه وقبضوا على خصومهم ونهبوا أموالهم وهكذا انتقلت السلطة إلى حنا الثالث كومينيوس ونال السكولاريوى سلطات واسعة كما أعدم بعض المتأمرين والبعض الآخر حكم عليه بالنفى المؤبد^(١). وأعلن حنا الثالث إمبراطوراً بينما وأخذت الإمبراطورة أنا التى وجدت حينئذاك فى القصر الإمبراطورى بطرابيزون كأسيرة تحت حراسه مشددة تجنباً لأية مقاومة من قبل رعاياها. ولقد أعدمت أثناء الشغب الذى صاحب مجئ حنا وبعد أن شغلت العرش لأكثر من عام^(٢).

وفى ظل هذه الظروف السيئة التى تمر بها طرابيزون تعرضت لهجوم الأتراك فى أمد عام ١٣٤٣م لكنه فشل كالمعتاد. وعلى أية حال لم تمض ثلاث سنوات كاملة حتى فقد الإمبراطور الجديد حنا الثالث عرشه، ويرجع ذلك إلى عدم التحلى بأية صفة من الصفات التى يتميز بها نبلاء السكولاريوى، حيث تصرف كشباب لا يدرك المسئوليه الموكلة إليه . وقضى فترة حكمه فى اللهو والترف، ينفق من أموال الإمبراطورية هباءاً، ولذلك اضطروا الطرابيزونيون إلى

Gregorae : op. cit ., II. P.681.

(١)

Finlay : op. cit., Vol.IV, PP. 366 - 367 .

(٢)

استدعاء والده ميخائيل الثالث كومينيوس إلى طرابيزون مرة أخرى^(١) خاصة بعد فشلهم في إصلاح أمر الإمبراطور حنا الثالث. ولقد تزعم تلك الحركة أيضاً نيقتاس زعيم السكولاريوى وخرج من طرابيزون برفقه عدد من أنصاره متوجهاً إلى ليمينيا، حيث أطلق سراح ميخائيل وقاده إلى طرابيزون وأعلنه إمبراطوراً في مايو ١٣٤٤م، وتم عزل حنا الثالث بعد حكم، استمر عاما وثمانية أشهر، لم يكتف بذلك بل سجن في دير سانت سابس St. Sabas ثم أرسله الإمبراطور ميخائيل بعد ذلك إلى القسطنطينية. وبذلك تسلم ميخائيل السلطة وبالفعل نفذ ما وعد به السكولاريوى بأن حلف اليمين لهم، لأن الفضل يرجع إليهم في تنصيبه إلى عرش الإمبراطورية. وقد اتفق ميخائيل مع السكولاريوى أن يرتدى هو إشارات الملك بينما يتولى أفراد حزب الأمة جميع الشئون ويصرفون أمور الإمبراطورية ولهم الكلمة العليا في كل شئ سراً أو علانية، لكن في الوقت الذي استاء فيه الشعب من تصرفات حزبهم، نجح خصومهم في استعادة قوتهم السابقة مما شجع الشعب على معارضة السكولاريوى ونشب الخلاف بين الطرفين انتهى بتسليم أمور الحكم بأسره إلى الإمبراطور ميخائيل الثالث كومينيوس^(٢). ولقد انتهز الإمبراطور تلك الفرصة لكي يتخلص من

Gregorae : op . cit ., II, P. 682 .

(١)

Ibid, PP. 682 -683., Lebeau.: Historie du Bas Empire, TXX, PP. (٢)

482, 487 - 488; Miller : op . cit., P. 53.

- بالنسبة لدير سانت سابس St, Sabas، دير على شكل مغارة أو كهف ذات تخطيط بدعي وطبيعي

أشبه بالسجن ويوجد في مقدمة صخرة بوس تيب BousTepe، تطل على ميناء طرابيزون.

ebeau : op. cit., Loc. cit.

- ونلاحظ بعد أن حلف ميخائيل اليمين إلى السكولاريوى قام هؤلاء بتقسيم الوظائف الرئيسية في=

الوصاية التى فرضها السكولاريوى والموالين إليهم ، وليقضى على نظام الحكم المعروف بإسم " أورليفاكيه هويغى" التى كانت سبباً فى إثارة الشعب والأحزاب المعارضة للسكولاريوى، وأعلن الشعب عزمه على البقاء تحت حكومة أباطرتها الشرعيين وليس تحت حكم جائر فى يد زمرة من النبلاء وحينئذاك استرد ميخائيل سلطته المطلقة واعتقل نيقتاس زعيم السكولاريوى والعديد من كبار الموظفين فى حزبه (١).

وكان للمدن التجارية الإيطالية « جنوا والبندقية » دور كبير فى

= الإمبراطورية فيما بينهم ومع الأحزاب الموالية لهم . وصار نيقاس زعيم السكولاريوى يتولى منصبا الدوق العظيم، وابنه أصبح رئيس الحجاب بالقصر الإمبراطورى، وليوكاباستيا Leo Kabasiti الخام الأعظم، وحنا كاباستيا كمستولاً عن ماله الإمبراطورية ، وميخائيل ميزوماتيس Michael Miezomates مرشال للجيش، وجريجورى ميزوماتيس Gregorios Miezomates فى منصب القائد العام وقسطنطين دورناتوس constantine Doranites أميناً على خزنة الإمبراطورية ، وجعل ابنه مستولاً عن الخراج، وأيضاً ستيفن ترانختيس Stephen Tzanichites مستولاً عن الأمن داخل الإمبراطورية .

Miller: Trebizond, PP. 52 - 53.

Finlay : op. cit ., Vol .IV, P. 369; Miller: op. cit., Loc. cit. (١)

- أورليفاكيه هويغى ، وتعنى كلمه أوليعاكيه، حكم القلة وهى حكمه تهمين عليها فته قليلة . أما كلمة هويغى تعنى أن تلك الجماعة هدفها الإستغلال وتحقيق المنافع الذاتية وتخضع لسلطة أو جماعة تمارس هذه السلطة ، وهكذا كان الوضع فى طرابيزون فقد حكمها هؤلاء القلة تحت التبعية الإسمية لإمبراطور كالدمية .

Miller : op . cit., P. 53 .

الإستعانة بسفنهم فى نقل ميخائيل كومينيوس أو ابنه حنا الثالث إلى طرابيزون كما سبق الإشارة^(١) ولعل ذلك يرجع إلى رغبة تلك المدن فى استقرار الأوضاع فى طرابيزون حفاظاً على تجارتهم وبضائعهم بالإمبراطورية فضلاً عن أن تلك المدن التجارية قاست من ويلات الحروب الأهلية التى نجم عنها تدمير ضاحيه للبنادقة فى طرابيزون على إثر الحريق الأخير الذى شب فى العاصمة بفعل الرياح فأصبح الحى رماداً مثل سائر أنحاء المدينة، بينما لا توجد أية إشارة توضح عما إذا كان حى الجنوية بالعاصمة لاقى هذا المصير من عدمه .

وجدير بالذكر، عانى التجار الإيطاليون من أزمة شديدة نتجت عن كثرة الثورات الشعبية فى طرابيزون، والتى ترجع إلى تعالى وغطرسة الإيطاليين فى تعاملهم مع الطرابيزونيين، الأمر الذى ترتب عليه كثرة الثورات، والتى تجلت بوضوح فى عهد الإمبراطور ميخائيل الثالث كومينيوس حيث شجع على قيامها بعض الوطنيين . ونصبوا المذابح للإيطاليين، راح ضحيتها أعداداً كبيرة منهم، فضلاً عن تأثير ذلك سلباً على التجارة فى طرابيزون^(٢) .

وفى نفس العام ١٣٤٤م، ونظراً لأحداث الشغب من قبل الطرابيزونيين تجاه التجار الإيطاليين، أصدرت البندقية قراراً بوقف التجارة مؤقتاً مع طرابيزون وفى أواخر العام نفسه تلقى مجلس الشيوخ بالبندقية أنباء طيبة عن إستتباب الأحوال فى طرابيزون، بسبب استعاده الإمبراطور ميخائيل لمقاليده الحكم من السكولاريوى وأعوانهم ولهذا أرسلت البندقية قادسين على سبيل

(١) انظر ما سبق ، ص ٧٣ .

Gregorae : op. cit, II, P. 684.

(٢)

التأكد من تلك الأخبار، كما أوفدت مبعوثين بادروا بالتوجه إلى بلاط الإمبراطور في طرابيزون يحملون بعض الهدايا إليه وإبلاغه عزم حكومتهم تجديد المعاهدات التجارية وإعادة التجارة مع طرابيزون مرة أخرى^(١).

وقد صاحب عودة التجار البنادقة إلى طرابيزون ومحاولتهم إعادة ضاحيتهم التي احترقت في الأحداث السابقة، وجود نزاع بينهم وبين الجنوية المقيمين في طرابيزون حول قطعة أرض أجرى عليها البنادقة بعض الأعمال والمنشآت باعتبارها ملكاً لهم، بينما ادعت جنوه بملكيتها لتلك الأرض. وأثبتت دعواها بقرار مختوم بالخاتم الذهبي للإمبراطور السابق الكسيوس الثاني كومينيوس يهب بموجبه قطعة الأرض مجال النزاع إلى الجنوية، ولكنهم قد أخذوا عوضاً عنها موقع الترسانة البحرية بطرابيزون في عهد الإمبراطور نفسه وأمام تلك المشكلة أصدر الإمبراطور ميخائيل قراراً باستمرار مباشرة البنادقة لأعمالهم في قطعة الأرض، لكن الجنوية احتجوا على قرار الإمبراطور فأوفد دوق البندقية، أندريا داندولو مبعوثاً لمقابلة دوق الجنوية، حيث قدم شكوى إليه يلتمس خلالها إيجاد حل للموقف العدائي بين البنادقة والجنوية في طرابيزون خاصة بعد أن فشل الإمبراطور ميخائيل في إيجاد حل لهذه المشكلة. وقد أوضح للدوق الجنوي بأن ذلك الموقف لا مبرر له، خاصة وأن تلك التحصينات القائمة في طرابيزون تفيد البنادقة بقدر إفادتها للجنوية. وانتهى الأمر بأن وافق الجنوية على قرار الإمبراطور مع بعض التحفظات فيما يخص

Thomas- Predelli: Diplomatorivm Veneto - Levantinum, I, P. 276. (١)

حقوقهم فى الأرض المتنازع عليها . وأرسل دوق الجنوية إلى مواطنيه أمراً بعدم قيام أية صعوبات أمام الأعمال التى يقوم بها البنادقة فى طرابيزون^(١) .

ولم تلبث طرابيزون أن استراحت قليلاً من هذا النزاع الذى كبدها خسائر فادحة، ولكن نجد طرابيزون لم تنعم كثيراً بهذا الهدوء الذى ساد الأجواء لفترة من الوقت حيث تضرعت الإمبراطورية الطرابيزونية لخطر آخر تمثل فى الهجوم التركى لأراضى الإمبراطورية فى عام ١٣٤٦م بإستيلائهم على مدينة أونايون Oinaion ، وقد فشل الإمبراطور خلال هذا الهجوم فى الزود عن ممتلكاته ثم أصاب الإمبراطورية فى العام التالى للغزو التركى، كارثة لا تقل خطورة عن ذلك الغزو وعندما تفش مرض الطاعون الوبائى « الموت الأسود » فى أنحاء الإمبراطورية، واستمر ما يقرب من سبعة أشهر، راح ضحيته خمس أفراد المجتمع الطرابيزونى . ورأى الأتراك أن ذلك فرصة طيبة لهم تساعدهم فى تحقيق انتصار ساحق على طرابيزون ربما لا يتكرر كثيراً ، ولذا قاموا بشن هجوم مفاجئ على الإمبراطورية^(٢). عام ١٣٤٨م خاصة بعد نجاح الأتراك فى تكوين اتحاد فى نفس العام يعرف بإسم الكيبنى Cepni ، وقد شارك فى هذا الهجوم أيضاً أتراك آمد، والذى نتج عنه باستيلاء الأتراك على ممتلكات

(١) هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى، ج٢، ص ٣٤٢ .

(٢) Miller : op . cit, Loc . cit; Lebeau: Histoire du Bas Empire, T.XX, (٢)

PP. 485, 488; Finlay : History of Greece, Vol .IV, P. 370.

الإمبراطورية الطرابيزونية الممتدة من إرذنجان Arsinga بولاية أرزن الروم حتى أسوار العاصمة ^(١). حيث تمكن سكان الجبال الطرابيزونيين من صد الهجمات التركية عن العاصمة والذي استمرت لمدة ثلاثة أيام متواصلة، فشل خلالها الاتحاد في اقتحام العاصمة ^(٢). ولقد اغتنم الجنوية تلك الفرصة، فضلاً

(١) Gregorae: op. cit, II, P. 687; Bryer: Turkmens, PP, 121, 132- 133; Finlay : op . cit . Loc . cit .

- الكيبي "Cepni"، هو اتحاد ألفه التركمان عام ١٣٤٨ م ، وربما يقصد به كل من ليمينيا وخليبا التركية ولقد أربط هذا الاتحاد مع الأتراك في إرذنجان وبابيرت Bayburt وأيضاً مع الآق قويونلى كما دخل أترك آمد في علاقات مع هذا الاتحاد ضد طرابيزون وأودية سينوب وذلك في نفس العام الذى تأسس فيه الاتحاد . ولقد ظهرت تلك المجموعة في منطقة واسعة وسط أناتوليا . ويذكر أن عدد الجيش التابع للأتراك في هذا الاتحاد ما يقرب من سبعة آلاف فارس تحت زعامه قائدهم الأول ويدعى دوزدوجان Doz Dogan ، أى الصقر الرمادى . ومن الملاحظ أن اتحاد الكيبي لم يستمر طويلاً وأصبح تركمانيه بحاجة ماسة إلى حل هذا التحالف ولم يذكر المصادر أو المراجع شيئاً عن أسباب فشل هذا الاتحاد .

Bryer : Turkmens, PP. 121, 132 -133; Zachariadou: Trebizond, P. 340, Inalcik, H.: Closing of the Black sea under Ottoman, Athena, 1979, P. 94

- وبالنسبة إلى إرذنجان Erzendjan, Erzenga, Arsinga ، ويطلق عليها أيضاً أرسنجا . وهى أهم المدن بمقاطعة أرزن الروم، قصبة ولاية أرمينيا التركية وتقع على هضبة ترتفع مائة قدم عن سطح البحر . وينبع من هذه الهضبة الفرات الغربى .

Gibbons: The Foundation of ottoman Empire, P. 288.

انظر أيضاً : إبراهيم خورشيد ، دائرة المعارف ، ج٢ ، ص ٥٧٨ .

(٢) Gegorae: op. cit. Loc. cit; CFalso, Finlay : op . cit; Vol.

IV, P. 370; Miller: Trebizond, PP. 53 -54; Lebeau: op . cit., T.XX,

P. 489, Zacharadou: op. cit, P. 373 .

عن ضعف مركز الإمبراطورية الناتج عن الظروف السيئة التى تمر بها وأرادوا أن يثأروا لمذبحة الإيطاليين التى حدثت فى بداية عهد الإمبراطور ميخائيل الثالث كومينيوس كما سبق الإشارة ^(١). بالإضافة إلى تمسكهم بالضاحية القديم الخاصة بهم ويدعى « ليوننو كاسترون » ، ورغم تعريضهم عنه بموقع الترسانة البحرية فى طرابيزون فقد قام الجنوية فى نفس العام بمحاصرة معظم المراكز الهامة فى أقاليم الإمبراطورية واستحوذوا على مدينة كيرسانت Kerasunt وهى تعد المدينة الثانية لإمبراطورية طرابيزون ، وقاموا بنهبها وحرقها. وفى العام التالى ، خرجت حملتان بحريتان على التوالى من كافا وهى المستعمرة الجنوية بالقرم ، ضد طرابيزون . وكانت الحملة الأولى تتألف من سفينتين حريتين ظهر قبالة طرابيزون فأعدت الإمبراطورية أسطولها البحرى وتحركت من الدفينوس Dephonus لمواجهة السفن الجنوية و انتهت تلك الحرب البحرية بإحتراق أسطول الإمبراطورية الضخم، وقتل الدوق العظيم حنا كاباسيتا John Kabasites إلى جانب اعداد كثيرة من القوات الطرابيزونية، ورغم أنتصار الجنوية فى هذه المعركة إلا أنهم تقهقروا ولم يحاول الجنويه أن يرسوا على شاطئ طرابيزون .

وسرعان ما تعرضت طرابيزون لفوضى بعد الحملة الأولى ، زادت من محنتها عندما هاجم اليونانيون فى طرابيزون الفرنجة المقيمين بعاصمتهم، ونهبوا أموالهم وسلبوا منازلهم ومخازنهم وألقوا ببعضهم فى السجن ، الأمر

(١) انظر ما سبق ، ص ٧٦ .

الذى دفع الجنوية إلى إرسال حملة ثانية، وجهتها ضد طرابيزون، ولقد أبحرت تلك الحملة من سامسون بعد عدة أسابيع قليلة من قيام الحملة الأولى وذلك رداً على سوء معاملة الأوربين فى الإمبراطورية . وقد ظهرت تلك القوات عند أسوار طرابيزون، وعندما وجد الأمبراطور ميخائيل الثالث كومينيوس نفسه عاجزاً عن حماية الإمبراطورية من هذا الخطر، اضطر إلى طلب الصلح مع الجنوية مقابل أن يمنحهم ضاحية ليونوكاسترون وبالفعل ظلوا يحتفظون بها حتى سقوط الإمبراطورية وبذلك بدأ الخطر الجنوى ينصرف عن الإمبراطورية الطرابيزونية^(١).

ويبدو أن البنادقة قد شعروا بنقص إمتيازاتهم فى طرابيزون، إبان الإمتيازات التى حققتها الجنوية من خلال المعاهدة التى أبرمتها مع الإمبراطور ميخائيل ، وفى الحال أرسل دوق البندقية مندوباً عنه يدعى ينقولا كويرينى Nicola Quirini إلى الإمبراطور ميخائيل كومينيوس لم تذكر المصادر أية معلومات عن سبب هذه الزيارة ، إلا أن الباحث يرى أنها كانت بهدف الحصول على المزيد من الامتيازات أسوة بما منح للجنوية ولكن يبدو أن هذه المساعي قد باءت بالفشل فى وقت تفوقت فيه جنوه على التواجد البندقى فى منطقة البحر الأسود وأصبح لها السيادة على هذا البحر^(٢).

وأمام هذه المشكلات التى واجهتها الإمبراطورية، كان يشغل عرشها إمبراطور طاعن فى السن فضلاً عن ضعف قدراته كقائد أو سياسى يستطع

(١) Finlay: History of Greece, Vol. IV, PP. 370 - 371 ; Zakythions,

Le chrysobulle d' Alexios III Comnenos Emperur, PP. 19-20 .

(٢) Zakythions, op. cit., PP. 19 - 20, 49, 51; Lebeau: op. cit., T. XX, P. 489.

انظر أيضاً ، هايد : المرجع السابق، ج٢، ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

مواجهة تلك الأخطار سواء الداخلية أو الخارجية ، الأمر الذى شجع على ظهور روح الأحزاب وتديبر المكائد، وسرعان ما نفجرت الثورات الشعبية وقامت الأحزاب الوطنية التى نسقت فيما بينها مع القسطنطينية لعودة حنا ابن الإمبراطور السابق بازيلوس الثانى إلى طرابيزون، والذى عرف بإسم الكيسوس الثالث ليتولى عرش طرابيزون التى أصبحت بحاجة ماسه إلى شخص قوى ينهض بأحوالها . وقد نجح الثوار فى إجبار الإمبراطور ميخائيل الثالث على التنازل عن العرش فى ١٣ ديسمبر عام ١٣٤٩ م .

وعاد الكيسوس الثالث من القسطنطينية تلبية لرغبة حزب السكولاريوى الذى يتزعمه الدوق العظيم نيقتاس، لبدأ عهد من أزهى عهود الإمبراطورية على يد الإمبراطورية الكيسوس الثالث كومينيوس^(١).

(١) Gregores: op. cit., II PP. 549- 551; Miller: Trebizond, P. 55; Finlay : History of Greece, Vol. IV, P. 317; Lebeau: Histoire du Bas Empire, T.XX, PP. 489 - 490.

- الكيسوس الثالث كومينيوس Alexios III Comnenos تولى حكم إمبراطورية طرابيزون فيما بين (١٣٥٠ - ١٣٩٠ م) ولقد رشح لشغل منصبه الإمبراطور فى أواخر شهر ديسمبر عام ١٣٤٩ م . لكنه توج كإمبراطور فى أوائل عام ١٣٥٠ م . وإسمه الحقيقى حنا المعمودى . ولقد فى ١٥ أكتوبر عام ١٣٣٨ م ، وهو الآن الثانى للإمبراطور بازيلوس الثانى (١٣٣٢ - ١٣٤٠ م) وإيرينى الطرابيزونية . وقد أكتسب لقب الكيسوس نسبة لأخيه المتوفى وأيضاً لكى يضى على مركزه صفة الشرعية بأن يلقب باسم جده مؤسس الأسرة الملكية فى طرابيزون وحتى يؤكد نسبة لتلك الأسرة . خاصة وأن الكيسوس كان إنشاً غير شرعياً من إيرينى الطرابيزونية والذى أعلن بازيلوس زواجه منها عام ١٣٣٩ م بعد أن أنجبت الكيسوس وأخيه لكى يفتح لهم الطريق إلى العرش الإمبراطورى . وقد تلقى الكيسوس تعليمه بالقسطنطينية وعاد إلى طرابيزون عندما بلغ من العمر أحد عشر عام ليتربع على عرش الإمبراطورية.

Miller : op. cit, Loc. cit; O.D.B. Vol . I, P. 66

الفصل الثاني

إمبراطورية طرابيزون في عهد الإمبراطور الكسيوس

الثالث كومينيوس « ١٣٥٠ - ١٣٩٠ م »

- اعتلاء الكسيوس الثالث عرش الإمبراطورية .
- الحروب الأهلية داخل إمبراطورية طرابيزون .
- سياسة الكسيوس كومينيوس الدينية .
- علاقة طرابيزون بالمدن الإيطالية التجارية . «جنوه - البندقية»
- علاقة طرابيزون بالتركمان .
- علاقة طرابيزون بالإمبراطورية البيزنطية في القسطنطينة .

لقد استعرضنا فى الفصل السابق كيف كانت الأحوال السياسية لطرابيزون فى الفترة السابقة عن موضوع البحث وما ترتب عليها من فوضى واضطرابات أنتهت بسيادة حزب السكولاريوى وتفوق نفوذه، خاصة فى عزل الإمبراطور ميخائيل الثالث كومينيوس واختيار الكسيوس الثالث لعرش طرابيزون وإجبار الإمبراطور السابق على دخول دير سانت سابس St.Sabos بمساعدة السكولاريوى المواليين للإمبراطور الكسيوس الثالث .

وما أن اطمأن الكسيوس لاستتباب الأمور لصالحه، حتى بدأ العمل لتولى العرش رسمياً . وبالفعل فقد توجه الكسيوس إلى كنيسه سانت إيجينيوس St. Eugenios فى ٢١ يناير ١٣٥٠م ليتم مراسم تتويجه على عرش إمبراطورية طرابيزون فى إحتفال بهيج بإعتباره الحاكم الحامى لطرابيزون وكان بصحبته والدته إيرينى الطرابيزونية وحنا لازا بيلوس John Lazaro-poulos . وقد استمر حكم الكسيوس الثالث أربعين عاماً، واجه خلالها العديد من المشكلات، ويأتى فى مقدمتها إستمرار الحروب الأهلية فى السنوات الأولى من حكمه^(١) والتى عانت منها طرابيزون منذ عهد الإمبراطور

Miller: Trebizond, P. 59; Finlay : op. cit., Vol. IV, P. 371; Lebeau: (١)

Histoire du Bas Empire, T.XX,P.498; O. D.B . Vol . I, P. 66 .

انظر أيضاً : فايز اسكندر ، المرجع السابق ، ص ١٤ .

-وبالنسبة إلى حنا لازا ارييلوس John Lazaropoulos ، فهو أحد رجال الدين قد تولى منصب مطران فى عهد الإمبراطور الكسيوس الثالث . وكان لقربه من الإمبراطور أثر كبير فى سياسته الدينية، فضلاً عن مساعدته فى إدارة شئون الإمبراطورية مع والدته إيرينى الطرابيزونية .

Miller : op . cit., Loc . cit .

أندرونيقوس الثالث واستمرت فى عهد خلفائه^(١)، تلك الحروب التى ساعدت على إزدياد عوامل الضعف فى الإمبراطورية وانتشارها فى جميع أنحاء مما أدى إلى إثارة روح الغيرة والحقن بين الجماعات الأرستقراطية المختلفة فى طرابيزون وقاموا بتوطيد سلطانهم عن طريق الانتفاع بإدارة المقاطعات الإمبراطورية دون الإمبراطور. ولقد جاهدوا عن طريق المكائد تارة، واستخدام القوة تارة أخرى لكى يحققوا لأنفسهم بعض الامتيازات الخاصة قبل تطبيق نظام تقسيم الموارد التى تضمن عدم تخصيص أية امتيازات إمبراطورية لكبار الدولة . وكان الإمبراطور قد لجأ إلى ذلك النظام لتأمين نفسه وإمبراطوريته من طغيان الأرستقراطيين ، وبالرغم من ذلك فقد نجح هؤلاء فى تحقيق ما يصبون إليه مما اضطّر الشعب إلى استخدام السلاح دفاعاً عن مصالحهم والتى أصبحت فريسة لتلك الفئة^(٢) . فلم يمس على إعتلاء الكسيوس الثالث كومينيوس سوى ستة أشهر حتى اندلعت ثورة تزعمتها الطبقة الأرستقراطية بقيادة أحد كبار قادة الجيش يدعى ثيودور دورانتيس Theodore Doranites ويعرف باسم بالاشتراك مع أخيه قنسطنطين Constantine أمين الخزانة^(٣) ولكنها

(١) Gregorae: op. cit , II, PP. 548 - 551 , Miklosich - Muller:

Acta et Diplomata, I, P. 201; Franzus: op . cit : P. 417; Westerink:

op. cit., R.E.B., P. 236

Finlay : op . cit, Vol . IV, PP. 372- 373 . (٢)

Miller : Trebizond, P. 56 . (٣)

ثيودور دورانتيس Theodore Doranites، أحد الأسر النبيلة فى طرابيزون والسيطرة على شئون البلاد ، كان أحد كبار قادة الجيش بينما أخيه قنسطنطين تولى منصب الخزانة منذ عهد الإمبراطور السابق ميخائيل الثالث كومينيوس .

Ibid, P. 52 .

باءت فى النهاية بالفشل وتم القبض على المتآمرين ألقى بهم فى السجون لعدة أيام، بينما أسند الكسيوس وظيفة أمين الخزانة إلى شخص يدعى ليوكاباسيتس Leo Kabasites ولم تمض عدة أسابيع قليلة حتى أندلعت ثورة أخرى تطالب بعودة ثيودور وأخيه قنسطنتين إلى مناصبهم مرة أخرى، وأيضاً عزل ليوكاباسيتس، ولكن الإمبراطور لم يعط أهمية لتلك الإدعاءات مما اضطر ثيودور وأتباعه إلى محاصرة القلعة الإمبراطورية حتى إضطر الإمبراطور الكسيوس الثالث أمام تلك التهديدات والضغط إلى الانسحاب من القلعة متجهاً إلى تربوليس Tripolis^(١) بعد أن أدرك عدم توافر الأمن فى عاصمته

Miller: op. cit., P. 65.

(١)

- ليوكاباسيتس Leo Kabasites ، كان يشغل منصب الخادم الأعظم منذ عهد ميخائيل الثالث. وينتسب إلى أسرة كاباسيتس أحد الأسر النبيلة فى طرابيزون . وتلك الأسرة منطقة خلديا قبل عام ١٣٥٥م وظلت فيها حتى بعد سقوط الإمبراطورية .

Ibid, 52., Bryer : The Estates of the Emipre of Trebizond, Athena, 1979, P. 417.

- أما بالنسبة إلى تربولس Tripolis ، تكتب أيضاً أنتونيولس Antoniopolis اسكوبولس Is-copolis تقع فى مكان حصين على البحر الأسود، على مسافة اثنتى عشر ميلاً غرب طرابيزون وبها ميناء صغير، تأتى إليه السفن كمشتى بعيداً عن البرد القارس ، بينما شرقها بيدو وعراً بصخوره. وكان لموقع المدينة على الشاطئ الشرقى للبحر الأسود أثر كبير فى اعتدال مناخها . وقد سكنها مزيج من السكان اليونانيين والأرمن والأتراك . وكانت تتألف من ثلاث مدن، وثلاثة أحياء و ثلاث قلاع قديمة ، الأولى تدعى دورودجيكال Douroudjekal والثانية تبدو على بعد ميل من البحر، والثالثة تسمى بتروما Petroma .

Ramsay : The Historical Geography of Asia Minor, P. 21; Lebeau: Histoire du Bas Empire, T. XX, PP. 492 - 493 .

وخاصة عقب محاصرة المتمردين لقلعة الإمبراطورية .

وجدير بالذكر لم يقف شعب طرابيزون مكتوف الأيدي حيث أبدى تعاطفاً شديداً مع الإمبراطور وسانده في مواجهة ذلك التمرد وقام الشعب بالتصدي أمام دوراناتيس وأجبره على التراجع ولم يكتفى بذلك بل نجح في القبض على المتآمرين وفي مقدمتهم ثيودور دوراناتيس وأرسلوهم إلى سجن حصين في كينشرينا Kenchrina ، وصودرت ممتلكات عائلاتهم ثم أصدر الإمبراطور الكسيوس الثالث ووالدته الأمر بإعدام هؤلاء المتآمرين^(١) .

وفي سبتمبر عام ١٣٥١م، أرسل الإمبراطور الكسيوس قوات حربية بقيادة والدته إيرين الطرايزونية إلى ليمينيا وصاحبها في تلك الحملة ميخائيل بناريتوس Micheal Panaretos بهدف القضاء على أسرة دوراناتوس التي تزعمت إثارة الفوضى والإضطرابات في ليمينيا^(٢) .

(١) Miller: Trebizond, PP. 56-57; Finlay : History of Greece, Vol.IV, P. 374; Lebeau, op. cit, P. 490.

- كينشرينا Kenchina، لم يرد ذكر موقعها في المصادر أو المراجع . وأغلب الظن هي إحدى القلاع الحصينة والقريبة في الوقت نفسه من العاصمة طرابيزون وتوجد بها قلعة للمسجونين . ويذكر أن الحصون والقلاع التابعة للإمبراطورية كانت في أيدي أحزاب متعددة من النبلاء المتمردين . وذكر اسم كينشرينا بين تلك القلاع والحصون وتقع على وجه التقريب بين تريبولس وطرابيزون .

Lebeau: op. cit. Loc. cit; Finlay: op. cit., Loc. cit; Miller: op. cit; PP. 56 - 57.

(٢) Miller :op. cit . P. 57; Bryer : Turkmens, P. 144

ولمزيد من التفاصيل عن ميخائيل بناريتوس انظر، ص ١١ من هذا البحث .

وقد استغرقت الحملة ثلاثة أشهر نجحت خلالها فى تحقيق هدفها بإسترداد ليمينيا، وإعادتها إلى السيادة الإمبراطورية، ونشر الأمن والسلام فى ربوعها^(١).

وجدير بالذكر ، تمكن الإمبراطور الكسيوس الثالث كومينيوس خلال عامين من حكمه من أن يسترد أملاكه الممثلة فى حصون ليمينيا و كينشرينا، وتزايخ ، مما أثار وحقد الدوق العظيم نيقثاس زعيم السكولاريوى لأنه لم يجد فى الكسيوس الدمية التى وضعها على العرش كما أنه كان لايعتمد عليه فى إدارة شئون البلاد وإنما على أمه أيرينى والمطران حنا لازار بيلوس ، الأمر الذى دفع نيقثاس لإعلان الثوره ضد الإمبراطور محاولاً تهديد عرشه . وعندئذ توجه نيقثاس إلى كير سانت فى يونيو ١٣٥٤م وأشعل روح الثورة من جديد بين النبلاء هناك ، إعتماًداً على نفوذه وتأثيره على الجيش الوطنى الموالى لهذا الحزب ومدى شعبيتهم بين المواطنين فدفعهم كل هذا للقيام بمحاولة لإسترداد قوتهم بالإجبار ولم يكتف نيقثاس بالثورة ضد الإمبراطور الكسيوس الثالث كومينيوس ، بل أبحر فى نفس العام من كيرسانت إلى طراييزون برفقة كلا من ابنه، ورئيس الحجاب ويدعى بازيل خوبيكس Basil Choupokes وذلك فى أسطول مكون من إحدى السفن القديمة الضخمة، وإحدى عشرة سفينة صغيرة وقد سبب وصوله إلى العاصمة اضطرابات عظيمة . وقامت عدة مناوشات عنيفة بين الجيش الإمبراطورى وقوات نيقثاس، انتهت بتقهقر الأخير إلى

(٢) Finlay : History of Greece, Vol . IV, P. 374; Miller : op . cit ., PP. 57 - 58 .

كيرسانت دون تحقيق أى شئ وعندئذ أدرك الإمبراطور الكسيوس مدى الخطر الذى يهدد إمبراطوريته لذلك بدار باتخاذ موقف حاسم تجاه هذا الحزب وزعيمهم^(١) ، ورداً على هذه الغزوة خرج الإمبراطور فى مايو ١٣٥٥م على رأس سفينتين وأسطول من القوارب الصغيرة تحت قيادة وبصحبه ولده والمطران حنا لازارييلوس للقضاء على نيقتاس وأتباعه المتحصنين فى مدينة كيرسانت . ولكن زعيم الثوار نيقتاس كان متغيباً عن المدينة فى محاولة لإشعال روح الثورة فى كينشرينا Kenchrina التى سبق وأخضعها دوق خلديا من قبل ببضع شهور ولذا تصدى رئيس الحجاب فى كيرسانت لقوات الإمبراطور بدلاً من نيقتاس. وانتهت الحملة باستسلام الحصن بالقوة بعد معركة عنيفة دارت بين الطرفين وأصبحت كيرسانت تابعة لسيادة الإمبراطور وتدين له بالطاعة والولاء . مما اضطر رئيس الحجاب إلى الفرار والتحق نيقتاس فى كينشرينا . وعندئذ أدرك الإمبراطور إنه طالما يحيا نيقتاس فإن روح الثورة ستظل تهدد الإمبراطورية ، وبالفعل تحرك الكسيوس بفرسانه بعد أن ترك والدته والأسطول فى تريبولس، قاصداً كينشرينا معقل المتمردين آنذاك. وقام الإمبراطور بتشديد الحصار عليها حتى اضطرت إلى الإستسلام ودخلها الكسيوس وحصل على اعتراف من أهلها بسيادة الإمبراطورية عليها، ورغم ذلك فقد فشل الإمبراطور فى القبض على نيقتاس

(١) Miller : op . cit., P. 56; Lebeau: Histoire du Bas Empire,

T,XX, PP. 490, 492; Finlay: op. cit. Loc . cit .

و أتباعه ، الذين تحصنوا فى جزء منيع بالمدينة ، ولقد فوجئ الامبراطور بظهور مجموعة من الأتراك تتعقبه، الأمر الذى ترتب عليه قيام معركة بين الطرفين غير مرتب لها من قبل الإمبراطور، لذلك قتل خمسون فارسا، وأسر قائد القوات الطرابيزونية وأصبح الجيش الإمبراطورى بلا قائد لذا أسرع الإمبراطور بالهرب ونجا بحياته بفضل جواده وتمكن من الوصول إلى طرابيزون بعد ثلاثة أيام^(١) بينما ظل الخادم الأعظم ويدعى ميزوماتس Meizomates الخادم الأعظم، وميخائيل سامسبون Michael Sampson، الذى تولى منصب قائد جيش الإمبراطور ، فى محاصرتهم للمتمردين واستطاعوا أسر نيقتاس وأتباعه ولقد أرسلوه إلى طرابيزون وبعد فتره وجيزه توفى نيقتاس، ورغم ما سببه من قلق للإمبراطور الكسيوس الثالث إلا أنه حزن لوفاته بل وسار خلفه على رأس الموكب الجنائرى يرتدى رداء الحداد الإمبراطورى^(٢).

(١) Miller: Trebizond, PP. 58 -59; Lebeau : op. cit., T. XX, P. 493;

Bryer: Turkmens. P. 144 .

(٢) Miller : op . cit, P. 59 .

- ميخائيل سامسبون Michael Sampson، كان المشرف على القلعة الإمبراطورية فى عهد الإمبراطور السابق ميخائيل الثالث كومينيوس ، وأقام علاقة مصاهرة مع نيقياس حيث زوجه ابنته وذلك فى بداية الأمر . وفيما يبدو أن العلاقات ساءت بين ميخائيل ونيقتاس عندما أعلن ثورته على الإمبراطور الكسيوس بدليل محاصرته لنيقتاس فى كينشرنا حتى نجح فى أسره وأرسله إلى الإمبراطور فى طرابيزون .

Ibid, P. 55; O.D.B. Vol . I, P. 66 .

ورغم القضاء علي نيقتناس فلم يصل النزاع الداخلي بعد إلى نهايته، إذ سرعان ما قامت ثورات عديدة في مقاطعة ليمينيا وذلك في أعوام ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٦٠، ١٣٦١م تهدف إلى الإستقلال عن الإمبراطورية، ولكن الإمبراطور استطاع تحقيق الانتصار عليهم ويرجع الفضل في ذلك إلى موقع المدينة المتميز^(١) وأيضاً فإن من صور النزاع الداخلي ما تعرض له الإمبراطور عام ١٣٦٣م ، عندما كان يقضى نزهة ترفيهية في وادي سانت جريجورى St.Gregory وبينما هو يستمتع بالهواء النقي على ضفاف الوادي، هاجمه فجأة فريق من النبلاء الذين ينتمون إلى جماعة كاباسيتس من محاولة لمحاصرته والنيل منه . ولم يجد الإمبراطور عندئذ من سبيل سوى الهرب إلى القلعة الإمبراطورية، وانتهت تلك المحاولة بالقبض على المتآمرين ومن بينهم المطران نيفون Niphon عضو الكنيسة، والذي احتجزه الإمبراطور بأحد الأديرة، ثم توفى بعد ذلك بفترة قصيرة^(٢).

(١) Bryer: Turkmens, P. 129; Lebeau: op. cit.T. XX, PP. 494, 501.

(٢) Miller: op. cit, P. 66; Finlay: op. cit , Vol . IV, P. 376; Lebeau: op. cit., T. XX, PP. 497 - 498.

- وادي سانت جريجورى ، هو وادي يتدفق على مقربة من طرابيزون العاصمة .

Miller: op. cit. P. 59; Lebeau: op. cit. Loc . cit.

- وبالنسبة إلى نيفون Niphon ، راهب قضى معظم حياته في قلايته بالجبل المقدس . ولد القديس في أبيروس عام ١٣١٥م وكان والده قسيساً . وقد ارتدى ثياب الرهبنة بعد عشر سنوات من عمره وترك منزله وشجعه على ذلك عمه أسقف ديرسانت نيقولاس في أبيروس . وقضى باقى حياته في جبال أسوس St. Athos .

O.D.B. Vol. III, PP. 1487 - 1488 .

وهكذا نجح الإمبراطور الكسيوس الثالث كومينيوس فى إعادة السلام والأمن خلال السنوات القلائل من حكمه ، ظهر خلالها كرجل سياسى . وقد نجح خلالها فى القضاء على المنازعات الأهلية فى مقاطعاته وإخضاعها للسيادة الإمبراطورية^(١) .

وجدير بالذكر ، لم يذكر المصادر شيئاً عن أية اضطرابات داخلية تكون قد حدثت فى طرابيزون فى الفترة ما بين (١٣٦٤ - ١٣٩٠م) ولعل ذلك راجع إلى قوة بطش الكسيوس الثالث كومينيوس وتصديه للثورات منذ بداية حكمه مما ساعد على عدم استمرارها ومع ذلك أصبح الشعور العام للأفراد داخل المجتمع الطرابيزونى يقتضى ضرورة الإعتماد على أنفسهم دون اللجوء إلى الإدارة المركزية الممثلة فى إمبراطورية طرابيزون ويرجع ذلك إلى زيادة إستبداد وسطوه النبلاء البيزنطيين داخل طرابيزون مما أهدر حقوق الشعب الطرابيزونى الأمر الذى أثار سخط الشعب عامة داخل الإمبراطورية^(٢) .

وعندئذ أدرك الإمبراطور أن مواجهة بعض الصعوبات تستلزم التريث وبعضاً من الحكمة، لذا اهتم الإمبراطور بالنواحي الدينية لكسب محبة الشعب ورضائه مستعيناً بالقساوسة ، حيث قام بمنح الأكليريوس العديد من الهبات الفريده . كما أحتفل سنوياً بمولد القديس إيجينيوس Saint Eugenius على نفقة الخزانة الإمبراطورية وذلك تقديراً لمكانة هذا القديس لدى قلوب الشعب . وأهتم الإمبراطور أيضاً بتجديد كنائس أخرى وأسس وأصلح العديد من الملاجئ والأديرة وأهمها دير الراهبات بنجهياثيوسكيياستوس - Panaghia Theo-

Miller : op . cit, P.59 .

(١)

Finlay: History of Greece, Vol . IV, PP. 374 - 375 .

(٢)

skepastos حيث زينه بالزخارف وتم تمويله بعناية الإمبراطور وسخائه (١). كما أعاد ترميم كنيسة سانت فوكاس Saint Phokas وجعله ديراً وذلك في منطقة كوردبولى Kordyle. وكذلك الحال بالنسبة للدير العظيم فى صمويلا Sumela هذا فضلاً عن اهتمام الإمبراطور بمنطقة الجبل المقدس Holy Mountain وخاصة جبل أسوس Mount Athos باعتباره مركزاً للكنيسة الشرقية حيث شيد هناك ما يقرب من اثنين وعشرين ديراً تابعين للجبل المقدس (٢).

(١) Finlay : op cit., Vol . IV , PP. 383 -384 ; Miller: op. cit, PP.

63, 66; Cuient: Turquie d' Asie, I, P. 45 .

- أما بالنسبة إلى ديرينجهياثيوسكيباستوس Panaghia Theoskepastos. لقد تمتع هذا الدير كثيراً بسخاء الإمبراطور الكيسوس . وأعتمد فى إنشائه على انحدرات جبال بوزتوب Boztope التى تطل على مدينة طرابيزون . وتلك المنشأة الآن ربما تشبه قليلاً ما كانت عليه فى عهد الكيسوس بإستثناء كنيسة الصخرة المعلقة والتى حفظها معبد أبو للو ميثراس Apollo Mithras والتى بها رسومات توضح المؤسسون لهذا الدير. كما ظهر به صورة الإمبراطور الكيسوس وزوجته ووالدته على شمال تلك الكنيسة وبعض رسومات تنسب إليه .

Rice: Notice on Some Religious Building in the city and Vilayet of Trebizond, B., P. 6.

Norman, P-Tanner, S: Decrees of the Ecumenical councils, Vatican, (٢)

1990, Vol, II, PP. 303 - 304; Draseke: Von Dionysiysio Skloster auf dem Athos, Byz. Zeit., 1893, T. II, PP. 86, 90; Finlay: op. cit., Vol IV, PP. 383 - 384; Miller: op. cit., PP. 64 - 65; Cuient : op . cit ., I,P. 54

انظر أيضاً : جوزيف نسيم ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٨١ .

- كوردبولى Kordyle ، تشغل موقعها الآن قلعة تركية تعرف بإسم (أك-كالا) AK - Kala .

Finlay . op. cit., Vol : IV, P. 384 .

- دير صمويلا Sumela ، يوجد فى موقع مشهور فى مواجهه جرف صخرى وعريشرف على مجرى=

وكان ورع وتدين الإمبراطور قد أكسبه تعاطف شعبه وهذا ما يصبو إليه .

= ميلاس Melas، ويبعد حوالى أربعون كيلو متراً مربع جنوب طرابيزون. ويذكر أن تأسيس الدير يرجع إلى القرن الرابع الميلادى وينسب تأسيسه إلى راهبين من أثينا - هما برتابس Barnabos سوفرونيس Sophronios - ولقد تحسنت أحوال الدير خلال حكم الكومينيوس العظام خاصة حكم الإمبراطور الكيسيوس الثالث كومينيوس الذى كان مشغولاً عن تجديد الدير فى الفترة ما بين عامى (١٣٦٠ - ١٣٦٥م) وفى خرسوبيل عام ١٣٦٤م الذى عقد بين طرابيزون والبنادقة نجد ذكر الدير فى قائمه الممتلكات الامبراطورية وأنه تابع لمقاطعة ما تزوكا. ولقد وهبت تلك الوثيقة لصمويلا إعفاءات من الضرائب والمتعلقات المالية الأخرى وأطلق على الدير اسم « الدير الإمبراطورى » فهو بمثابة بطريركية لها. ولقد شهد كهف هذا الدير صوراً لأباطرة طرابيزون، شملت الكيسوس الثالث بين مانويل الثالث وأندروينقوس. وتلاحظ أن الدير هجر فى القرن العشرين ميلادياً . وقام الإمبراطور بمنحه خاتمة الذهبى عام ١٣٦٥ م .

Rice, op. cit., PP. 72 - 73; Miller : op. cit., PP. 62 - 63, 70; Lebeau: op. cit., T.XX, PP. 495 - 508; Hertzbergs : Storia Bizantini E D'ell Impero Ottoman Sinvers La Fine del XVI, Secolo , Milano, 1894, P. 738.

- وبالنسبة إلى الجبل المقدس Holy Mountain، هو عبارة عن عدد من الجبال بضواحيها فى البلقان وأناطوليا وكان الشرق، المنطقة الرئيسية فى اجتذاب أعداد من الرهبان . ونالت تلك الشهرة «الجبل المقدس» ومن أهم جباله Auxentios, Sinai، وقد استقر فيها الرهب خلال القرن العاشر الميلادى. وجبل Latros، الذى أستقبل الرهبان فى القرن السابع الميلادى وبينما جبل وأسوس استقبلهم فى القرن الثامن الميلادى وحتى منتصف القرن العاشر الميلادى ، وجبل أوليمبيوس وجبال جاليسو Galesio ، جانوس Ganos وشهد تجمع الرهبان فى القرن العاشر والحادى عشر الميلادى . بينما كانت إقامة الرهبان فى جبل متيورا Meteora فى القرن الرابع عشر الميلادى واتصف الجبل المقدس عادة بعزلته ووعورة تضاريسه بما يتناسب مع رغبة العديد من الرهبان فى الإقامة بالبرية .

O.D.B. Vol. II, P. 941 .

- أما جبل أسوس Mount Athos ، ويسمى أيضا بالجبل المقدس باعتباره عروس المكان بين باقى الجبال . وتلاحظ منذ أواخر القرن العاشر الميلادى. فقد ازدادت أهميته كمركز للأرثوذكسية فى

فضلاً عن علاقة الإمبراطور الكسيوس مع الكنيسة الغربية مما جعل من طرابيزون مركزاً لنشر الديانة المسيحية على مذهبهم في المناطق التي لم تصلها الأديان السماوية^(١) .

الشرق. وقد أطلق إسم أسوس على البروز أو التلوات الشمالية من شبه جزيرة Chalkidike، وتقع على إمتداد خمسة وأربعون كيلو متر، وأتساع يبلغ ألف وخمسة كيلو متر مربع، وقمتها تصل إلى ألفان وثلاثة وثلاثون متر يغلب على هذه المنطقة الصخور وكانت أهم مركز للرهبنة وقد فر إليها الرهبان من الفتوحات العربية للمقاطعات الشرقية للإمبراطورية البيزنطية أو لإضطهاد الأباطرة لهم . كما واجه الرهبان بجبل أسوس بعض الصعوبات مع اللاتين. عندما أعاد ميخائيل الثامن باليولوجوس العاصمة عام ١٢٦١م وأصبح الرهبان غير مرغوب فيهم بسبب رفضهم إتحاد الكنائس في مجمع ليون ١٢٧٤م. ولكن جبل أسوس تمتع بالرخاء وتشيد العديد من الأديرة في تلك الفترة ويرجع ذلك إلى اعتماد الكسيوس الثالث على الناحية الروحانية أكثر من أدوات الحرب من أجل الدفاع عن الإمبراطورية لاعتقاده أن الأديرة أكثر أهمية من الحصون والقلاع .

Miller : op . cit , Loc . cit; Norman-Tanners : op. cit ., PP. 303 - 304;
O.D.B. Vol . I , PP. 224 - 226 .

Golubouic: Biblioteca Bibligr Fica Della- Terra Santa (١)
Dell,O'riente Francesseano . T. V. collegiodis bonaventura, 1927,
PP. 92- 93.

- يوجد رسالة بتاريخ ١٧ يناير ١٣٦١م موجه من البابا أنوسنت السادس . إلى أسقف روما في طرابيزون ويدعى كوزما Cosma، وهو راهب فرنسيسكاني وقد جاء بالرسالة ما يلي :
« الحبر الأعظم كوزما »، أسقف طرابيزون الذي يعلم أنه في بلاد التتار الشمالية يقيم عدد كبير من المؤمنين الجدد، لو وجدوا التعليم المناسب لتوافدوا في الايمان. وهناك أعداد كبيرة منهم مستعدون للدخول في المسيحية...»

وكان كوزما رسولاً نشطا بين التتار من الكبيجاك واسيا الصغرى متخذاً من طرابيزون مركزاً لنشر الدين المسيحي .

Golubouic: op. cit. T. V, P. 93 .

وجدير بالذكر أن الإمبراطور الكيسوس الثالث قد نجح في القضاء على الحروب الأعلى وضمن التفاف معظم أفراد الشعب الطرابيزوني حوله وقد حرص فيما بعد على الاستفادة من إيرادات الإمبراطورية لمواجهة الأخطار الداخلية والخارجية، وتوفير الأموال اللازمة لتحسين الإمبراطورية، وذلك عن طريق تجديد العلاقات بين البندقية وطرابيزون. فقام الإمبراطور بإرسال سفارة للتفاوض مع البنادقة أسفرت عن عقد عدة اتفاقيات في أعوام ١٣٦٤م، ١٣٦٧م، وكان الهدف منها أيضاً تحقيق نوعاً من التوازن الإقتصادي والسياسي مع القوى الخارجية^(١) ويقصد بها جنوه حيث كانت العلاقة بين الإمبراطور الكيسوس الثالث كومينيوس والرعايا الجنوبية داخل الإمبراطورية تكاد تكون سيئة ومما يؤكد ذلك التشاجر الذي دار بين أحد

(١) Thomas -Pnedelli: *Diplomatorium Veneto Levantinum*, I, PP. 101, 126 - 127, 129, 136; Miklosich et Muller : *Acta et Diplomata*, T. III, PP. 131 - 134., CFalos, Thiriet: *Les Venitiens en Mer Moire*, PP. - 46-47; Zakythions: op. cit., PP. 19- 20, 26-28, 50- 51; Andreads, A: Deux Lives recent by zantines . B.Z., 1928, P. 304; Lebeau: op. cit., T. XX, p. 494; O.D.B. Vol. I, P. 62.

ولقد تنازل الإمبراطور خلالها عن بعض الإمتيازات وذلك لتنشيط حركة التجارة في بلاده وتدعيم أواصر الصداقة بين البلدين. لمزيد من التفاصيل راجع : هايد، المرجع السابق، ج٢، ص ٣٤٣ - ٣٤٤، ٣٧٠ - ٣٧١؛ فايز اسكندر : المرجع السابق، ص ٣٣ - ٣٥ .

رجال الحاشية المقربين من الإمبراطور، وتاجر جنوى يدعى ميجولا لركارى Megollo Lercari عام ١٣٧٩م وقد تسبب هذا الشجار فى تعرض طرابيزون لحملة بحرية بقيادة ميجولا، تآلفت من سفينتين حربيتين ، نجحت فى الاستيلاء على سفن الإمبراطورية وتخريب مراكز التجارة بمدينة طرابيزون ، كما دمرت الشواطئ ، وأخذت عدداً كبيراً من الأسرى ومثلت بهم . وأمام هذا الهجوم ، أمر الإمبراطور الكسيوس الثالث بإعداد فرقه حربية لمواجهة ميجولا، تتألف من أربع سفن حربية كبيرة قد جهزت بالعدة والعتاد وأصبحت على إستعداد لمواجهة هذا الهجوم الجنوى العاصف . وقد خطط أهل طرابيزون لمباغته الجنوية وقهرهم ، لكن رغم مهارة البحارة الطرابيزونيين فقد حالف النصر الجنوية وتبعه عقد معاهدة سلام بين الطرفين^(١) .

(١) Daru,L.: Storia della Repubblica di Venezia,Vetica,1832,T.II
PP. 272 - 274; Finlay : op . cit ., Vol . IV , PP. 380 - 381, 385; Lebeau:
op. cit., T. CXV, PP. 462 - 464; Franzius: History of Byzantine, P.
417; Miller: op. cit., pp. 73 -75.

- ميجولا لركارى Megollo lercari ، وهو تاجر جنوى يقيم فى مستعمرة كافا ويتاجر فى بعض السلع من طرابيزون وكان من الطبيعى أن يقيم تعاملات حسنة مع طرابيزون ليحقق بعض التسهيلات التى تمكنه من إدارة مصالحة ونظراً لثرائه كان كثير التردد على البلاط الإمبراطورى . وفى أحد الأيام أثناء لعب ميجولا بالشطرنج قام نزاع بينه وبين أحد رجال الحاشية ، الذى قام بضرب ميجولاً كما رفض الإمبراطور الاعتذار لميجولا عما حدث . الأمر الذى دفع ميجولا على ترك طرابيزون معلناً أنه سوف يحمل الإمبراطور مسئولية ما حدث بسبب وقاحه حاشيته ولذلك بدأ فى إعداد وسائل الإنتقام لتحقيق ذلك وتحركت حملته من المستعمرة الجنوية فى كافا ضد طرابيزون، وقد لجأ ميجولا إلى استخدام الخدعة فى حملته لهزيمة طرابيزون فتظاهر بالهروب ولنا نجح فى فصل السفن التابعة للإمبراطورية إحداهم عن الأخرى . وعندئذ شن ميجولا هجوماً موحداً عليهم مما حقق له النصر على الأسطول الإمبراطورى
Finlay : op . cit., Vol. IV, P. 381., Lebeau: op. cit., T.XX, p. 463.

وجدير بالذكر ، فقد أراد الإمبراطور الكسيوس الثالث كومينيوس أن يستفيد من هذه الظروف لتنشيط حركة التجارة وتدعيم أواصر الصداقة بينه وبين الجنوييه، حيث تعهد بأن يضع تجارهم فى طرابيزون بصرح ملكهم كمستودع أو مخزن، وإقامة مبانى ضخمة كخانات للقوافل ومساكن للتجار ومخازن للبضائع، بالإضافة إلى قلاع للدفاع عن أنفسهم ، وقد وقع الإمبراطور بالخاتم الذهبى على ذلك ، تأكيداً لكل الإمتيازات التى تمتع بها التجار خلال فترة حكمه .

ومما سبق يتضح أن الإمبراطور الكسيوس الثالث نجح عن طريق تجديد سياسته فى الحفاظ على درجة من النفوذ السياسى . فضلاً عن ذلك السماح لمرور التجارة فى أقاليمه قد منحه موارد مالية عديدة أظهرت ثراء الإمبراطورية الطرابيزونية . كما أن أغلب الأمراء الأقوياء المجاورين له أقاموا علاقات ودية مع البلاط الطرابيزونى، لأن رعاياهم تريح من استمرار التجارة فى مدينة طرابيزون ^(١) وفضلاً عن هذا نجح الإمبراطور الكسيوس إلى حد كبير فى تأمين جبهته الداخلية وذلك بالقضاء على المنازعات والحروب الأهلية، وتحسين الأحوال الإقتصادية، ورفع مستوى معيشة الشعب الطرابيزونى عن طريق عقد المعاهدات التجارية، وتقديم التنازلات للمدن الإيطالية الكبرى فى سبيل انتعاش الحياة الإقتصادية التى تعتمد

Lebeau: Histoire du Bas Empire, T. CXV, PP. 464 - 465; Finlay: (١)
op . cit., Vol . IV, P. 385 .

أساساً على التجارة فى طرابيزون^(١) .

ويبدو أن التركمان المجاورين لحدود إمبراطورية طرابيزون قد اغتتموا فرصة الفوضى، والاضطرابات القائمة داخل الإمبراطورية الناتجة عن الحروب الأهلية، وضعف السلطة المركزية فى البلاد فقاموا بشن غارات خاطفة على ممتلكات الإمبراطورية بقصد السلب والنهب وتخريب موارد الثروة فى البلاد^(٢) وكان معظم الغارات تتم فى أماكن مختلفة وعلى فترات متقاربة ، وكانت مقاطعة ليمينيا Liminia وهى إحدى المقاطعات الهامة التى أصابها الكثير من الأضرار التى سببتها غزوات الترك ولذا فقد حرص الإمبراطور الكسيوس الثالث على الزيارات المستمرة إليها محاولاً تأكيد سيادته وإحكام سيطرته عليها وإن كان الإمبراطور أقل حظاً فى حروبه مع التركمان بقدر تفوقه فى القضاء على الثورات والحروب الأهلية بين رعاياه ، ورغم ذلك فقد كانت الإمبراطورية تسترد ما سلب منها على أيدى التركمان . وقد نجح دوق خلديا Chaldia ويدعى حنا كاباستيس John Kabasites فى استرداد قلعتين من التركمان وهما سوروجانا Sorogaina وشيرينا Cheriana، ولكن سرعان ما أغاروا على شيرينا فأعد لها الإمبراطور حملة فى عام ١٣٥٥ م ، خرج على رأسها إلى القبائل التركمانية . وقام بأعمال السلب والنهب وأخذ العديد من الأسرى ، لكن أثناء باغته فرقة صغيرة من الجيش التركمانى مما

Miklosich- Muller: Acta et Diplomata, III, P. 134; CFalso, (١)

Zakythi ons: op. cit., P. 37; Finlay : op. cit., Vol . IV, P. 378 .

Franzuis: History of Byzantine, P. 417; Finlay, op. cit. Loc . cit . (٢)

أصاب الجميع بالذعر وفروا هارين دون أية محاولة لمقاومة التركمان. ولقد بلغت خسائر طرابيزون في هذه الحملة ما يقرب من أربعمئة قتيل كما لقي حنا كابستيس حتفه وفقدت الحملة كل الأسلاب، ومؤن الجيش والخيام الإمبراطورية، واستطاع الإمبراطور الفرار عائداً إلى العاصمة^(١). وقد ترتب على هذه الهزيمة أن قامت الجموع التركمانية بغاراتهم على ممتلكات طرابيزون. ولم يكن اتحاد وجموع التركمان أمراً ألزمته سياسة معينة متفق عليها، بإستثناء إتحاد الكيبنى بل كانت تحدث غالباً بطريقة عشوائية. كما أن قتال الإمبراطور الكسيوس الثالث للتركمان أفسد محاولاتهم للتقدم داخل بلاده وذلك لمدة ثمانية وعشرين عاماً^(٢).

(١) Miller: Trebizond, PP. 59 - 60; Lebeau: op. cit, T. XX, P. 493 .

- خلديا Chaldia ، تقع في الركن الشمالى الشرقى من آسيا الصغرى وفقاً لما ذكره علماء الجغرافية العرب كان لديها جيش مكوناً من عشرة آلاف رجل، ولديها ست حصون وتشغل خلديا الجزء الشرقى من بنطس في وادى داخلى كانت عاصمة لطرابيزون، ولكن مدقعها البعيد أعطاها أهمية تجارية وحريه . وكانت قاعدة الارتكاز الأساسيه للسلاف ونالت خلديا إستقلالها عنهم في الفترة ما بين (١٠٧٥ - ١١٤٠م) ولقد أشار كثيراً إلى أن مساحتها محدودة ناحية الجنوب . وكانت الحد الفاصل ومستجمع الأمطار التى تسقط على جبال بنطس . وقد سيطر على خلديا بعض الأسر المحلية مع احتفاظ طرابيزون بالسيادة الرسمية عليها .

O.D.B. Vol. II, pp. 404- 405.

- أما سوروجانا Sorogaina ، شيرينا Cheriana ، لم تذكر المصادر شيئاً عن مواقعهم .

Lebeau: op. cit, Loc. cit .

Ibid , PP. 491, 501; Bryer: Turkmens, P. 129.

ويبدو أن هجمات التركمان قد شكلت إزعاجاً شديداً للإمبراطور الكسيوس الثالث جعله يفكر في خيار آخر للتعامل معهم غير الخيار العسكري، وذلك تجنباً لحدوث خسائر أخرى قد تنجم عن هجمات جديدة للتركمان . الأمر الذي جعله يقدم على فتح باب التفاوض معهم من أجل إقرار السلام بين الطرفين عام ١٣٥٢م والذي دعمه بزواج شقيقته ماريا Maria إلى الأمير فخر الدين كيتلج بك Fahreddin Kutlug beg، (١٣٥٢ - ١٣٦٧م) زعيم جموع التركمان من الاق قيونلى^(١).

علماً بأن تحركات الإمبراطور الكسيوس الثالث لصد خطرهم لم تتعد واحداً في المائة من تحركاته تجاه الشعب التركمانى بأسره ، ويرجع ذلك إلى أن

(١) Ducae: op. cit., P. 69; CF, Miller : Trebrizond, P. 60; Vryonis, op. cit ., O.D.P.p. 10; Bryer : Greek Historian on the Turks, PP. 144. 481; Lebeau: op. cit., T.XX, P. 498; Bryer: Turkmens, P. 135; Zachariadou: op. cit. P 337; Nicol, Byzantin Family, pp. 58- 62; O.D.B . Vol . I. p. 65, Vol. III, p. 2712.

-لقد اتبع الأباطرة الطرابيزونين ، التقليد البيزنطى فى أمر المصاهرات الزوجية الذى كان قائماً بالفعل ولكن مع اختلاف واحد هو أن الطرابيزونين منحوا بناتهم أو أميراتهم الشرعيين إلى الأتراك فى حين نجد القسطنطينية بإستثناء حنا السادس كانتاكوزينوس فقط. قد أعطوا الأتراك بناتهم غير الشرعيين. واعتبرت بيزنطة هؤلاء الفتيات منحه لردع شر الأتراك عن إمبراطوريتهم .

Chalcocondylae:op. cit., pp. 461 -462; Bryer: Turkmens, pp. 135, 149; Zachariadou:Trebizond, p. 338; Nicol: The Last centuries of Byzantium, Cambridge, 1993, 2 nd p. 210.

تحركات الإمبراطور كانت لمواجهة باقى التركمان ممن هم أشد خطراً على إمبراطوريته^(١).

وفى عام ١٣٥٧م، أتم الإمبراطور زواج شقيقته ثيوردورا من أمير خلايا، حاجى عمر، إثر معاهدة صلح تمت بين الطرفين بعد أن نالت الإمبراطورية منه بخسائر كبيرة استنفذت مواردها لمدة ثمانية أشهر، وذلك بسبب مهاجمة الأمير لمقاطعة ماتزوكا Matzouka والتي أنهت بهزيمة جيوش طرابيزون أمام قوات خلايا فأدرك الإمبراطور الكسيوس الثالث حينذاك أن هذه المصاهرة سوف تحمى بلاده من بطش هذا الأمير التركمانى خاصة عندما جعل حاجى عمر مهر العروس كلاً من خلايا وغالباً أونايون، مع ملاحظة أن الإمبراطور كان يتعامل مع هؤلاء الامراء من التركمان على اعتبارهم أمراء تابعين له^(٢). كما

(١) Miller: Trebizond, p. 66; Bryer: Turkmens, pp. 122, 132 - 133.

(٢) Zachariadou: op. cit, p. 343; Bryer: Turkmens, pp. 130, 134, 136, 145; Lebeau: Histoire du Bas Empire, T.XX, p. 494; Miller: op. cit, p. 60; Finlay : History of Greece, Vol.IV. p. 380.

حاجى عمر Hadji Omar ، ابن الأمير ابراهيم بك حاكم خلايا (١٣١٣ - ١٣٣٢م) وهو أول من هاجم طرابيزون نفسها من التركمان. وقد استولى من قبل على أونايوم مع طريق جبلى حتى نيوقيصريه ورأس جاثون . علماً بأن الأتراك قد استولوا على خلايا فى الفترة من بعد عامى ١٢٨٠م، ١٢٩٧م وقد توافق ذلك مع تأسيس إمارات عديدة للتركمان بسبب ضغط التركمان على مناطق الحدود علماً بأن خلايا تقع شرق طرابيزون ولقد تولى حاجى عمر حكم خلايا فى الفترة ما بين (١٣٥٧ - ١٣٦١م)

Lebeau , op. cit. Loc . cit; Bryer: Turkmens,p. 130 .

- أما بالنسبة إلى ماتزوكا Matzouka، فهى منطقة تتبع إمبراطورية طرابيزون - وتتألف من الأودية الموصلة إلى داخل الإمبراطورية وتقع تحت سيطرة رهبان الأديرة فى Peristero وصمويلا ويرجع لسكانها الفضل فى عدم سقوط طرابيزون أمام هجمات الأتراك العديدة. وظلت تحتفظ بالاستقلال الذاتى حتى بعد سقوط طرابيزون ويوجد بها العديد من القلاع والأديرة العظيمة.

O.D.B . Vol . III, P. 1317 .

أقدم على زواج ابنته من أحد الأمراء الأتراك فى ليمينيا كما سيتضح .
وترجع أسباب كثرة المصاهرات بين الطرفين الطرابيزونى والتركمانى بالرغم من اختلاف الديانات إلى حرص الإمبراطور الكسيوس على تجنب الكثير من المشاكل الناجمة عن التخريب والدمار الذى يلحق بملكاته من جراء الحروب مع التركمان وفى الوقت ذاته يضمن الإمبراطور سيطرته الرسمية على المناطق التى يمنحها للتركمان كمهر لهذه الزيجات . وفى نفس الوقت ينال التركمان نفس الفائدة من فرض سيطرتهم على مناطق إستراتيجية دون الدخول فى حروب لا يعلموا مدى نتائجها ^(١).

ورغم أتباع الإمبراطور الكسيوس الثالث أمر الزواج السياسى مع أمراء التركمان من أجل حماية بلاده من هجماتهم المتوالية ، إلا أن ذلك لم يضع حداً نهائياً للصراع بين الطرفين . فلم يلبث أن تجددت الحروب بينهما من جديد مرة أخرى، ففي عام ١٣٦١م، خرج أمير بابيرت على رأس أربع مائة فارس من فرسانه وباغت فجأة مقاطعة ماتزوكا والمناطق المجاورة لها والتابعة لإمبراطورية طرابيزون ، ولكن كان لطبيعة المنطقة جغرافيا دور فعال فى حسم الصراع لصالح سكان ماتزوكا حيث باغتوا الأتراك بالهجوم مستغلين وعورة المكان والدروب المتلوية وأنزلوا وابل من السهام والحجارة على الأتراك مما مكنهم من هزيمتهم وأسروهم لعدد كبير ممن تبقى منهم على قيد الحياة. وفى اليوم التالى للمعركة حملت رؤوس الأتراك فى موكب نصر إلى طرابيزون، وقاموا بجمع

(١) Chalcocondylae:op. cit., pp. 461 - 462; Bryer: Turkmens, pp. 135- 149; Nicol: Byzantin Family, p. 120 ; Miller : Trebizond, p. 69; Izzeddin, M.: Notes sur le margiages Princiers en Orientmouen age, J.A., 1969, pp - 140 - 156

الكثير من الغنائم و الأسلاب التى خلفها الجيش التركى، وفى نفس الوقت تمكن الإمبراطور أيضاً من فك الحصار الذى فرضه أمير أرذنجان التركى على جولاشا Golacha وهى إحدى القلاع الهامة فى خلديا، واسترداد ما قام بسلبه من غنائم . وقد زاد ذلك من حمية سكان المنطقة فقاموا بالهجوم على القوات المعادية لهم وقتلوا ما يقرب من تسعين فارساً وقطعوا رأس أميرهم ومثلوا بجثث الأسرى^(١) .

وفى ديسمبر من نفس العام ١٣٦١م، خرج الإمبراطور الكسيوس الثالث كومينيوس لمعاقبة منطقة هاسبتوكاستورن Haspitocastorn التى تتبع أمير خلايبيا، حاجى عمر، وذلك بسبب إغارتهم على كيرسانت التابعة لإمبراطورية طرابيزون الأمر الذى دفع الإمبراطور إلى التحرك براً بقواته من خلايبيا إلى كيرسانت ليدعم الأمن هناك وقد قوتب على هذا الهجوم، أن أصبح حاجى عمر والأتراك التابعون له خاضعين للإمبراطور منذ ذلك العام^(٢) .

(١) Lebeau: op. cit, T. XX, pp. 496, 501; Miller : op. cit , p. 65;

Finlay : op . cit., Vol . IV, p. 397; Bryer: Turkmens, p. 145.

بابيرت Paipourt, Bayburt. Baipert, Baibert, مدينة من أهم مدن ولاية أرزن الروم ، جنوب شرق طرابيزون وهى مدينة متسعة بها ما يقرب من ألفين مسكن، أغلب سكانها من الأرمن ، بها أربع كنائس وسكانها يتحدثون اللغة الجورجية، وتقع على وجه التحديد بين طرابيزون وأرزن الروم. Lebeau: op. cit., T. XX, p. 496.

(٢) Bryer: Turkmens, pp. 137. 145, 495; Lebeau: op. cit., Loc . cit.

- أما عن منطقة هاسبتوكاستورن Haspitocastorn لم يرد ذكرها فى المصادر أو المراجع . وما سبق يتضح أنها تقع بين كيرسانت وطرابيزون .

ويرى الباحث أن السبب فى انقلاب الكسيوس ضد عمر أمير خلايا وهو صهره إنما يرجع لعدم تقدير الامراء التابعين لحاجى عمر والتزامهم بمعاهدة الصلح التى عقدت بين حاكمهم وبين إمبراطور طرابيزون. وكان من البديهي أن يقف الإمبراطور الكسيوس موقفاً إيجابياً تجاه انتهاك معاهداتهم .

ولم يمض وقت طويل على إخضاع الإمبراطور الكسيوس الثالث كومينيوس لخلايا حتى تعرضت إمبراطورية طرابيزون لخطر آخر قادم هذه المرة من جهة ليمينيا التى أصبحت مصدر اضطرابات للإمبراطورية ، إذا أدعى أحد الأمراء التركمان ويدعى تاج الدين جلبى Tadjeddin فى عام ١٣٦٢م، بأن ليمينيا إحدى مقاطعاته، وفى نفس الوقت تقدم الأمير لمصاهرة الإمبراطور الكسيوس الثالث بالزواج من ابنته أيدوكيا وكانت حينئذ لا تزال تحت رعاية الأسقف فى طرابيزون . وقد وجد الإمبراطور أن تلك المصاهرة هى أفضل وسيلة لتأكيد حمايته من تهديد التركمان بالنسبة إلى ليمينيا ومن خلالها تسلم المدينه كمهرراً للأميرة بدلاً من فتحها عنوة، ولكن الشعب الطرابيزونى رفض تلك الزيجة فى بداية الأمر، ويرجع ذلك إلى وجود عدااء بين تاج الدين ومدينة سافس ونظراً لتوتر العلاقات فيما بينهم، لجأت طرابيزون إلى تجنب العلاقات الأسرية مع تاج الدين والتى قد يترتب عليها وضع طرابيزون فى موقف المواجهة أمام سافس التى تمكنت من إجبار تاج الدين على الخضوع لها ودفع الجزية السنوية وذلك فى نفس العام. وهناك سبب آخر وراء رفض الشعب لتلك الزيجة ويتمثل فى سوء العلاقة بين تاج الدين ، وحاجى عمر أمير خلايا

ويرجع ذلك إلى رغبة الأول في الاستيلاء على مقاطعة خلايا . ولذلك اعتقد الشعب الطرابيزوني أن مصاهراتهم لتاج الدين سوف تدمر علاقة الصداقة مع صهرهم أمير خلايا ^(١) . وفيما يبدو فإن هناك بعض التغيرات قد حدثت فيما بعد وتمثلت في تعرض طرابيزون لهجوم من الأتراك على فترات متقاربة نجحوا

Bryer: Turkmens, pp. 121, 130, 136, 146, 492; Gibbons: op . cit, p.(١) 293; Zachariadou: Trebizond, pp. 347 - 348.

- تاج الدين Tadjesddn، يدعى أيضاً Tatziatin، وهو السيد على نيقصار Niksar - أنيوقيصرية وأيضاً على سهل يطل على Cphanoroia التي تقع بين أماسيا ونيقصار بالقرب من نهر أراس ، أما نيقصار فهي أحد مدن بنطس تقع على وادي ليكوس Lykos وهو أحد الطرق الرئيسية الشمالية عبر أناتوليا . وتعد هذه المنطقة أفضل موقع في بنطس. كما يصل الطرق البرية بأرذنجان وأماصيا . فضلاً عن ذلك كانت لها أهميتها الحربية والحقيقة أن ليمينيا التي كانت تتبع آل كومينيوس، تشكل منطقة الحدود بين أقاليم الإمبراطورية الطرابيزونية وأمالك الأمير تاج الدين لذلك حرص على أخضاعها لممتلكاته . ولقد توفي عام ١٣٨٦م على أثر معركة عنيفة دارت بينه وبين أمير خلايا كما سيتضح .

Zachariadou: pp. cit., pp. 345- 346; Finlay : op . cit., Vol . IV , pp. 399, 385; O.D.B. Vol . II,p. 1454.

أما سافس فهي مدينة تقع شرق أناتوليا على نهر هاليس .

Cibbons: op, cit., p. 186 .

- ايدوكيا هي ابنة الإمبراطور الكسيوس الثالث وثيودورا كانتاكوزينوس . ولدت في ١٥ أكتوبر ١٣٥٨م وعندما طلبها تاج الدين للزواج عام ١٣٦٢م كانت لاتزال طفلة، وتزوجها عام ١٣٧٩م وبعد وفاته تزوجت من الإمبراطور البيزنطي حنا الثامن كما سيتضح .

Bryer: Turkmens,p. 148.

من خلاله فى الاستيلاء على مقاطعة خلابيا وشيرينا كما سيتضح . وفى الوقت نفسه فقد أعلن تاج الدين إستقلاله عن التبعية لسافس ورفض دفع الجزية ودارت معركة بين الطرفين انسحبت على أثرها جيوش سافس بعد أن نهبت أقاليم تاج الدين، وبعد ذلك جاءت موافقة طرابيزون على زواج تاج الدين من الأميرة عام ١٣٧٩م بعد مفاوضات استمرت سبعة عشر عاماً^(١) .

وعندما أدرك الإمبراطور الكسيوس أنه أمن نفسه إلى حد ما من خطر التركمان امتدت أنظاره إلى جورجيا ، ففي عام ١٣٦٧م تحرك الإمبراطور إلى لازاكا فى وسط موكب مهيب وبصحبه الملكة الأم وابنته الأميرة آنا كومينيوس، كزوجة إلى ملك أيبيريا ويدعى بغراط الخامس Bagrat V^(٢).

(١) Zachariadou : op. cit., p. 348; Bryer: op. cit. Loc. cit.

(٢) Dueas: op. cit., p. 125; CF, lebeau: op. cit, T.XX, pp. 499 - 500.

- ايبيريا ، أو أبخازيا أو جورجيا عند البيزنطيين هى إسم يطلق على ناحية جبل القيق « جبال القوقاز » تقع شمال أرمينيا العظمى و تؤلف شطرا من جورجيا الحالية ، وتقع بين البحر الأسود وبحر قزوين وشرق مدينة طرابيزون .

- ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ط ١ ، دار أحياء التراث العربى، بيروت، ١٩٧٩، ص ٨٥٨
أما عن الملك بغراط الخامس Bagrat V ، فقد حكم جورجيا فى الفترة ما بين (١٣٦٠ - ١٣٩٥م) خلفاً لأبيه الملك ديفيد الذى حكم جورجيا لمدة عشر سنوات ، وتوفى عام ١٣٦٠م . ويذكر أحد المؤرخين الجورجيون أن يتمور لانك خرج ضد الجورجيين عام ١٣٩٦م وكان بغراط متعصماً بقلعة تفليس لكن المدينة قد سقطت فى أيد تيمور، ووقع الملك فى الأسر وكذلك زوجته آنا كومينيوس ابنة الإمبراطور الكسيوس الثالث. وقدورد فى أخبار الكرج بنأ ارتداد الملك بغراط الخامس عن دينه ويبدو أن ذلك كان خدعة بارعة مكنته من القضاء على إثنى عشر ألفاً من جنود تيمور وأستعاد أملاكه وقد خلفه على عرش جورجيا ابنه جورج عام ١٣٩٥م .

- ابراهيم خورشيد : المرجع السابق ، ج ٩ ، ص ٤٥١.

ولم يكتف الكسيوس بذلك بل أقدم فيما بعد على زواج ابنه مانويل من أميرة جورجيا والتي تدعى ايدوكيا وذلك بهدف تأمين الحدود الشرقية لإمبراطوريته مع جورجيا (١).

ولم يثبت أن تعرضت الممتلكات الطرابيزونية إلى غارات جيرانها من التركمان ففي عام ١٣٦٨ م أغاروا على مقاطعة خلديا التابعة للإمبراطور الكسيوس الثالث. وعادوا الهجوم في عام ١٣٦٩ م ونجحوا في الاستيلاء على قلعة جولاشا التابعة إلى خلديا وحينذاك سار الإمبراطور ضدهم على رأس جيشه في يوم عيد القيامة وباغت التركمان وتمكن سكان خلديا من ردعهم بالسيف في معركة عبره لمن يغير على بلادهم وبالفعل نجح الإمبراطور في إخضاعها لفترة قصيرة أى ما يقرب من سبع سنوات . ومن الملاحظ أن تلك المنطقة كانت الإمبراطورية تفقدها بصفة دائمة نظراً لأهمية موقعها. وفي عام ١٣٧٠ م رأى الأمبراطور الكسيوس ضرورة القيام بمحاولة للقضاء على هؤلاء الأتراك قضاءً مبرماً فخرج على رأس خيره جنوده والتقى مع الأتراك على شاطئ بحر مرمرة حيث توجد المراعى الصيفيه . وأدار الإمبراطور معركة غير متكافئه، ولم يكن معه سوى مائه فارس بينما يبلغ عدد الأتراك خمسمائه فارس وثلاثمائة من المشاه وعلى الرغم من ذلك فقد انتهت المعركة بانتصار الإمبراطور لمعرفته بطبيعة البلاد التي دارت على أرضها المعركة . كما أرسل دفعة أخرى من رؤوس الأتراك إلى طرابيزون . وفي عام ١٣٧٢ م ، قام

(١) Finlay : op. cit , Vol . IV, p. 437; Bryer : op . cit : Loc. cit.,

Lebeau : op. cit., T. XX, P. 508.

الإمبراطور الكسيوس الثالث كومينيوس بمحاولة لاسترداد إحدى قلاع وهى شيرينا Cheriana من أيدي الأتراك، ولكن نتيجة لضعف قدراته العسكرية وهبوب الرياح وهطول الأمطار بغزارة ، فقد لقي الهزيمة وتشتت جيشه وقتل ما يقرب من مائة وأربعين مقاتلاً ذبحوا بواسطة الأعداء، وتوفى عدد آخر بسبب الفزع والخوف الذى انتابهم من الأتراك . وقد تكبدت القوات الطرابيزونية خسائر فادحة بسبب الجوع والبرد فضلاً عن سيوف الأعداء وفى عام ١٣٧٤م ، نجح إمبراطور طرابيزون فى إعادة جولاشا إلى السيادة الإمبراطورية من الأتراك، الذين قاموا باستعادتها فى الحال^(١).

وأمام تلك الظروف التى تعرضت لها طرابيزون من ضغوط الأتراك فإن إمبراطور طرابيزون عام ١٣٧٩م قد عقد زواج ابنته على الأمير تاج الدين كما سبق الإشارة^(٢) بعد أن أثبت الأخير قدرته على التمسك باستقلاله لكن مع ذلك فقد أعلنت سافس عن رفضها لوجود علاقة أسرية بين طرابيزون وتاج الدين . وأنتهزت سافس وحلفائها خروج الإمبراطور وابنته فى طريقهم إلى ليمينيا وصاروا ضد طرابيزون . وعندئذ وصل للإمبراطور رسالة من العاصمة تخبره بأمر لهجوم التركى عليها . فبادر بالعودة مسرعاً وقام بتحسين قلعته وجعل طرابيزون فى حالة تأهب قصوى وبعد ذلك عاد لاستكمال رحلته حيث أقيمت مراسم الزواج . ومنذ ذلك الوقت أصبح الإمبراطور مسيطراً على ليمينيا^(٣).

(١) Miller: Trebizond, p. 66; Lebeau: op. cit., T. XX, pp. 501 -502;

Bryer: Turkmens, p. 147; Finlay : op . cit , Loc . cit .

(٢) انظر ما سبق ، ص ١٠٦ .

(٣) Zachariadou: Trebizond, p. 348; Bryer, op. cit., Loc . cit .

ولقد شهد النصف الثانى من القرن الرابع عشر الميلادى ، زواج رابنة الإمبراطور الكسيوس والأمير طاهرتين Thaharten الحاكم على أرزنجان Erzingan، وبابيرت. وأغلب الظن أن تلك الزيجة قد تمت بعد عام ١٣٨٩م . عندما أصبح طاهرتين حاكماً على إرزنجان^(١) .

ثم توالى المشاكل على الإمبراطورية تباعاً وتمثلت هذه المرة فى مواجهة الاتحاد التركمانى المعروف باسم الكينى والذى سبق الإشارة إليه^(٢) . ولكن الإمبراطور وجد صعوبة فى التعامل معهم فلجأ فى البداية إلى السلم بدلاً من الدخول فى معارك قد تضر بالإمبراطورية فى النهاية، فعرض زواج بعض أميرات طرايبزون من أمراء التركمان المؤلفين لهذا الاتحاد ، إلا أنه سرعان ما عدل عن موقفه السلمى وأخذ موضع القتال بسبب النزاع على المراعى الشتوية . ففى عام ١٣٨٠م قام الإمبراطور بهجوم مفاجئ على الكينى سلك خلاله الأراضي المنخفضة حتى وصل إلى غرب وادى فيلابونتس-Philabon- ites وهو الوادى الوحيد الذى يمر فى وسط طرايبزون ويبدأ من أقصى الغرب، ثم تحرك الإمبراطور فى إتجاه الساحل لمسافة ما تقرب من خمسة وسبعين كيلو

Zachariadou: op. cit., P. 343.

(١)

- طاهرتين Thaharten تولى حكم أرزنجان فى الفترة ما بين عامى (١٣٨١ - ١٤٠٤م) ، وهوابن الأمير إينا بك Ayna Beg الذى توفى عام ١٣٦١م، تم خلفه ابنه بير حيسين Pir Hiu-seyn والذى استمر حكمه ما يقرب من ستة عشر عاماً لم يذكر خلال تلك الفترة أية عداءات بينه وبين طرايبزون وتوفى عام ١٣٧٩م، ثم خلفه طاهرتين وساعده فى ذلك فخر الدين كيتليج زعيم الآق قويونلى وتوفى طاهرتين عام ١٤٠٤م .

Ibid, pp. 349- 350.

(٢) انظر ما سبق الفصل الأول ، ص ٧٨-٧٩ .

متراً مربعاً. ولقد اختار الإمبراطور هذا التوقيت قبل مجئ الكلاً الصيفي في طرابيزون، وبالرغم من ذلك ظل الكبينى فى الوادى حتى النصف الثانى من القرن الخامس عشر الميلادى . وفى تلك الحملة حالف الإمبراطور الحظ وحقق بعض النصر فى بداية الهجوم وتمكن من إطلاق سراح العديد من رعاياه الأسرى لدى الكبينى ، بينما أستعادوا قوتهم مرة أخرى فأنتهت الحملة بالتقهقر المخزى للإمبراطور الكسيوس وجيشه^(١) .

وقد شهدت السنوات الأخيرة من حكم الإمبراطور الكسيوس الثالث كومينيوس نزاعاً بين صهر الإمبراطور ، تاج الدين أمير ليمينيا، وحفيده سليمان بن حاجى عمر، أمير خلايا. وقد بدأ هذا النزاع على وجه التقريب منذ عام ١٣٨١م. ويرجع سبب النزاع إلى التسابق على ملكية القلاع والأراضى الساحلية فضلاً على المراعى الصيفية . وانتهى الأمر بمقتل الأمير تاج الدين عام ١٣٨٦م وقتل أيضاً ستة آلاف مقاتلاً من جنوده خلال مهاجمته لخلايا .

(١) Bryer : Turkmens , pp. 132 - 133; Miller : op . cit., p. 66 .

- وفيما يخص الكلاء والمراعى فى طرابيزون . فقد تمتع يونانى بنطس بازدرج المراعى والمناطق الزراعية . وكانت المراعى الصيفية جزء من الأراضى المملوكة للإمبراطورية الطرابيزونية . ولقد تمتعت تلك المنطقة بالكلاً ، وامتداد الأشجار، ومن الملاحظ فإن تلك المراعى تنحصر بسبب الثلج الذى يشمل المنطقة لمدة أربعة أشهر فى السنه وعندئذ تؤو الأغنام إلى قراهم الأصلية ، بينما نجد أن كلاً أناتوليا فى المراعى الشتوية . ومن ثم تعد طرابيزون مكاناً وسطاً بين المراعى الصيفية والشتوية .

Bryer: op. cit., pp. 140 , 147.

ومن الملاحظ أن الإمبراطور الكسيوس الثالث لم يتدخل فى هذا النزاع، ولعل السبب فى هذا رغبة الإمبراطور فى أن يترك رؤساء التركمان يحاربون بعضهم البعض مما يقلل من هجومهم على إمبراطورية طرابيزون^(١).

وجدير بالذكر، قد عادت المصاهرات الزيجية التى تمت بين طرابيزون والتركمان بنتائج هامة على إمبراطورية طرابيزون، حيث تمكن الإمبراطور من ضم العديد من الأمراء التركمان لصفه فضلاً عن الأحفاد الشرعيين، وبذلك ضمن عدم تعرض طرابيزون لتهديد التركمان، بالإضافة إلى إنقاذ كل من بابيرت وأرذنجان وشيرينا حتى أقصى الجنوب من خطر الهجمات التركمانية^(٢). فى حين أن الهجمات السابقة والمتوالية على الإمبراطورية قد أتت عليها بنتائج سيئة كان أهمها المعاناة الشديدة للإمبراطورية من النقص الملاحظ فى عدد السكان بسبب الخراب الذى أصابها من جراء الهجرة أو الفرار نتيجة العجز عن حماية أملاكهم والتصدى للأعداء. وبهذه الطريقة تمكن التركمان من الاستيلاء على مساحات كبيرة من الأقاليم، وإبادة آلاف من الجنس اليونانى. وقد ساهم ذلك فى نجاح الأتراك خلال اغاراتهم على الإمبراطورية بالإضافة إلى ضراوة وجشع الحكومة المركزية فى طرابيزون حيث

Bryer: op. cit., p. 148; Finlay : op . cit., Vol . III, p. 38; (١)

Zachari a dou:Trebizond, p. 351.,

Bryer: Turkmens, p. 137. (٢)

أهملت الناحية الدفاعية فى إمبراطوريتهم فضلاً عن إهمال النظم الإدارية والحكومية ، الأمر الذى أثار روح النزاع الداخلى بين الشعب وحب الذات من دون الوطن، وزالت عنهم الرغبة فى القيام بعمل موحد، وساعد ذلك على عدم إعاقة تقدم التركمان أوقهرهم .

ولم يدخر الإمبراطور الكسيوس جهداً فى سبيل حماية الإمبراطورية حتى أصبحت الإمبراطورية فى عهده تمتد بمحاذاة الخط الساحلى من أونايون حتى باطوم Batoum، ولكن السيادة الفعلية للإمبراطورية كانت أقل من ذلك بكثير، ومع ذلك فقد أحتفظت طرابيزون بعدة موانئ بحرية حتى ممتلكات الدير العظيم فى صمويلا ، وذلك بمساحة لاتزيد عن ثلاثين ميلا (١١).

ورغم تلك الظروف التى مرت بها إمبراطورية طرابيزون، إلا أنها حافظت على علاقتها مع أباطرة القسطنطينية، التى كان يسودها فى بداية الأمر الود والتأييد من قبل كل منهما للآخر ، فقد أيد الإمبراطور حنا كانتاكوزينوس المعتصب للعرش البيزنطى للإمبراطور الكسيوس الثالث كومينيوس ولعل ذلك يرجع إلى ضعف مركزه فى بيزنطة بصفته إمبراطور مغتصباً للعرش ومر إمبراطور طرابيزون بنفس الظروف ، فوجد حنا أن تأييده لطرابيزون سيعود عليه بالنفع الكبير فى حاله ما إذا ثار المستحق لعرش بيزنطة ويدعى حنا الخامس باليولوجوس John V Palaiologos حينئذ يضمن تأييد طرابيزون

Finlay : op. cit., Vol. IV, pp. 376 , 378.

(١١)

له، وتدعيماً لأواصر الصداقة بين الطرفين ، فقد ترتب الإمبراطور حنا كانتاكوزينوس أمر زواج الكسيوس الثالث ثيودورا أبنه عمه نقفور كانتاكوزينوس وبالفعل وصلت الأميرة إلى طرابيزون عام ١٣٥٢م وأقيمت مراسم الزواج فى كينسه سانت إيجينيوس^(١)

الأمر الذى دفع ، الموالين للإمبراطور حنا الخامس باليولوجوس للقيام

(١) Nicol : Byzantine Family, p. 143; Lebeau: op. cit., T. XX, p. 490; Miller: Trebizons, p. 56.

- حنا الخامس باليولوجوس John V Palaiologos ، إمبراطور بيزنطة فيما بين عامى (١٣٤١ - ١٣٩١م) ولد فى Didymoteichon فى ١٨ يناير ١٣٣٢م، توفى بالقسطنطينية عام ١٣٩١م وأثناء فترة حكمه التى بلغت خمسين عاما واجه خلالها العديد من الثورات والحروب الأهلية وقد حكم فعليا ثلاثين عام . وبعد مضى تسع سنوات من وفاة أبيه الإمبراطور أندرونيقوس الثالث عام ١٣٤١م وضع حنا تحت وصاية والدته الإمبراطورة أنا آن سافوا Anna of Savoy والبطريرك حنا الرابع عشر كاليكاس John XIV Kalekas. وفى نفس العام أعلن حنا السادس كانتاكوزينوس كإمبراطور فى منطقة Didymoteichon . وبدأت الحرب الأهلية فيما بين عامى (١٣٤١ - ١٣٤٧م) وبعد أنتصار كانتاكوزينوس، قام بمشاركة حنا على عرش الإمبراطورية حتى عام ١٣٥٤م وعندما بلغ الإمبراطور الصغير أربعة وعشرين عاما عزل كانتا كوزينوس من العرش ونجح فى الاستيلاء على القسطنطينية ووضع كانتاكوزينوس بأحد الأديرة . ولكن الإمبراطورية تعرضت فى عهده لخطر الأتراك خاصة بعد موقعه أدركه عام ١٣٦١ م ، إذ أصبحت الإمبراطورية مجرد رأس بلا جسد حيث فصلت عنها ولايتها الأصلية . وحاول حنا الخامس الحصول على مساعدة الغرب فقام بعدة رحلات لتحقيق هذا الهدف. وفى عام ١٣٦٩م أعلن فى روما تحوله إلى المذهب الكاثوليكي ، ورغم ذلك لم يجد أية مساعدة من الغرب، وأصبح بالتالى تابعا للأتراك .

Gill; J.: Venice, Genoa and Byzantine, Byzantinische Forschungen, 1985, Band X ,p. 10; O.D.B. Vol. II, p. 1050.

أنظر أيضاً : أومان ، الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٥١ - ٢٥٢

بمحاولة لإضعاف مركز الكسيوس الثالث المؤيد لحنا المغتصب، وتمثل ذلك فى مساعدة ميخائيل كومينيوس الإمبراطور السابق والمنفى بالقسطنطينية منذ أن تولى الكسيوس الثالث لعرش الإمبراطورية ، وذلك فى تسهيل أمر هروبه من منفاه والعودة إلى طرابيزون بحثاً عن آيه مساعدة أو تأييد من أهلها لخلع الكسيوس من العرش وإعاده ميخائيل مرة أخرى إلى حكم الإمبراطورية . وبالفعل بادر ميخائيل كومينيوس بالقيام بتلك المحاولة ، لكنها فشلت فى تحقيق هدفها ولم يستطع ميخائيل إعادة حكم إمبراطورية طرابيزون إليه^(١) .

كيفما كان الأمر ، حرص الإمبراطور الكسيوس الثالث على الاحتفاظ بالعلاقات الودية مع القسطنطينية. واستمرت كذلك حتى بعد وقوع حنا السادس كانتاكوزينوس فى قبضة باليولوجوس ، وإيداعه فى أحد الأديرة وأصبح يعرف باسم الراهب جوزيف Josaph . ولتوثيق العلاقة الدبلوماسية بين الإمبراطوريتين بعثت القسطنطينية سفارتين إلى طرابيزون برئاسة حنا الصدر الأعظم John Leontosthete مندوباً عن الإمبراطور البيزنطى فى أعوام ١٣٥٨م ، ١٣٦١م إلى الإمبراطور الكسيوس الثالث كومينيوس . وفى الوقت نفسه أرسل الكسيوس من قبله مبعوثين هما جورج سكولاريوى وميخائيل بناريتوس عام ١٣٦٣ م حيث اجتمعا بالإمبراطور حنا الخامس باليولوجوس فى حضور بطريك القسطنطينية والإمبراطوره وأبنائه^(٢) .

وعلى الرغم من تبادل السفارات بين الإمبراطوريتين إلا أن العلاقة

(١) Lebeau: op. cit., XX, p. 493; Finlay : op . cit ., Vol . IV, p. 375 .

(٢) Nicol : op . cit ., p. 89; Lebeau: Histoire du Bas- Empire T. XX, p. 495, 497.

بينهما قد توترت لبعض الوقت لأسباب لم تذكرها المصادر، الأمر الذي تمخض عنه إرسال القسطنطينية عام ١٣٧٤ م سفينتين كبيرتين بقصد شن الهجوم على العاصمة طرابيزن و استمر ما يقرب من عشرة أيام، وبعد ذلك تقهقر البيزنطيون. وعقدت طرابيزون صلحاً مع القسطنطينية^(١). ومنذ ذلك الحين بدأت العلاقات الودية تعود بين الإمبراطوريتين. والدليل على ذلك، السفارة التي أرسلها الإمبراطور حنا الخامس باليولوجوس عام ١٣٨٦م، بطلب زواج ابنه مانويل الثانى والوريث الشرعى لعرش بيزنطة من الأميرة أيدوكيا ابنة إمبراطور طرابيزون وأرملة أمير ليمينيا تاج الدين، ولكن عندما وصلت الأميرة إلى القسطنطينية فتن لجمالها الإمبراطور حنا وتزوجها بدلاً من مانويل^(٢).

وبذلك يتضح أن الإمبراطور الكسيوس الثالث كومينيوس قد ارتبط

Lebeau : op. cit, T. XX, p. 502. (١)

Chalcocondylae: op. cit., p. 81., CF Darko. J: Une Erreur Singuliere de laonic chalcocandyles, R, E.B., Paris , 1957, T. XV, pp. 179-
; Cf, Finlay : op . cit., Vol. IV, p. 385; Lebeau: op. cit, Loc. cit; 180
Miller : op. cit., p. 68. (٢)

- مانويل الثانى باليولوجوس Manuel II Palaiologos، أمير بيزنطة فيما بين عامى (١٣٩١ - ١٤٢٥م) ولد عام ١٣٥٠م بالقسطنطينية وتوفى بها عام ١٤٢٥م وفهر الابن الثانى للإمبراطور حنا الخامس باليولوجوس وهيلينا كانتاكورينوس . ولقد ادعى مانويل أنه إمبراطور ووريث علي العرش عام ١٣٧٣ م . بعد قرد أخيه الأكبر أندرونيقوس الرابع . كما سجن مانويل بالقسطنطينية فى الفترة ما بين (١٣٧٦ - ١٣٧٩م) . وفى عام ١٣٨١م أجبر حنا الخامس على الاعتراف بأنندرونيقوس خلفا له على العرش وفى عام ١٣٨٧م ادعى حنا السابع احقبته فى العرش بعد وفاة أبيه اندرونيقوس ولكن مانويل نجح فى كسب تأييد حنا الخامس له فأعلن خليفته على عرش الإمبراطورية البيزنطية فأصبح إمبراطورا عام ١٣٩١م وتزوج من هيلينا دراجوس Helena Dragos وطاف بالغرب بحثاً عن المساعدة ضد الأتراك الذين حاصروا عاصمته ما بين عامى (١٣٩٤ - ١٤٠٢م) وعاد إلى القسطنطينية بعد هزيمة تيمور لانك الأتراك فى موقعة أنقرة ١٤٠٢م

O.D.B . Vol . II, p. 1291.

بصاهرات زيجيه مع الفرع الشرعى فى بيزنطة، ويمثله حنا الخامس باليولوجوس ومن قبل مع حنا المغتصب ، ولعل فى ذلك ما يدل على ذكاء الإمبراطور فى تدبير الأمور السياسية والتعامل معها لخدمة إمبراطوريته. وكيفما كان الأمر، فإن العلاقات الودية بين الإمبراطوريتين ظلت حتى نهاية حكم الإمبراطور الكسيوس الثالث كومينيوس عام ١٣٩٠م^(١).

وعلى الرغم من جهود الإمبراطور الكسيوس سواء الداخلية أو الخارجية إلا أنه كان لهذه السياسة ضريبة دفعها الشعب الطرابيزونى . فقد ساءت أحوال البلاد بسبب التشدد فى فرض الضرائب على الحقول ، ومزارع العنب ، وحدائق الزيتون والفاكهة، بينما أهملت الإمبراطورية إصلاح المجارى المائية مثل مد الطرق والجسور، التى كانت المأمن الوحيد لتحويل الإنتاج الزائد إلى أموال تسدد بها الضرائب علماً بأن الحكومة قد التهمت جزءاً كبيراً من الإيرادات من أجل زيادة رونق وبهاء البلاط الإمبراطورى . كما أهملت المراكز الحربية والقلع القوية. وعجزت الإمبراطورية عن تغطية نفقات الترميم للإقليم الرئيس والعاصمة طرابيزون . بينما قام الأمراء فى طرابيزون بتجريد الحصون من المؤن وتركها خاوية بدلاً من خضوعها لأحد حاشية البلاط الإمبراطورى . مما سهل للغزاة فرصة الاعتداء على الإمبراطورية^(٢) . فى الوقت الذى شغل فيه الإمبراطور فى عقد المصاهرات الزيجية وتأمين حدود إمبراطوريته دون

Lebeau: op. cit., T. XX, p. 508; Miller : op . cit., p. 70; O.D.B. (١)

Vol. I, p. 62.

Finlay: History of Greece, Vol . IV, pp. 378 - 379. (٢)

النظر إلى أحوال الشعب^(١). ولم تذكر المصادر أية معلومات خاصة بإمبراطورية طرابيزون في الفترة ما بين عامي (١٣٨٦ - ١٣٩٠م) .

وفي عام ١٣٩٠م. توفي الإمبراطور الكسيوس الثالث كومينيوس عن عمر يناهز واحداً وخمسين عاماً، حكم خلالها الإمبراطورية لمدة أربعين عاماً تقريباً وهي أطول فترة حكم شهدتها إمبراطورية طرابيزون منذ تأسيسها وحتى سقوطها^(٢). تاركاً خلفاء على عرش الإمبراطورية عانوا من أخطار كادت أن تعصف بالإمبراطورية .

Miller : op. cit., p. 69; Bryer: Turkmens, pp, 135, 149; Nicol: (١)

The Byzantine Lady, p. 210; Izzedin: Notes Sur les Mariges princiers, J.A, pp. 140- 156

Miller : op. cit., Loc . cit; Lebeau: op. cit. Loc. cit ; O.D.B., (٢)
Vol . I , p. 62.

الفصل الثالث

" السياسة الخارجية لإمبراطورية طرابيزون "

بين عامي " ١٣٩٠ - ١٤٢٩ م "

- **علاقة طرابيزون بالأتراك العثمانيين .**
- **علاقة طرابيزون بالمغول .**
- **علاقة طرابيزون بالترکمان " القطيع الأسود " .**
- **علاقة طرابيزون ببعض مدن التجارة الإيطالية .**
- **علاقة طرابيزون بالقسطنطينية .**

استعرضنا فى الفصل السابق السياسة العامة لإمبراطورية طرابيزون، خلال حكم الإمبراطور الكسيوس الثالث كومينيوس، وما بذله من جهود كبيرة لإنهاء الحروب الأهلية وتأمين حدود إمبراطوريته من الإعتداءات الخارجية، والعمل على إزدهارها خلال فترة حكمه التى تعد أطول مدة حكم شهدتها الإمبراطورية الطرابيزونية منذ تأسيسها وحتى سقوطها فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر الميلادى .

وقد خلفه على عرش الإمبراطورية إثنان من أباطرة آل كومينيوس هما، الإمبراطور مانويل الثالث كومينيوس Manuel, III Comnenos (١٣٩٠ - ١٤١٦م) ، والإمبراطور الكسيوس الرابع كومينيوس Alexis III Comnenos (١٤١٦ - ١٤٢٩م) ^(١) .

(١) Zakythions: Le chrysobulle d' Alexios III Comnenos, P. 94; O.D.B. Vol. II, PP. 1048, 1292 .

- مانويل الثالث كومينيوس Manuel III Comnenos (١٣٩٠ - ١٤١٦م) ولد عام ١٣٤٦م، وتوفى عام ١٤١٦م، وهو ابن الإمبراطور الكسيوس الثالث كومينيوس، وثيودورا كانتا كوزينوس. قد تزوج أميرة من جورجيا تدعى إيدوكيا، وهى ابنة ملك جورجيا، ديفيد السابع، والتى توفيت عام ١٣٩٥م، دون أن تجنب أطفالاً، ثم تزوج مانويل ثانية من أميرة بيزنطية وأنجب طفلاً سمى بازيلوس Basilios ، وعرف فيما بعد باسم الكسيوس الرابع ، علماً بأن مانويل قد سبق وشارك أباه الكسيوس الثالث على عرش الإمبراطورية حيث سلمه والده اللقب الإمبراطورى عام ١٣٧٦م . وعند ما بلغ من العمر أحد وعشرين عاماً إنفرد بالحكم عام ١٣٩٠م بعد وفاة والده. وتميز مانويل بدرجة كبيرة من الذكاء والفتنة تجلت بوضوح فى حل المشكلات التى تعرضت لها الإمبراطورية .

Finlay: History of Greerce, Vol. IV , PP. 387, 396 - 397; Miller:

Trebizond, P. 72; O.D.B. Vol . II, P. 1292 .

- بالنسبة للإمبراطور الكسيوس الرابع كومينيوس Alexis IV Comnenos (١٤١٦ - ١٤٢٩م) ولد عام ١٣٨٢م، توفى فى أخانتوس Achants، على مقربة من طرابيزون وذلك قبل =

وقد واجهت إمبراطورية طرابيزون خلال تلك الفترة العديد من الأخطار الخارجية التي هددت أمنها واستقلالها . وكانت الإمبراطورية حينذاك تقع على شريط ساحلى ضيق من البحر الأسود يمتد فى خط متصل يبدأ من باطوم حتى كيرسانت Kerasunt ، وشملت أيضاً مقاطعة أونايون، التى فصلت عن باقى الإمبراطورية بواسطة ممتلكات الأمير أرسامير Arsamir، الحاكم على مقاطعة ليمينيا، والذي تمتع بالاستقلال الذاتى عن الإمبراطورية الطرابيزونية . وقد تجاوزت مساحتها ما يقرب من أربعين ميلاً، بينما حدها الآخر يسير بمحاذاة سلاسل جبلية عالية تطل على البحر الأسود . وتضم داخل تلك الحدود العديد من النبلاء المسيحيين الذين يدعون الولاء للسلطة الإمبراطورية فى طرابيزون^(١)

= ٢٨ أكتوبر ١٤٢٩م وهو ابن الإمبراطور مانويل الثالث. وفى عام ١٣٩٦ م تزوج الكسيوس من الأميرة البيزنطية، ثيودورا كانتاكوزينوس، وأنجب ستة أطفال . كما عمل كشيرك لأبيه على عرش الإمبراطورية عام ١٣٩٥م تقريباً . وقد قُرد على أبيه حتى ارتقى إلى العرش الإمبراطورى وذلك عام ١٤١٦م وواجهته العديد من الصعاب منها الحرب ضد الجنوبه وأخطار أخرى عمل على القضاء عليها عن طريق المصاهرات الزيجية من أجل ضمان أمن وسلامة الإمبراطورية . وقد اغتيل الكسيوس الرابع على أيدي ابنه حنا الرابع على أيدي ابنه حنا الرابع أثناء إقامته بمعسكر أخانتوس عام ١٤٢٩م .

-Chalcocondylae: op. cit.,P. 246; Nicol : The by zantine Family, P.

170; Finlay : op . cit., Lco., cit; Miller : op. cit.,Loc . cit; O.D.B. Vol.

II, P. 1048 .

Bryer : Turkmens, PP. 131 - 132; Finlay : op . cit., Vol. IV . (١)

P. 436; Miller: op. cit, pp. 74 - 75; O.D.B. vol . II, P. 1335 .

أنظر أيضا : أومان : الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٤ .

- بالنسبة إلى أرسامير Arsamir ، حاكم ليمينيا، وهو ابن الأمير تاج الدين جلبي ، والأميرة =

وقد عاصر حكم الإمبراطور مانويل الثالث كومينيوس وجود منافسين قويين أفزعا المقاطعات المجاورة لإمبراطورية طرابيزون ، هما الأتراك العثمانيون والمغول. وكان الأتراك العثمانيون قد اشتد خطرهم فى المنطقة بصفة خاصة منذ منتصف القرن الرابع عشر الميلادى. عندما استنجد بهم الإمبراطور حنا السادس كانتاكوزينوس عام ١٣٤١م فى صراعه ضد الإمبراطور حنا الخامس باليولوجوس^(١).

= ايدوكيا ابنة الإمبراطور الكسيوس الثالث كومينيوس . وفيما يخص علاقة طرابيزون بأمرأ ليمينيا بصفه عامه كانت تتسم بالود والصداقة ويرجع ذلك لوجود صلة قراب ، وأيضاً لأن المصالح السياسية تقتضى ذلك وتمثل فى وجود حدود مشتركة بينهما تتطلب الدفاع عنها من الطرفين .

-Miller : op. cit . Loc. cit; Finlay : op . cit, Vol . IV, P. 386 .

Finlay: op. cit., Loc . cit; Gill: Venice, Genoa, and Byzantium, (١)
Band, X, p. 70.

أنظر أيضاً : أومان ، المرجع السابق ، ص ٢٥١ - ٢٥٢؛ جوزيف، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٨٩؛ أحمد مصطفى، فى أصول التاريخ العثمانى، دار الشروق، القاهرة، د.ت ، ص ٤٦ .
- بالنسبه للأتراك العثمانيين . قد تضاربت الأقوال حول نشأة آل عثمان ، إلا أن مؤرخى العثمانيين ذهبوا إلى أن أصل شجره آل عثمان والتي بدأت سلطنتهم منذ عهد السلطان الغازى عثمان، وتتصل فرعها إلى نوح عليه السلام. كما يذكر أن أجداد آل عثمان كانوا أمراء وسلاطين على ديار تركستان. والأرجح أنهم أقاموا فى مقاطعة سوجيت " Sogut " غرب نهر سانجارس -Sangari os River. وقد استمدت الأسرة اسمها من مؤسسها عثمان ابن أرطغرل . وبدأت الفتوحات الفعلية للعثمانيين فى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى على أثر انهيار الدولة السلجوقية نهائياً. وقد إستولى العثمانيون على قلعة اسكيشهر ويقايا الدولة البيزنطية فى وسط آسيا، ثم واصل العثمانيون=

وكان على رأس الأتراك العثمانيين حينذاك السلطان بايزيد الأول Ba-gazid I (١٣٨٩ - ١٤٠٣م) المعروف باسم يلدريم Yilderim ، الذى أسقط إمبراطورية الصرب وهزم البلغار فى موقعة قوصوه Kosova فيما بين عامى (١٣٨٨ - ١٣٨٩م)^(١). وقد ترتب على تلك الموقعة أن أصبح الأتراك

= توسعاتهم بتخريب المناطق الممتدة إلى البسفور والبحر الأسود واستولوا على بعض المدن التى تقع على الجانب الغربى لآسيا الصغرى ، وأصبحت تهدد الأقليم الأوروبى والإمبراطورية البيزنطية .

Ostrgorsky: History of Byzance state, P. 451; Vasiliev: Histoire , Em-pire Byzantin, T. II, P.P. 290, 299; Bailly : Byzance, p. 401; Gibbons: op. cit., p. 163; O.D.B. vol : III, p. 1547.

أنظر أيضاً : اسماعيل سرهنك ، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة/ حسن الزين، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٨، ص ٨، ١٢، ١٤؛ حسين مؤنس : أطلس التاريخ الإسلامى ، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٣٥٦، ٣٥٧؛ أحمد مصطفى، فى أصول التاريخ العثمانى ، ص ٣٦، ٤٥ - ٤٦ .

(١) Diehl,Ch.: Histoire de L' Empire Byzantin, Paris, 1920, pp. 204 205; Gibbons: The Foundtion of ottoman Empire, p. 182; Creasy ,S.: - History of the ottoman Turks, Beirut , 1968, p. 26; Miller: op. cit ., p. 71 .

- بايزيد الأول Bagazid I (١٣٨٩ - ١٤٠٣م) . ولد عام ١٣٥٤م . وتوفى عام ١٤٠٣م فى اسكيشهر ، وهو الابن الأصغر للسلطان مراد الأول (١٣٦٢ - ١٣٨٩م) من سيدة يونانية مسيحية اعتنقت الإسلام فيما بعد . ولقد استطاع بايزيد التخلص من أخيه الأكبر ويدعى يعقوب . وعرف أيضاً بايزيد بلقب يلدريم Yilderim ، أو الصاعقة ، وذلك منذ أن قهر الحاكم التركى فى كارامانيا Caramania ، عام ١٣٨٧م أثناء صراعهم من أجل الحصول على الزعامة التركية لآسيا الصغرى =

على مقربه من ساحل البحر الأسود وزاد خطرهم على طرابيزون خاصة بعد ما نجحوا فى إخضاع منطقة سامسون Samsun، عام ١٣٩٣، الأمر الذى جعل

= . وقد عمل بايزيد منذ بدايه حكمه على اخفاء كراهيته للمسيحيين وفى الوقت نفسه إزدادت رغبته فى الظهور بظهر المدافع والبطل الإسلامى ، الأمر الذى دفعه لعقد تحالفات مع السلاطين فى مصر وحكام مسلمين آخرين ، كما تحالف مع آل باليولوجوس فى صراعهم على عرش بيزنطة مقابل دفع جزية سنوية وخطط أكثر من مرة لإخضاع القسطنطينية ولكن محاولاته باءت بالفشل .

Troboyre , J.: Cequil fout Cannaitre des Turcs et de leur histoire, Paris. 1935, P. 18; Diehl: op. cit., P. 204; Creasy : op. cit . Loc . cit; O.D.B. vol . I, P. 272; Encyclopedia Britiannica, vol. 29, P. 772.

- انظر أيضاً : تلماز أوزتوس : تاريخ الدوله العثمانية، ترجمة عدنان سليمان ، ج١، أستانبول ١٩٨٨، ص ١٠٤ : أحمد مصطفى ، المرجع السابق ، ص ٥١ - ٥٢ .

- موقعة قوصوه "Kosova"، تقع جنوب يوغوسلافيا ، بين البانيا واليونان ، شرق البحر الأسود وكلمة قوصوه تنقسم إلى شقين « قوص » ومعناها كبير أو متسع والشق الثانى « اوه » وتعنى السهل. أى السهل الفسيح، ويسمى هذا السهل باليوغوسلافى Kosovo Palje ومركزه بلدة بريستينا Pristina وتعنى أيضا ساحة الطيور السوداء. وفيما يخص أطراف النزاع بهذه الموقعة . فقد كانت بين السلطان مراد الأول Murad I ، والطرف الثانى كان عبارة عن تحالف يضم لازا ملك الصرب وملوك الأفلاق ، دلا اسيا ، المجر والبلغار الذين تحركوا جميعاً لمحاربة السلطان الذى نجح فى الاستيلاء على مدن سيراس Serres، ونياس Nis، وسالونيك Thessolonic، واخترق البوسنه Bosnia ونشر نفوذ العثمانيين فى البلقان حتى وسط أناتوليا لذلك تجمعت جيوش التحالف ضد السلطان مراد الأول وعلى أثر تلك الموقعة فقدت الصرب استقلالها وبالرغم من انتصار الأتراك العثمانيين ، إلا أن السلطان مراد قد استشهد على أيدى رجل بلغارى فى ميدان القتال، وعندئذ رشح خلفاً له ابنه بايزيد، الذى استهل حكمه بإعدام النبلاء الصرب، وقضى على الأرستقراطية الصربية .

-Cibbons: op. cit., PP. 174- 178 ; Creasy : op . cit., PP. 22 - 26 ; Ostr-gorsky: History of Byzance State, PP. 485 - 860; O.D.B . vol : II, PP. 1423, 1542- 1543; Encyclopedia Britiannica, Vol .29, pp.771- 772.

انظر أيضاً : رنسيما ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣، ص ٧٦٢ .

الحدود التركية تسير مع إمبراطورية طرابيزون حتى أونايون ومعظم ممتلكاتها الغربية^(١) كما دفع بايزيد حدود إمبراطوريته إلى ضفاف نهر ثورمودن Thermodon وسواحل البحر الأسود حتى نهر هاليس حيث تبدأ أراضي إمبراطورية طرابيزون. فضلاً عن إخضاعهم لمقاطعة قصطمونى Castomonu توقات Tokat و سافس Sivas وغيرها. فأصبح بذلك من السهل على ربان السفن التركيّه مهاجمة طرابيزون وعن طريق البحر من خلال تلك المقاطعات^(٢).

ويبدو أن الحالة السيئة التى كانت تعاني منها إمبراطورية طرابيزون

Chalcocondylae: op. cit., P. 65. (١)

انظر أيضاً : إبراهيم خورشيد، دائرة المعارف، ج٣، ص ٥٢١.

Finlay: History of Greece , vol . IV , pp. 369- 389 ; Gibbons: (٢)

op. cit ., pp. 191- 192; Hammer: Histoire Empire Ottoman, T. II,

PP.58 -59; Troboyre : op . cit., P. 19; O.D.B vol. I, P. 1106 .

انظر أيضا : هايد : المرجع السابق، ج٣، ص ١٢٣-٢١٨؛ حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ،

ص٧٥٧؛ جوزيف داهموس : سبع معارك فاصله فى العصور الوسطى، ترجمة محمد الشاعر، الطبعة

الثانية، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩١، ص١٨٧، تلماز أوزتوس: تاريخ الدولة العثمانية، ص ١٠٦

- نهر ثورمودن "Thermodon"، يسمى الآن يوميه Thermeh، وهو نهر صغير فى آسيا

الصغرى فى إقليم بنطس يجرى من الجنوب إلى الشمال ويصب فى البحر الأسود .

أومان : الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٤ .

- بالنسبة إلى توقات Tokat، فهى قلعة حصينة تقع بين قونية وسيواس على طريق موازى تقريباً

مع نهر هاليس Halys River، على بعد ما يقرب من خمسة وسبعين ميلاً إلى الجنوب .

جوزيف داهوس : المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

ونتيجة لاتساع الفتوحات العثمانية فى آسيا الصغرى قد أدت إلى تجمع صليبيى اشتركت فيه بعض الجموع الأوروبية لإنقاذ. تلك المنطقة من أذى الأتراك لذلك خرجت حملة صليبية عام ١٣٩٦م، أطلق عليها المؤرخون ، حملة نيقوبوليس الصليبية، حيث التقت القوتان فى معركة حامية الوطيس عند منطقة نيقوبوليس ،انتهت بانتصار الأتراك العثمانيين^(١) وقد خاب بذلك أمل

Gill: venice, Genoa and Byzantium, p. 72; Troboyre: Ce qu'il faut Connaitre des Turcs, pp. 18 -19; Finlay: History of Greece , vol. IV, pp. 411 -413; Gibbons:The foundation of Ottoman Empire, pp. 206 -224; Creasy: History of the Ottoman Turks, p. 26; Diehl: op. cit, loc. cit; O.D.B. vol. I. P. 359 .

انظر أيضاً : أحمد مصطفى ، فى أصول التاريخ العثمانى ، ص ٥٣ - ٥٥ .
- موقعه نيقوبوليس الصليبية ، سميت باسم نيقوبوليس نسبة إلى المنطقة التى دارت فيها الموقعة ، وتقع شمال بلغاريا على حدود رومانيا . ومن أسباب تلك الموقعة تشييد السلطان بايزيد إحدى القلاع التى عرفت باسم "كوزلجه حصار" أو أناصولى حصارى على الضفة الآسيوية من البحر الأسود وذلك عام ١٣٩٣م . كما أزعجت توسعات بايزيد فى الغرب الأوروبى ولذلك سرعان ما تقدم أمير المجر ويدعى سيجسموند إلى توحيد أوروبا ضد الأتراك وبلغ عدد قواتهم مائة وثلاثين ألف جندى مسيحي، تضمنت فرسان الأقطاع من المجر، إنجلترا ، فرنسا بولونيا، المانيا، جنوه، البندقية، أسبانيا وفرسان رودوس . ولقد أخذت تلك الحملة الطابع الصليبيى عندما وجهت البابوية الدعوة لشن حرب صليبية ضد الأتراك . وانتصر العثمانيون على القوات المتحالفة وأسروا العديد من الفرسان . وكانت بمثابة آخر مما دق فى نعش الحركة الصليبية وبذلك قضى على تلك الفكرة، ولم تقم لها قائمة بعد ذلك .
-Phrantzes: op. cit., P. 59; CF, Diehl: Histoire de L' Empire Byzantin, P. 105.

- انظر أيضاً : تلماز أوزوتوس : المرجع السابق ، ص ١٠٧؛ أحمد مصطفى، المرجع السابق، ص ٥٤؛ حسين مؤنس، المرجع السابق ، ص ٣٠٧؛ محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٥ .
١٤٣ - ١٤٤ .

الإمبراطور مانويل الثالث كومينيوس فى إنقاذ عرشه من تهديد قوات العثمانيين لإمبراطوريته، وازداد موقف طرابيزون سوءاً بعد أن استفحل العثمانيين فى المنطقة وباتت الضربة النهائية والقاسمة لطرابيزون قريبة^(١). لولا أن تدخل القدر وظهرت قوى أخرى مناوئة للعثمانيين شغلتهم كثيراً عن القضاء على طرابيزون ألا وهى المغول، التى ظهرت مرة أخرى فى صوره شعب مخيف تمثل فى شخصية يتمورلانك Tamerlan^(٢) ولكن ما إن أخذت إمبراطورية

(١) - Chalcocon dylae: op. cit., I. p. 46.

نلاحظ أن موقف إمبراطورية طرابيزون كان قد تزايد سوءاً بعد هزيمة التحالف الأوروبى وانتصار السلطان بايزيد الأول على كارايولوك زعيم التركمان من القطيع الأبيض، وصهر الإمبراطور مانويل الثالث كومينيوس وذلك عام ١٣٩٦ م . وأصبح العثمانيون بذلك جيراناً لإمبراطورية طرابيزون .

Miller: Trebizond, p. 71.

انظر أيضاً : ابراهيم خورشيد، المرجع السابق، ج٣، ص ٥٢١ .

-Miller: op. cit. loc. cit

(٢)

- يتمور لانك Tamrlane، أى السيف الأعرج . قد أخذ بالإضافة إلى لقب يتمور ألقاباً أخرى منها الذئب الأعظم « جرجام » وسيد الزمان « ساهت كيوان » وقاهر الكون « جهانكيز » . ولد يتمور فى كيش Kesh بالقرب من سمرقند عام ١٣٣٦ م . وخلف عمه سيف الدين فى حكم إمارة كيش عام ١٣٦٠ م وقام بفتح ما حوله من الإمارات والقبائل وبلاد خوارزم وإيران وجنوب روسيا . و أدى ظهور يتمورلانك لإنقاذ القسطنطينية من حصار الأتراك لها، كما أجل سقوطها لمدة نصف قرن من الزمان . ولقد حكم يتمور العالم كقائد للجيش، وليس كحاكماً على دولته ، كما أقر يتمورلانك بأنه لا توجد مدينة تستعصى على فرسانه طالما هو يعيش . وتوفى فى إقليم خوقند عام ١٤٠٥ م قبل وصوله إلى بلاد الصين التى عزم على فتحها وبعد وفاته تفرقت مملكته بين ابنه شاه ريخاو أحفاده .

-Finlay : op. cit., vol : IV, P. 392; Trboyre: op. cit ., p. 19; O.D.B.vol. III, P. 2088.

انظر أيضاً : رنسيما ، المرجع السابق، ج٣، ص ٧٧٤؛ أحمد مصطفى المرجع السابق، ص ٥٦؛ محمد فريد ، المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

طرابيزون تلتقط انفاسها من ضربات العثمانيين الذين انتهوا من تأسيس إمبراطورية عظمى ، حتى أصبحت طرابيزون مهددة من عدو أكثر خطورة من العثمانيين، تمثل فى خطر المغول^(١) ، و الذين تمكنوا من الإستيلاء على العديد من المناطق التابعة للإمبراطورية العثمانية مثل أذربيجان و توقات و سيواس ، وسافس وسينوب، وبذلك أصبحوا على مقربة من طرابيزون مهددين حدودها^(٢) وفى عام ١٤٠٠م، أثناء حرب يتمورلانك مع الجورجيين ، خصص فرقة عسكرية من جيشه الشمالى لمهاجمه الإمبراطورية الطرابيزونية ، وحاول التسلل عبر جبال جورجيا للوصول إلى طرابيزون وحينئذ حاول الإمبراطور مانويل الثالث كومينيوس عرقلة التقدم المغولى عن طريق السيطرة على ممرات الجبال، ولم تنجح القوات المغولية فى التقدم نحو طرابيزون بسبب تصدى سكان الجبال المحاربين الأقوياء. كما نجحت قوات المرتزقة من البيزنطيين والفرنجة والأيبيريين التابعين للإمبراطور مانويل فى إقامة الاستحكامات اللازمة حول طرابيزون ، الأمر الذى أعاق تقدم المغول إلى حد كبير، ومع ذلك أدرك الإمبراطور مانويل إنه لا قبل له بجيوش المغول فأقدم على التفاوض معهم لتجنيب إمبراطوريته ويلات الحروب. ومن هذا المنطلق أقيمت بعض المفاوضات بين الطرفين،

-Trboyre : op. cit. Loc . cit.

(١)

انظر ايضاً : تلمازأوزتوس ، المرجع السابق ، ص ١٠٩ ؛ أحمد مصطفى ، المرجع السابق ، ص ٥٦ .

-Hertzbergs: Storia Bizantini, p. 667; Hammer : Histoire Emipre (٢) Ottoman, II, pp. 57 -60.

انظر ايضاً : رنسيما ، المرجع السابق ٣٥٠ ، ص ٧٧٢ ؛ اسماعيل سرهنك ، المصدر السابق ، ص

٢٨ ؛ أحمد مصطفى ، المرجع السابق ، ص ٢٥٧ ؛ تلمازأوزتوس : المرجع السابق، ص ١٠٩ ؛ محمد

فريد ، المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

وأُسفرت على اعتراف الإمبراطور مانويل الثالث كومينيوس بتبعيته لإمبراطورية المغول، وإجباره على دفع الجزية السنوى لهم، فضلاً عن وضع قوات الإمبراطورية البرية والبحرية معاً تحت طاعة وأمر يتمورلانك وبذلك أصبحت إمبراطورية طرابيزون فى مرتبة التبعية المباشرة للمغول^(١).

ولم يكن ذلك السلام يمثل الاطمئنان الكامل لإمبراطورية طرابيزون، خاصة وأن هناك عدواً آخر لطرابيزون متمثل فى الأتراك، وهو الأمر الذى سيضعها فى حيرة من أمرها مما يصعب موقفها فى التزام الحياد فى حالة نشوب أى صراع بين الأتراك والمغول وهو أمر حدوثه ليس ببعيد^(٢).

(١) Hertzbergs: op. cit, p. 664; finlay : op. cit; vol. IV, P. 390;

lebeau: op. cit, T. xx,p. 499.

- وهناك رأى يرجع تبعيه طرابيزون إلى المغول لعام ١٣٩٢م . وليس عام ١٤٠٠م وهذا رأى خطأ . ويستند الباحث فى ذلك بأن مملكة تيمور إمتدت عام ١٣٩٩م من شرق تركستان وشمال الهند إلى حدود الأناضول العثمانية وقد توافق مجئ يتمورلانك إلى تلك المنطقة مع حصار الأتراك العثمانيين للقسطنطينة عام ١٣٩٩.

-Hammer, op. cit,T. II, p. 48; O.D.B. vol . III, P. 2088.

انظر أيضاً : إبراهيم خورشيد ، المرجع السابق، ج٣، ص ٥٢٠ .

Hammer : op. cit.,T. II, PP. 20- 21 .

(٢)

انظر أيضاً : جوزيف داهموس، المرجع السابق، ص ١٨٧؛ أحمد مصطفى، المرجع السابق ، ص ٥٦ - ٥٧ .
- لقد أصبح الصراع بين العثمانيين والمغول شيئاً حتمياً ، خاصة بعد نجاح السلطان بايزيد الأول فى فترحاته وتوحيده لآسيا الصغرى تحت لوائه والذى لم يقنع بأقل من حكمه لإمبراطورية تمتد من الدانوب إلى نهر الفرات ونهر النيل . بينما يتمورلانك يريد أن يدين له بالولاء كل الحكام على امتداد الإمبراطورية فضلاً عن استثارة العالم المسيحى آنذاك ل يتمورلانك وذلك ليخوض الحرب ضد الأتراك . =

ويبدو أن تيمورلنك قد اكتفى مؤقتاً بذلك بدلاً من الانشغال بالقضاء على باقى ممتلكات إمبراطورية طرايزون حتى يتفرغ لمواجهة العدد الأكبر والأقوى وهم العثمانيون لأن الموقف أصبح مشتتاً بين القوتين والحرب بينهما وشيكه الوقوع ، ففي عام ١٤٠٢م التقت القوتان فى معركة فاصله عند انقره، وكان للإمبراطور مانويل الثالث كومينيوس دور كبير فيها إذ أرسل إلى تيمورلنك يعبر عن تقديره لشخصه وتعاطفه معه معلناً عن إستعداد إمبراطوريته السماح بإستخدام مينائها الوحيد فى قتاله ضد الأتراك العثمانيين^(١). وقد رد تيمورلنك برسالة إلى إمبراطور طرايزون عام ١٤٠٢م يشكر له موقفه المؤيد للمغول. ولكن على ما يبدو فإن تيمورلنك كان

= وفى الحقيقة نجد أن الممالك المسيحية لايعنيها سوى أن يقضى تيمور وبايزيد على بعضهما البعض وهذا ما تتمناه البابوية وأوروبا المسيحية . فضلاً عن لجوء أمير صططمونى وبعض امراء آسيا الصغرى للإحتماء ببلاط تيمور، وفى الوقت نفسه هرب كارا يوسف زعيم التركمان من القطيع الأسود من تيمور ولجأ لحماية العثمانيين، الذين رفضوا تسليمه إلى المغول .

Hertzbergs: op. cit., loc. cit; Hammer: op. cit, II, PP. 58- 59; Gibbons: op. cit., PP. 191- 192; finlay: op. cit. loc. cit.

- انظر أيضاً تلماز أوزتوس ، المرجع السابق ، ص ١٠٨ ؛ جوزيف داهموس ، المرجع السابق ، ص ١٨٧ ؛ هايد ، المرجع السابق ، ج٣ ، ص ١٢٣ - ١٤ - ١٢٨ ؛ حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٣٥٧ .

(١) جوزيف داهموس : سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى ، ص ١٨٨ .

- أنقره ، مدينه يونانية وعاصمه أقليم غلطه .

- ابن بيبى : المصدر السابق ، ص ٨٧ .

غير واثق من موقف الإمبراطور مانويل لذا بادر بالسفر بنفسه إلى طرابيزون للتأكد من حسن نوايا الإمبراطور وطلب منه بعض التجهيزات اللازمة لحربه مع الأتراك ومنها إعداد عشرين سفينة حربية وعدد من الجنود المشاة من أجل تدعيم قواته البرية . ولكن الإمبراطور مانويل لم يكن شديد الوفاء لتيمولانك بدليل أنه تباطأ في إرسال السفن الحربية المطلوبة . في الوقت نفسه لم يستخدم تيمورلانك في حربه الأسطول الذي طلبه من مانويل الثالث كومينيوس أو من القسطنطينية . ويرجع السبب في ذلك إلى حدوث الموقعة عام ١٤٠٢م قبل إعداد مانويل السفن البحرية التي أمره تيمورلانك بتجهيزها^(١) .

وكان الهدف من اعداد تلك السفن مهاجمة جناح ومؤخرة الجيش التركي لكن الأمر لم يتطلب اشتراك الأسطول في الموقعة ، ولم يكتف تيمورلانك

(١) Miller: Trebizond, PP. 71-72; Finlay: op. cit, vol. II, P. 391; O.D.B. vol. I, P. 129 .

انظر أيضاً : ابراهيم خورشيد، دائرة المعارف ، ج٣ ، ص ٥٢٢ .
- وبالنسبة إلى القسطنطينية ، فقد شعرت بالارتياح وتنفست الصعداء كلما اقترب وقت المعركة لأن أسوارها كانت تحت ضغط الحصار التركي . وعندئذ بدأ حنا باليولوجوس الوصى على عرش القسطنطينية في المفاوضات مع تيمورلانك والدليل على ذلك أنه قد عثر على خطاب من تيمور مرسل إلى حنا باليولوجوس . قد أرخت قبل قيام الموقعة بشهرين ، وفيها يطالبه بعداد عشرين سفينة تنضم إلى السفن الطرابيزونية لمساعدته في الهجوم البحري في تلك الموقعة داخل آسيا الصغرى .

Finlay : op . cit., Vol . IV, P. 391 .

- انظر أيضاً : جوزيف داهموس ، المرجع السابق ، ص ١٨٨ .

بذلك، بل أقدم على شن هجوم مضلل للأتراك من خلال الشواطئ المطلّة على البحر الأسود كنوع من الإحتياطات الواجب أدائها لمنع بايزيد من الاتصال مع شعوبه من الخلف، كما أجبر تيمورلانك كل أمراء الأقطار الواقعة ما بين خليج الاسكندرونة والبحر الأسود من مسلمين ومسيحيين على المساهمة بكتائب عسكرية من جنودهم ليزيد من أعداد قواته وحتى يؤسس لنفسه مخازنا للبارود تعوض الإحتياجات التي تطلبها جيش المغول في حربه ضد الأتراك^(١).

وجدير بالذكر، أن الإمبراطور مانويل الثالث كومينيوس قام بإرسال فرقة عسكرية من جنوده اشتركت في قتل بايزيد ولكن من الملاحظ أنه لم يحضر على رأس تلك الفرقة إلى ساحة القتال في أنقره. ولذلك لم يدرج ذكره في قائمة حلفاء تيمورلانك في تلك الموقعة. وقد شارك الإمبراطور مانويل بقوّة باعتباره إمبراطوراً مسيحياً في وقت كان الشعور فيه بالكراهية العميقة من العالم المسيحي بأسره ضد بايزيد، الذي كثيراً ما هزم فرسان الغرب. ولذلك أراد الإمبراطور مانويل الثالث كومينيوس أن يحفظ لنفسه هاله كبطل في الحرب المقدسة، وأن ينسب إليه ولوجزه من انتصار أنقره ولذلك حرص على المساهمة في تلك الموقعة^(٢). ويرجع الباحث عدم تواجد مانويل الثالث على

Finlay: op. cit, Vol . IV . PP. 389, 391 (١)

Miller:Trebizond , P. 72; Finlay: op. cit., vol. IV, P. 391; (٢)

O.D.B ., Vol: III, P. 1292.

انظر أيضا : إبراهيم خورشيد ، المرجع السابق ، ج٣، ص ٥٢٢ .

أرض الموقعة إلى تخوفه وعدم ثقته الكافية فى انتصار تيمورلنك من ناحية، وتخوفه من الهلاك من ناحية أخرى . وفى الوقت نفسه إذا انتصر الأتراك العثمانيون فى معركتهم يجد الرد المناسب عليهم ، بأنه قد أجبر على مساندة تيمورلنك بدليل عدم خروجه على رأس قواته . وهذا يوضح لنا المغزى من عدم مشاركته الشخصية فى الحرب. وعلى العكس من موقف الإمبراطور ، فقد قدم صهره طاهرتين، وأمير أرذنجان، وكارايلولوك زعيم القطيع الأبيض، العون لتيمورلنك فى موقعة أنقره^(١).

وفى يوم ٢٨ يوليو ١٤٠٢م، التقى الجيشان شمال شرق مدينة أنقره عند سهل يشوكاباد، فى صراع عنيف ، أسفر عن هزيمة الأتراك العثمانيين هزيمة شنعاء ، فضلاً عن وقوع السلطان بايزيد أسيراً فى أيدي تيمورلنك وبعد ثمانية أشهر من الموقعة، توفى بايزيد وهو لا يزال أسيراً. وقد اختلفت الروايات حول أسر وانتحار السلطان

Hertzbergs: op. cit., P. 780 .

(١)

- وبالنسبة للأمير طاهرتين ، فى بداية الأمر أستهان بتهديد تيمورلنك ولم يتخذ الاحتياطات اللازمة لتأمين بلاده ، الأمر الذى ترتب عليه أن أصبح تابعاً لسيادة المغول ، الذين تركوا له لقبه ومملكته فى مقابل إعلان تبعيته للمغول كما فعل مع طرابيزون . وإذا نظرنا للأمير كارايلولوك نجد أنه قد تعاون مع بايزيد فى الاستيلاء على توقات و سافس وقيصريه وأصبح تابعاً للمغول على أثر حملة شنها ضده تيمورلنك عام ١٣٩٥م . وقد ساهم كلاهما فى موقعة أنقرة .

Hammer: op. cit, P. 86; Bryer : Turkmens, p. 148.

بايزيد أنذاك^(١) .

وأصبح تيمورلانك بهذا الانتصار أعظم وأكبر بطل عسكري فى آسيا

(١) Franzius: History of Byzantine, PP. 408- 409; Hammer: Histoire Empire Ottoman, T. II. pp. 86, 89, 92; Gibbons: The foundation of the ottoman Empire, pp. 254-256; Finlay : op. cit., Vol . III, P. 482; Diehl: Histoire de L' Empire Byzantin, p. 205; O.D.B. vol : I, P. 273 .

انظر أيضا ، جوزيف داهموس ، المرجع السابق ، ص ١٩٠ - ١٩٢ .

- ترجع أسباب هزيمة العثمانيين فى موقعه أنقره عام ١٤٠٢م إلى مفاجأة السلطان بايزيد بانضمام كلاً من أمراء ايديين وصاروخان و منشأ و أميديا و تكة إلى جيش المغول ، والذي بلغ عددهم ما يقرب من خمسين ألف مقاتل ، وذلك بعد أن أوفد تيمورلانك أتباعه من الجواسيس للتغلغل بين القوات العثمانية لاستمالتهم إلى نصره المغول وذلك طوال الأشهر السابقة على المعركة وقد نجح هؤلاء الأتباع فى التأثير عليهم لصالح تيمورلانك، حيث وعد المحاربون بالتخلى عن بايزيد فى اللحظة التى تبدأ فيها الحرب. وبالفعل نفذ ما تم الاتفاق عليه . وقد أدى انضمام هؤلاء إلى تيمور إلى تقرير مصير المعركة، بانتصار المغول وحلفائهم . وعندئذ قام تيمور بإعادة أمراء آسيا الصغرى إلى إماراتهم السابقة ولكن تحت سيادة .

Hertzbergs: Storia Bizantini, P. 672; Finlay: op. cit, Loc. cit; Gibbons: op. cit., pp. 50-51, 256, 292, 182- 183, 220, 252; O.D.B. vol. I, p. 273.

انظر أيضاً : اسماعيل سرهنك، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٥ ، ٢٨؛ هايد ، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى ، ج٣، ص ٢١٨ ؛ تلماز أوزتوس ، تاريخ الدولة العثمانية، ص ١١٠ - ١١٢؛ جوزيف داهموس، سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى، ص ١٩٠ - ١٩١؛ أحمد مصطفى، فى أصول التاريخ العثماني ، ص ١٣ - ١٤، ٥٦ .

- وهناك روايات عديدة حول أسر وأنتحار السلطان بايزيد، تذكر أحداها أن تيمورلانك قد أكرم مشواه لكن الهزيمة تسببت فى تراكم الهموم عليه فأصابه المرض وتوفى عام ١٤٠٣م . بينما نجد فى روايه أخرى، أن تيمورلانك وضعه فى قفص لإذلاله وأوقع عليه إهانات كثيرة دون أن يزهق روحه كما أجبره تيمور على رؤية زوجته الصربية تخدم على منضدة فدفعه هذا المشهد إلى الإنتحار .

اسماعيل سرهنك، المصدر السابق، ص ٢٤ - ٢٥ ؛ جوزيف داهموس ، المرجع السابق، ص ١٨٨ -

١٩٢؛ أحمد مصطفى، المرجع السابق، ص ٥٨؛ حسين مؤنس ، المرجع السابق، ص ٣٥٧ .

الصغرى وبصفه خاصه لدى الرومان المسيحيين . وقد قام الجيش المغولى فى أعقاب انتصار أنقره باقتحام مقاطعة كيرسانت التابعة لإمبراطورية طرابيزون . وربما كان ذلك كرد فعل لعدم خروج مانويل الثالث كومينيوس على رأس قواته البرية فى موقعة أنقره، ولكن نظراً لشدة انحدار الجبال ، ولإلتواءات ووعورة ممراتها، فضلاً عن حاجة الجيش المغولى إلى الكلا على طول الشاطئ من أجل الفرسان والحيوانات فى المسافة ما بين كيرسانت وطرابيزون، فقد أنقذت العاصمة من مجئ المغول غير المرغوب فيه. وعندئذ أمر الإمبراطور مانويل الثالث كومينيوس بجمع فائض المؤن كاحتياطى لإمبراطوريته وجهاز الوسائل اللازمة للانتقال عبر أقصر الطرق ليحتفظ لنفسه بطريق القوافل المباشر إلى طرابيزون، ويجعلها خالية من الأخطار^(١).

وجدير بالذكر، فقد رحل تيمورلانك عن غرب آسيا الصغرى وخلفه فى الحكم هناك ابن أخته ويدعى السلطان خليل Mirza Halil على عدد من المقاطعات التى تتبع إمبراطورية المغول وتدفع أيضاً الجزية السنوية بناءً على أمر تيمورلانك وهى طرابيزون، جورجيا، وأرمينيا، وكذلك زعماء القبائل التركمانية^(٢)، وهناك سؤال يطرح نفسه عن عدم ضم تيمورلانك لإمبراطورية طرابيزون عسكرياً و اكتفائه بإجبارها على دفع الجزية فقط. وذلك فى وقت يعتقد فيه البعض أن المنتصر العظيم قد تغاضى عن إمبراطورية طرابيزون

Finlay : History of Greece, vol. IV, P. 393 .

(١)

-Ibid, pp. 388- 389; O.D.B. vol . II, P.1292.

(٢)

الصغيرة فى وسط تلك المشروعات القوية والطموحة التى قادها لزعامه العالم بأسره . ويرى الباحث أن تيمورلانك لم يغفل أمر طرابيزون، وكذلك الوضع بالنسبة لبعض الأمراء العثمانيين وإنما أدرك أن طرابيزون لم تصل إلى درجة من القوة والخطورة التى تتطلب تواجده عسكرياً فى المنطقة وكذلك الحال بالنسبة لأمراء العثمانيين لذلك تحرك لاستكمال فتوحاته دون أن يعبأ بأمرهم .

وهناك تتجلى بوضوح فى وصف الرحاله الأسباني جونزاليزدى كلافيجو "Gonsaleze de Clavijo" عام ١٤٠٤م والمرسل إلى بلاط تيمورلانك، أثناء عودته إلى بلاده ماراً بمدينة طرابيزون وبرفقته مبعوث المغول إلى أسبانيا ومن تلك الرحلة يتضح لنا من خلالها ظروف إمبراطورية طرابيزون آنذاك ومدى الفوضى واضطراب الأحوال الداخلية بها وذلك من خلال معاملة أحد النبلاء الطرابيزونيين ويدعى ليوكاباستيس Leo Kabasites ، الدوق على منطقة خلديا Chaldia ، بالمعاملة السيئة التى نالها كلافيجو وتجاهل أيضاً الحقوق السياسية للمغول فى إمبراطورية طرابيزون^(١) الأمر الذى قد

(١) Miller : op. cit., pp. 72- 74- 75; Nicol : The Byzantine family, p. 169; Franzius: op. cit., p. 409; Gibbons: op. cit. loc. cit; Bryer: The estates of the Empire of Trebizond, Athena, 1979, P. 417.

- انظر أيضاً: اسماعيل سرهنك، المصدر السابق، ص ٢٨؛ جوزيف داهموس، المرجع السابق، ص ١٩٢ - ١٩٣؛ تلماز أوزتوس، المرجع السابق، ص ١١٢؛ أحمد مصطفى، المرجع السابق، ص ٥٩ .
- جونسا ليزدى كلافيجو "Gonsalaze de Clavijo" شغل مركزاً مرموقاً لدى الملك هنرى الثالث فى أسبانيا «قشتاله» توفى عام ١٤١٢م. وقد ترأس بعثة إلى بلاط تيمورلانك فى سمرقند والتى وصفها باختصار، حيث تحركت البعثة من مدينة سيفال Seville فى ٢٢ مايو عام ١٤٠٣م، وعادت إلى قشتاله ، ٢٤ مارس ١٤٠٦م . وقام خلالها كلافيجو بوصف العديد من جزر بحر إيجه، الرودوز=

يعرض طرابيزون لغزو المغول لها بدلاً من الاكتفاء بتبعيةها الإسمية وقد خدمت الأقدار إمبراطورية طرابيزون بوفاء تيمورلانك فى العام اللاحق لزيارة كلا فيجو

= خيوس ولسبوس ، وذكر أيضاً جيل أسوس، كما مكث أيضاً فى القسطنطينية وبيرا . وقد اهتم غالباً بوصف الكنائس ، وقام بزيارة طرابيزون أيضاً .

O.D.B. vol . I, P. 469 .

- ترك لنا الرحالة كلافيجو تقريراً استقصائياً عن قوة ليوكاباسيتس، دوق خلديا، وهو زعيم الأسرة الشهيرة «كاباسيتس» والتي امتلكت نفوذاً عظيماً فى الإمبراطورية. وحكمت مقاطعة فسيحه بين الجبال وأمسكت بقبضتها على العديد من القلاع التى منحتها التحكم والسيطرة على طرق القوافل المؤدية إلى جنوب العاصمة . الأمر الذى دفعه إلى جيبى الضرائب من المسافرين ، الذين يعبرون بمحاذاة الطريق المؤدى إلى فارس وأرمينيا ولذلك عومل كلافيجو والمبعوث المغولى معاملة سيئة أثناء مرورهم بمقاطعة حيث طالبهم ليو بدفع الضريبة أو منح الهدايا لكن المبعوث المغولى احتج باعتباره سفير تيمورلانك فهو ليس بحاجة لدفع الضريبة ، فضلاً عن أنه ليس تاجراً، كما أصر بأنه له الحق فى العبور بحرية عبر الأراضى التى تتبع المغول، وما أن ليو تابعاً لإمبراطور طرابيزون، إذن لم يكن بحاجة إلى امتداد الضريبة من نائب المولى . لأميره « تيمور » ولقد أدعى كاباسيتى بأن واجبه المحافظة على ذلك الطريق مفتوح بفضل عنايته ولذلك أعطى لنفسه ابتزاز الضرائب وتعلل بفقر جبال مقاطعته الفاحله، وحروبهم المستمرة ضد غارات التركمان، وقد اقتضى ذلك وجود عدد كبير من الحاميات التى كونها من سكان المقاطعة ، والا فإن عمرات الجبال سوف تترك مفتوحة أمام غارات التركمان الرحل وأضاف كاباستيس أن الظروف قد تستلزم أن يغير على الأقاليم الأكثر رخاءً بإمبراطورية طرابيزون لتوفير المؤن اللازمة له ولقواته . وفى النهاية أجبر كلاً من كلافيجو والمبعوث المغولى على منح الهدايا . وبذلك أظهر كلافيجو الوضع الاجتماعى غير المستقر بسبب فوضى الإستقراطيين. وأيد عبارة للإمبراطور الكسيوس الثالث والتى قرأها فى دير صمويلاً، كان يطلب من خلالها حماية الرب من جشع نبلائه والتى ظلت فى عهد خلفائه .

-Miller : op. cit., P. 75; O.D.B . Vol . I, P. 369 .

وذلك أثناء حملته على الصين^(١). ويرى الباحث أن الأقدار لو أهملت تيمورلانك ربما أعد حملة لغزو طرابيزون، وذلك لمحاولتها الخروج على الحقوق السياسية الواجب أدائها تجاه المغول، باعتبارها مقاطعة تابعة لإمبراطورية المغول وتدفع جزية سنوية إليها. علماً بأن تيمورلانك لو شاء لتمكن من فتحها فى عدة أسابيع على الأكثر، ونجده قد أنهى حملته على الأناضول تاركاً خلفه عدداً من الإمبراطوريات تحت سيادة المغول منها بيزنطة وطرابيزون والعثمانيين^(٢).

وجدير بالذكر ، فقد ظهرت مشكلات نجمت بعد وفاة تيمورلانك، داخل إمبراطورية المغول ، الأمر الذى دفع السلطان خليل إلى الرحيل لسمرقند من أجل الإستيلاء على العرش ، تاركاً منصبه كحاكم على منطقة القوقاز بما فيها طرابيزون. وقد شجعت تلك الظروف الإمبراطور مانويل الثالث كومينيوس مستغلاً أيضاً الصراع العنيف الدائرين أبناء تيمورلانك من أجل العرش ، وألقى كل تبعية لإمبراطوريته تجاه المغول، وتخلصت بذلك طرابيزون من الجزية السنوية التى تؤديها للمغول^(٣).

(١) -Franazius: op. cit, p. 409; Gibbons: op. cit, P. 260; Finlay:

History of Greece, Vol. IV, P. 387; Hammer: op. cit., T. II, P. 94.

انظر أيضاً : اسماعيل سرهنك ، المصدر السابق، ص ٢٨؛ جوزيف داهموس ، المرجع السابق ، ص ١٩٢ - ١٩٣؛ أحمد مصطفى ، المرجع السابق، ص ٥٩ .

(٢) تلماز أوزتوس: المرجع السابق، ص ١١٣ .

(٣) Hertzbergs: Storia Bizantini,p. 780; Finlay : op. cit., Vol . IV, p. 393.

انظر أيضاً : إبراهيم خورشيد، دائرة المعارف ، ج٧، ص ٣٦.

وحيثذاك، بدأت إمبراطورية طرابيزون تلتقط أنفاسها بعد أن تخلصت من ضغط القوتين العظمتين، بعد هزيمة الأتراك العثمانيين فى أنقره عام ١٤٠٢م وماترتب عليه من نقل عاصمتهم الآسيويه من بروسه إلى أدرينابول Adrianople ، ومن جانب آخر، تساقطت ممتلكات التيموريين بسبب النزاع الداخلى للأسرة المالكة^(١) .

وجدير بالذكر ، بعد أن اختفى المغول من مسرح الأحداث فيما بعد عام ١٤٠٥م وتقهقرت جيوشهم، حصلت طرابيزون على حريتها وأصبحت بدون وصاية، ظهر خطر آخر تمثل فى جموع التركمان من القطيع الأسود. " القره قيونلى Kara Koyunlu "، بزعامة كارايوسف Kara Jousouf الذى أتخذ من أذربيجان مقراً له فيما بعد، ولقد حاول كارايوسف أن يحل مكان السلطان خليل على الحد الشرقى للإمبراطورية بعد رحيله من القوقاز. وبالفعل

(١) جوزيف داهموس : سبع معارك فاصل فى العصور الوسطى ، ص ١٩٣ .

- أدرينابول Adrianople ، أو Mod . Edirne, Orestias وهى مدينة تقع على منتصف نهر هبروس Hebors River والذى يصلح للملاحة من أدرينابول إلى البحر . وأيضاً كانت على الطريق الحربى الرئيسى لكلاً من بلغراد و القسطنطينية . وكانت حصناً هاماً فى حماية القسطنطينية من غزوات الشمال . ولكن نادراً ما تذكر كمركز حكومى. وفى القرن الثانى عشر الميلادى على وجه التحديد عام ١١٩٠م ، إستولى فردريك الأول ببروسا على المدينة ووقع هناك معاهدة مع القسطنطينية . وفيما بعد وقعت أدرينابول بين أيدي قوى عديدة ، منها نيقية و ابيروس و بلغاريا ، ثم حاصرها بعد ذلك القپالوينون ثم الأتراك عام ١٣٦٩م، ولكن السلطان مراد الأول دخلها عام ١٣٧٦-١٣٧٧م. ولقد ظلت عاصمة للعثمانيين حتى استيلائهم على القسطنطينية عام ١٤٥٣م .

O.D.B . Vol . I, P. 23 .

عزم على غزو تلك المنطقة ولكنه وجد منافساً على الجانب الآخر ، ألا وهو كارايولوك زعيم التركمان من القطيع الأبيض، وصهر الإمبراطور مانويل الثالث كومينيوس^(١) خاصة وأن كارايوسف قد ترأس أقاليم واسعة امتدت من ضواحي سينوب حتى أسوار بيسور، كما أنه أظهر عزمه على تأسيس إمبراطورية عظيمه تمتد بين الأتراك والمغول، واستطاع أيضاً أن يواصل انتصاراته في البحر الأسود وحتى الخليج الفارسي . كما استولى على طورس Tauris نفسها. وأصبحت عاصمه لمملكته، وبذلك تمكن كارايوسف من الاستحواذ على بقية أرزنجان، وطرد منها أسرة طاهرتين ، صهر الإمبراطور

(١) Miller: Trebizond, PP. 67- 77; Pitcher,D.: An historical Geography of the ottoman Empire, Liden, 1972, PP. 79 - 88.

- القره قويونلى Kara Koyunlu ، ظهرت تلك القبيلة التركمانية فى عهد أرغون الإبلخان الرابع (١٢٨٤ - ١٢٩١م) بعد أن جاءوا من بلاد تركستان عابرين نهر جيحون استقروا فى الوديان العليا لنهر الفرات ودجله حيث كانت غزوات المغول المخربه مجالاً لسكان جدد. وقد أطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى إشارات أعلامهم أولاًشتهارهم باقتناء الشياه السوداء. وعندما عصفت فتوحات تيمورلانك، أصبحت منطقة ما بين النهرين مركزاً لقبيلة القره قويونلى . ولقد تزعهما كارا يوسف، الذى تولى حكمها عام ١٣٨٧م تقريباً ، وانتهى عهده عام ١٤٣٥م وقد خاض خلال تلك الفترة العديد من الحروب مع التركمان من القطيع الأبيض . وتعد سيره كارايوسف علامة على تغيرات سياسية ظهرت فى عهده، وتاريخه ليس سوى سجل من المغامرات الفريدة .

-Finlay: op. cit . Loc . cit .

انظر أيضاً : صلاح حسين ، العراق فى التاريخ، بغداد، ١٩٨٣ ، ص ٥٦١ - ٥٦٢؛ ابراهيم خورشيد، المرجع السابق ، ج٣، ص ٤٧ - ٤٨ .

مانويل الثالث كومينيوس. وفي الوقت نفسه نجح في هزيمة أوليف Oulough قائد جيش الأتق قيونلى عند قلعة الروم على الفرات^(١) وذلك عام ١٤١٨م بعد وفاة الإمبراطور مانويل الثالث بعامين، الذى ترك طرابيزون مهددة بخطر القره قيونلى، خاصة هجومها على ممتلكات صهرى الإمبراطور، والذين كانوا بمثابة حدوداً تحمى إمبراطوريته من الأخطار الخارجية. ولقد خلف مانويل الثالث على عرش إمبراطورية طرابيزون، الإمبراطور الكسيوس الرابع كومينيوس (١٤١٦ - ١٤٢٩م) والذى وقف موقف المتفرج من هذا الصراع الدائر فى المنطقة بالقرب من حدود إمبراطوريته. ويرى الباحث أن موقف الإمبراطور ربما يرجع لضعفه وعجزه عن التصدى لتلك القوى. ومما يثبت صحة

(١) Ducae:op. cit., P. 69; CF, Nicol : The Byzantine Family, P169; Finlay: op . cit., Vol. IV, P. 394.

- وفيما يحظى طورس Tauris، أوتبريز حالياً، هى عاصمة الأقليم الفارسى أذربيجان، توجد فى الزواية الشرقية من السهل الغربى. أصبحت الطريق الوحيد الذى يصلح للمواصلات بين الشرق والغرب من طرابيزون إلى أرزن الروم. وهى أيضاً من البلاد الهامة الواقعة بين القسطنطينية والهند ويشاركها فى ذلك تفليس وطهران وأصفهان.

- ابراهيم خورشيد : المرجع السابق، ج٩، ص ١٧٣.

- أما بالنسبة لأوليف Oulough، وشقيقه حمزه Hamzo، أبناء كارايولوك زعيم التركمان من القطيع الأبيض، وأحفاد الإمبراطور الكسيوس الثالث كومينيوس. وقد اشتبكت القبيلتان التركمانيتان فى حروب عديدة كانت بزعامه كارايوسف وذلك أعوام (١٤٠٦، ١٤١٠م)، وهزم خلالها القطيع الأبيض ولكن الموقعة الحاسمة كانت عام ١٤١٨م فى قلعه الروم على الفرات.

Ducae: op. cit., P. 69.

ذلك ، سعيه إلى التقرب وإقامة علاقات ودية مع كارايوسف بعد أن أصبحت طرابيزون فى مواجهة مباشرة مع القطيع الأسود ولكى يتجنب الإمبراطور الكسيوس الرابع أى اعتداءات على بلاده من قبل هذه القوى خاصة وأن قواته لا تستطيع مجابهتها ، اضطر أن يلقي بنفسه تحت رحمة كارا يوسف الزعيم التركمانى ، معلناً قبوله الخضوع إليهم بأية شروط مقابل الحصول على السلام والمحافظة على أمن وسلامة بلاده. وعندئذ أمره كارايوسف بارسال ابنته الأميرة "نا" Na لكى تكون زوجه لابنه جهانشاه Djihan Shaha وكانت الأميرة تشتهر بجمالها بين بنات آسيا بأسرها ^(١)، كما تعهد الإمبراطور الكسيوس الرابع كومينيوس أيضا بدفع الجزية السنوية إلى القطيع الأسود والتي كان يدفعها الإمبراطور السابق مانويل الثالث إلى المغول ^(٢).

ومما سبق يتضح أنه أصبح من المعتاد على سيدات الأسرة الإمبراطورية

(١) Phrantzes : op. cit., P. 123; Chalcocondylae: op. cit., p.462, CF, Nicol : op. cit , p. 169; Finlay : History of Greece, vol . IV, P. 394.

- جهانشاه Djihan Shaha، وهو ابن كارايوسف زعيم التركمان من القطيع الأسود، تولى حكم قبيلته فى الفترة ما بين (١٤٣٥ - ١٤٦٧م) وظل يتحين الفرصة لإقامة إمبراطورية غرب إيران والعراق. ولكنه فقد كل ممتلكاته بعد هزيمته أمام منافسه أوزون حسن زعيم القطيع الأبيض (١٤٥٣ - ١٤٧٨م) عند منطقة كيجا Kigi التى تقع جنوب شرق أرزنجان عام ١٤٦٧م. ونجد حياة جهانشاه مصدر قلق للقطيع الأبيض، الأمر الذى اضطرهم إلى طلب الحماية من المالك فى مصر. وذلك قبل وصول أوزون حسن لعرش مملكة القطيع الأبيض .

-Pitcher : op. cit., pp. 79 - 80 .

-Finlay : op. cit., vol . IV, p. 395

ذلك ، سعيه إلى التقرب وإقامة علاقات ودية مع كارايوسف بعد أن أصبحت طرابيزون فى مواجهة مباشرة مع القطيع الأسود ولكى يتجنب الإمبراطور الكسيوس الرابع أى اعتداءات على بلاده من قبل هذه القوى خاصة وأن قواته لا تستطيع مجابهتها ، اضطر أن يلقي بنفسه تحت رحمة كارا يوسف الزعيم التركمانى ، معلناً قبوله الخضوع إليهم بأية شروط مقابل الحصول على السلام والمحافظة على أمن وسلامة بلاده. وعندئذ أمره كارايوسف بارسال ابنته الأميرة "نا" Na لى تكون زوجه لابنه جهانشاه Djihan Shaha وكانت الأميرة تشتهر بجمالها بين بنات آسيا بأسرها^(١)، كما تعهد الإمبراطور الكسيوس الرابع كومينيوس أيضا بدفع الجزية السنوية إلى القطيع الأسود والتي كان يدفعها الإمبراطور السابق مانويل الثالث إلى المغول^(٢).

ومما سبق يتضح أنه أصبح من المعتاد على سيدات الأسرة الإمبراطورية

(١) Phrantzes : op. cit., P. 123; Chalcocondylae: op. cit., p.462, CF, Nicol :

op. cit , p. 169; Finlay : History of Greece, vol . IV, P. 394.

- جهانشاه Djihan Shaha، وهو ابن كارايوسف زعيم التركمان من القطيع الأسود، تولى حكم قبيلته فى الفترة ما بين (١٤٣٥ - ١٤٦٧م) وظل يتحين الفرصة لإقامة إمبراطورية غرب إيران والعراق. ولكنه فقد كل ممتلكاته بعد هزمته أمام منافسه أوزون حسن زعيم القطيع الأبيض (١٤٥٣ - ١٤٧٨م) عند منطقة كيجا Kigi التى تقع جنوب شرق أذربيجان عام ١٤٦٧م. ونجد حياة جهانشاه مصدر قلق للقطيع الأبيض، الأمر الذى اضطرهم إلى طلب الحماية من المماليك فى مصر. وذلك قبل وصول أوزون حسن لعرش مملكة القطيع الأبيض .

-Pitcher : op. cit., pp. 79 - 80 .

-Finlay : op. cit., vol . IV, p. 395

أن يكونوا يدا معاونة لمساعدة السلطة العليا الطرابيزونية، والدليل على ذلك أن الإمبراطورية دخلت فى مصاهرات متعددة مع جيرانهم من المسلمين والذي أطلق عليهم Aibi Probatantes ، لتجنب الاعتداء على أراضيهم^(١) .

وجدير بالذكر لم تستمر تبعية طرابيزون طويلاً لهيمنة القطيع الأسود ، بسبب وفاة زعيمهم كارا يوسف عام ١٤٢٠م ، فى خيمته أثناء استعداداته لمواجهة المغول بقيادة الشاه ريخا Rukh Shah^(٢) ولقد ترتب على وفاته عدة

(١). Chalcocon dylae: op.cit., pp 261- 262; Bryer: Turkmens,p. 141; Miller: Trebizond, pp. 77, 80 .

(٢). Finlay:op. cit., Vol . IV, p. 395 .

- شاه ريخا "Rukh Shah" (١٤٠٥ - ١٤٤٧م) وهو أصغر أبناء تيمورلانك ، تولى عرش المغول بعد فترة قصيرة من حكم السلطان خليل. وقد أخذ شاه ريخا على عاتقه ضرورة الانتصار على رايه كارايوسف، وأيضا تكوين إمبراطورية فى آسيا الصغرى تكون بمثابة الطريق للقضاء على التركمان من القطيع الأسود، وبوفاه شاه ريخا بدأت ممتلكات التيموريين تتساقط بسبب الصراعات الداخلية .

Pitcher : op. cit, Loc . cit .

- لقد اتسمت العلاقة بين التركمان من القطيع الأسود والمغول بالعداء ، ويرجع ذلك إلى عهد تيمورلانك منذ غزواته الأخيرة التى اكتسحت آسيا. وقد انضم خلالها القطيع الأبيض إلى جانب المغول، فى الوقت نفسه اتجه القطيع الأسود لمساندة الأتراك العثمانيين أعداء يتمور وقد تزعمهم كارا يوسف الذى حشد ما يقرب من ثلاثين ألف فارس من قبيلته واستخدمهم لتحقيق أهدافه . وفى وقت مبكر من عام ١٣٨٧م. وضع كارايوسف خطة لمحاربة تيمورلانك ولكنه لم يكن نداً بسبب المهارة الحربية الفائقة للجيش المغولى . وبالرغم من تلك الهزيمة ، قام كارايوسف بإشعال نار الحرب مرة أخرى ضد المغول ثم إضطر إلى الهرب للبلاط العثمانى، الذين رفضوا تسليمه إلى يتمور وربما كان كارايوسف سببا من الأسباب المباشرة التى أدت إلى غزو المغول ، للإمبراطورية العثمانية. وبعد =

أمور هامة منها تمزيق جيش القطيع الأسود الذى اندفع إلى سلب ونهب خزائهم الملكية ، مما أدى إلى إنهيار مملكتهم . وقد ساعد هذا إلى حد كبير على إستعدادات القطيع الأبيض لإستقلاله مرة أخرى. وعند إذ أنتهز الإمبراطور الكسيوس الرابع كومينيوس تلك الفرصة وقرر وقف دفع الجزية لخزائن التركمان وبذلك تخلصت الإمبراطورية من التبعية للقطيع الأسود .

ولكن سرعان ما بدأ خطرا الأتراك العثمانيين يلوح فى الأفق مرة أخرى عام ١٤٢١م . وذلك عندما تولى مراد الثانى Murad II ، حفيد بايزيد الأول، أمر السلطنة العثمانية ، إذا نجح فى امتلاك نصف قسطنطينى التى تقع على حدود طرابزون عام ١٤٢٣م كما أنه استطاع استرداد أملاك دولته من المغول مثل ايدين و صاروخان و منتشا و تكة بعد ذلك بعامين (١).

= هزيمة السلطان بايزيد فى موقعة أنقره ١٤٠٢م، فركارايوسف هارباً إلى مصر للاحتباء بالماليك وظل بها حتى توفى يتمورلنك عام ١٤٠٥م. وعندئذ بادر كارايوسف بالعودة إلى قبيلته وجمع التركمان تحت رايته واستعاد سلطانه الذى انتقص منه تيمورلنك لحساب القطيع الأبيض . ومن ثم أصبحت منطقة أرمينيا مسرحاً لحروب انتهت بوفاه كارايوسف عام ١٤٢٠م .

Hertzbergs : op. cit., P. 78; Finlay: op. cit. loc . cit ; Gibbons: op. cit, p. 244; Berhier: Europein the Middle ages Selected studies, p. 473.

- انظر أيضا : ابراهيم خورشيد ، المرجع السابق ، ج٣، ص ٤٨ - ٤٩ ، ج٤ ، ١٢٣ .

(١) تلمازأوزتوس : المرجع السابق ، ص ١٢٠ - ١٢١ ؛ محمد فريد : المرجع السابق، ص ١٥٤ ؛

أومان ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٢٥٧ .

- مراد الثانى Murad II، ولد فى أماصيا Amasiea عام ١٤٠٤م . توفى بأدرينابول وذلك عام ١٤٥١ وهو الابن الأكبر للسلطان مراد الأول، تولى حكم الدولة العثمانية فى الفترة ما بين عامى =

وبالرغم من فتوحات الأتراك العثمانيين السابقة فى هذه المنطقة ، إلا أنهم تغاضوا عن بعض المقاطعات دون إخضاعها مثل مقاطعات أماسيا ومينائها التجارى ، الذى يتبع السيادة الجنوية، والنصف الآخر لقصطمونى، وسينوب. وكان الاستيلاء على هذه المناطق سيمثل خطراً داهماً على حدود إمبراطورية طرابيزون، والتي أصبحت حيال تلك الفترة تشمل مقاطعة صغيره للغاية، تقع خلف مدينة طرابيزون نفسها. وقد تحايل الطرابيزونيون للهروب من الخضوع للعثمانيين^(١) وقد ساعدت الظروف طرابيزون كثيراً بسبب انشغال سلاطين العثمانيين عن ضمها، وذلك بإعادة ممتلكاتهم المسلوبة فضلاً عن النزاعات الداخلية بدولتهم^(٢).

= (١٤٢١ - ١٤٥١م) ولقد واجه خلالها ثورات عديدة و فى عام ١٤٢٢م تمكن مراد من سحق تلك الثورة، وكما أخضع أباطرة الدولة البيزنطية سواء كلا من مانويل الثانى و حنا الثامن و قنسطنطين الحادى عشر و وأجبر أباطرتها على دفع الجزية السنويه إليه . الأمر الذى دفع القسطنطينية إلى التواجد فى مجمع فلورنسا الكنسى ١٤٣٩م. وتجدر الإشارة إلى تنازل أمير قصطمونى عن نصف أملاكه للسلطان مراد الثانى ولم يكثف بذلك بل زوجه ابنته أيضاً ليظهر ولائه وإخلاصه بدلاً من إحتلال مقاطعته عسكرياً، ولذا ترك السلطان مراد، حاكمها ويدعى اسفنديار بك فى منصبه، وأيضاً لصلة قرابته لبنى عثمان من جهة الأم .

-Finlay: op. cit. Vol. III, PP. 486- 489; Diehl, op. cit, loc . cit; O.D.B. vol . III, p. 1423.

- انظر أيضاً: تلماز أوزتوس ، المرجع السابق، ص ١٢١؛ محمد فريد، المرجع السابق، ص ١٥٤ .

(١) Pitcher: An historical Geography of the ottoman, p. 77.

(٢) تلماز أوزتوس : تاريخ الدولة العثمانية، ص ١٢١ .

وإذا أنتقلنا بالإشارة إلى علاقة إمبراطورية طرابيزون السياسية بالمدن التجارية الإيطالية نجد أن البنادقة لم تربطهم أبان هذه الفترة الزمنية المعاصرة لحكم الإمبراطور الكسيوس الرابع أدنى علاقات عدائية مع طرابيزون وإنما كان الود قائماً بين الطرفين ودعمته إتفاقيتان تجاريتان نجحت طرابيزون أن تعقدهما مع البنادقة في عهد الإمبراطور مانويل الثالث كومينيوس في أعوام (١٣٩١ - ١٣٩٦م) مدعماً بتبادل السفارات ولعل ذلك يتضح من خلال زيارة سفير طرابيزون للبندقية عام ١٤١٦م غير أن الهدف من الزيارة غير واضح في مصادر هذه الفترة المعاصرة أو المتأخرة زمنياً عن الفترة موضوع البحث^(١). ولكن الباحث يرى أن الهدف ربما يكون لتدعيم أواصر الصداقة والود بين طرابيزون من ناحية والبندقية من ناحية أخرى.

أما فيما يخص علاقة أباطرة طرابيزون بالرعايا الجنوبية، نجدها قد اتسمت بصفة عامة بطابع العداء والكراهية، ولعل ذلك يتضح أثناء عهد الإمبراطور مانويل الثالث كومينيوس، حيث اتهم الجنوبية بالرشوة لأحد موظفي الجمارك. وفي عام ١٤١٦م، عقد الجنوبية العزم على اتخاذ خطوات ضد

(١) Thomas-Predelli: Diplomatorium Voneto. Levantinum, II, pp. 229-230, 250-251; 289; CF also, Karpok S, p: Empire of Trebizond and Venice, Athena, 1979, pp. 295, 297- 298; Bryer: The estates of the Empire of Trebizond, P. 384; Laiou- Anglikie: The Byzantine Economy in the Mediterranean, PP. 180, 200, 211.

انظر أيضاً: هايد، تاريخ التجاره في الشرق الأدنى، ج٣، ص ٢٢٩، ٣٨٤ - ٣٨٥.

إمبراطورية طرابيزون فاتخذوا من عدم تجديد الإمبراطور الترخيص اللازم إزاء الرعايا الجنوبيه وقلعتهم فى طرابيزون، حجة قد ترتب عليها وجود منازعات بينهم وبين الإمبراطور الطرابيزونى، الكسيوس الرابع كومينيوس، الأمر الذى دفع البنادقة أن يصدرُوا أوامرهـم بمنع إرسال سفنهم إلى طرابيزون خوفاً علي تجارتها من النزاع الجنوبي الطرابيزونى ، خاصه بعد أن تعرضت سفن البندقية لهجوم بحرى من أسطول تركى فى طريق عودتهم من طرابيزون وكان ذلك رد فعل للضرر الذى أصاب الأتراك على أيدي بيتروزينو Pietro zeno أحد مندوبى البنادقة فى الشرق، ومع ذلك تمكن البنادقة من الهرب^(١).

Miller : op. cit., PP. 77 - 78.

(١)

يرجع السبب فى حدوث الإعتداء بين الأتراك البنادقة والذى ترك أثراً على طرابيزون، إلى مخالفة البنادقة لمعاهدة السلام التى عقدت مع الأمير التركى سليمان عام ١٤٠٣م عقب موقعة أنقرة . وذلك عندما نجح سليمان وهو الابن الأكبر للسلطان بايزيد فى الفرار حيث تمكن من تأسيس مركزاً لنفسه على الجانب الأوروبى فى غاليبولى . ولقد سعت البندقية للحصول على امتيازات فى غاليبولى ، لذلك أرسلت مبعوثين من قبلها هما بيتروزينو Pietro Zeno ، ومارك جرمانى Marco Gri-man من أجل عقد معاهدة سلام مع سليمان وقد استغرقت المداولات ما يقرب من ثلاثة أشهر ونصف . وفى النهاية تم الموافقة على توقيع المعاهدة ، ولكن البنادقة لم يلتزموا بتلك المعاهدة . الأمر الذى ترتب عليه مهاجمه الأتراك لأساطيلهم كنوع من العقاب .

-Dennis,C.: The Byzantine - Turkish Treaty of 1403, O.C.P. 1967,

Vol . xxx , pp. 72, 77, 78; Finlay: op. cit., Vol. III, P. 483.

انظر أيضاً : هايد ، المرجع السابق، ج٢، ص ٣٤٤؛ رنسيما ، تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص

. ١٢٦

ومن الملاحظ أن الإمبراطور الكسيوس الرابع كومينيوس قد ورث عن أبيه الإمبراطور السابق، مانويل الثالث، تصفيه أعمال الحرب التي تفجرت بينه وبين الجنوية . وقد أتسم النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادى، بالنسبة إلي رعايا الجنوية فى طرابيزون ، بسلسلة من الكوارث ، أهمها اندلاع الحرب بين الطرفين فى بداية عهد الإمبراطور الكسيوس الرابع^(١) وفى أثناء تلك الصراعات تمكن أمير البحر الجنوى ويدعى كوزماتاريجو - Cosma Ta-rigo، بالخروج على رأس ثلاث سفن حربية استطاعت أن تهزم أسطول طرابيزون كما أستولى على أحد الأديرة الحصينة التى تقع خارج أسوار مدينة طرابيزون، وحولتها إلى ساحة قتال . وفى عام ١٤١٨م، اضطر الإمبراطور الكسيوس إلى تلبية رغبة الجنوية فى دفع تعويض عن حروبهم مع طرابيزون بمبلغ قدره تسعمائة وخمسون ألف آسبر، وقد وافق الجنويه، أن يسدد الإمبراطور دينه هذا عينياً من العنب والبندق ، لمدة أربعة أعوام قادمة. وبالفعل بدأ الإمبراطور فى تنفيذ الالتزام^(٢).

(١) انظر ما سبق ، ص ١٤٤ .

(٢) Miller : Trebizond, P. 79; Bryer: The estates of The Empire of Trebizond, PP. 384, 420; O.D.B. Vol . I, P. 66 .

- انظر أيضاً : هايد، المرجع السابق ، ج٣، ص ٢٢٧ .

- لقد ذكر بيرير فى مقالته The estates of The Empire of Trebizond ، أن الإمبراطور الكسيوس الرابع دفع التعويض للجنويه فيما بين عامى (١٤١٨ - ١٤٢٠م)، خلال عامين فقط .
-Bryer: op. cit. Loc . cit .

وهكذا فإننا نرى كيف أن ميزان القوى فى الصراع قد مال ناحية جنوى نتيجة الضعف الذى ألم بطرابيزون فى عهد الإمبراطور الكسيوس الرابع كومينيوس. ويرى الباحث أن الإمبراطور قد أجبر على تهدئة الأوضاع مع الجنوية للاستفادة بذلك على النطاق السياسى والاقتصادى .

وقد راعى الإمبراطور الكسيوس الرابع ، أن يوازن فى سياسته الخارجية مع الجمهوريات الإيطالية حتى لا يكون أسيراً للهيمنة الجنوية، فحرص على الاحتفاظ بعلاقة الود مع البنادقة ، لكن لم يكتب لها الدوام وذلك لتعارض المصالح . فقد رغبت البندقية هى الأخرى فى استغلال الظروف السيئة التى تعيشها إمبراطورية طرابيزون لتحقيق مكاسب كتلك التى سبق ونالتها جنوه حتى تتواجد فى المنطقة بصورة أفضل تتيح لها تحقيق أهدافها الاقتصادية والسياسية فاستغلت البندقيه حادث فرصة تعرضت له سفينة تابعة للبنادقة من قبل سفن طرابيزون عام ١٤١٤م لمطالبة الإمبراطور بدفع التعويض المناسب عن هذا الحادث فى عام ١٤٢٠م. وقد شعر الإمبراطور أن إحياء البنادقة لمثل هذا الحادث الذى مر عليه ما يقرب من ستة أعوام هو نوع من الابتزاز، مما جعله يجيب عليهم بفتور، مبرراً اعتذاره بأن ذلك الحادث قام به مجموعة قراصنة من المتمردين بعيداً عن سيطرته . واعتبرت البندقية أن هذا الرد لا يحمل أسباباً مقنعة، فإجابته بأنه كان لديه وقت كاف لاختضاع تلك الفئة المتمردة^(١) . وهناك إشارة تركتها كلافيجو تفيد بانتشار اللصوص وقطاع

Miller:Trebizond, p. 80 .

الطرق حتى أراضى إمبراطورية طرابيزون آنذاك^(١). ويرى الباحث أن انتظار البندقية لفترة طويلة نحو ست سنوات على حادث القرصنة ثم مطالبتها بالتعويض بعد ذلك بفترة طويلة، وفي ذلك التوقيت على وجه الخصوص، إنما يدل على أن البندقية قد أدركت بأن الضغط على الإمبراطور ربما يحقق لها بعض المكاسب، كما فعل الجنوية من قبل بعامين وتمكنت من إجبار الإمبراطور علي دفع التعويضات المناسبة لهم، لكن البنادقة لم يحصلوا من الإمبراطور سوى على الاعتذار فقط عما حدث وذلك ربما لوجود علاقات ودية ترجع لفترة بعيدة بين الطرفين.

وما أن هدأت الأمور مع البنادقة، إذ بأهالي طرابيزون ثيرون على الرعايا الجنوية في بلادهم عام ١٤٢٥م تقريبا وذلك بعد بضع سنين من حادثة الجنوى السابقة حيث قام سكان طرابيزون باقتحام ضاحيه الجنوية ونهبوا ما بها من أشياء ثمينة ويبدو أن الإمبراطور الكسيوس الرابع كومينيوس كان سعيداً لهذا الحادث والدليل على ذلك أنه رفض التدخل لفض هذا الهجوم ومن ناحية أخرى رفض ترميم ضاحيتهم وإعادةتها إلى ماكانت عليه قبل اجتياح الطرابيزونيين لها كذلك الحال بالنسبة لأمر إصلاح قلعتهم التي تحطمت أثناء إختلال النظام والإضطرابات التي شهدها الجنويون في طرابيزون في السنوات التسع الماضية، الأمر الذي دفع بالرعايا الجنويه إلى رفع شكواهم وتظلماتهم إلى الحكومة الجنوية. وحينذاك، أصدرت جنوه الأمر لقمصها وموظفيها بالرحيل عن طرابيزون والعودة إلى الوطن. وإيقاف حركة التجارة مع

Bryer:Turkmens, P. 119.

طرابيزون، إذا إستمر الإمبراطور كسيوس الرابع كومينيوس على إصراره فى عدم تنفيذ مطالب الجنوية، ولم تكتف حكومتهم بذلك ، بل أرسلت خطاباً شديدة اللهجة تضمن مزيجاً من التهديد والوعيد لإمبراطورية طرابيزون، ونتيجة لتلك الضغوط التى أُلقت بها جنوه على عاتق الإمبراطور الكسيوس، اضطر إلى إظهار إستعدادة لتنفيذ التزاماته تجاه الجنوية . وعندئذ أصدر قنصل جنوه فى كافا أوامر تفيد بتجنب النزاع مع الطرابيزونيين، ولكن بعد مقابلة مبعوث القنصل بالإمبراطور أدرك عدم ثقته فى وعود هذا الإمبراطور المراوغ ، الذى يدلى كعادته بكلمات حسنة لا أساس لها فى الواقع . وبناءً على ذلك أرسلت جنوه شخصاً يدعى أنطونيو دى الليجرو " Antonio de Allegro " لكى تضمن تنفيذ ما وعده الإمبراطور حيال مطالب الجنوى وقد شهدت تلك الفترة منازعات بين الجنوية ، وأباطرة طرابيزون وفيها تختلط المطالب بالادعاءات من كلا الطرفين دون أن تتسنى الظروف للتوفيق بينهم^(١) وفيما يبدو فإن الإمبراطور أراد تهدئة الأوضاع بينه وبين الجنوية، بدليل زواج ابنه وشريكه على العرش ويدعى الإسكندر إلى أمير جنويه وهى إبنة دورينوجو يتلوزيو حاكم لسبوس Lesbos^(٢) وبالرغم من ذلك لم ينجح الإمبراطور كليتاً فى تحقيق هدفه، ويتضح ذلك من اشتراك الجنوبيين بكافا فى مؤامرة ضد الإمبراطور الكسيوس الرابع كومينيوس . وقد سنحت لهم الفرصة ، عندما ثار

(١) Miller: op. cit., Loc . cit; O.D.B. Vol . I, P. 66.

انظر أيضاً: هايد ، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى ، ج٣، ص ٢٢٧ - ٢٢٨.

(٢) Miller: op. cit, PP. 81 - 82; Nicol: op . cit ., p. 169 - 170;

O.D.B. Vol . I, P. 66.

انظر أيضاً : هايد ، المرجع السابق ، ج٣، ص ٢٢٧ .

- دورينو جاتيلوزيو Dorino - Gattilusio ، وهو ثالث الأمراء الذين حكموا السبوس من تلك

حنا بن الإمبراطور الكسيوس عام ١٤٢٧م ضد أبيه ، ثم فرا إلى جورجيا وهناك تزوج من ابنة حاكمها ويدعى الإسكندر الأول (Alexander I ١٤١٢ - ١٤٤٢م) وذلك ليحصل على تأييدها فى ثورته ، ثم توجه إلى الجنوبة فى كافا والتى زودته بأسطول حربى لمهاجمة الإمبراطورية . وبالفعل نجحت فى تنفيذ ما تصبوا إليه وقضى على حياه الإمبراطور الكسيوس الرابع خلال ذلك العصيان عام ١٤٢٩م^(١) يرى الباحث أن فرار حنا إلى جورجيا كانت محاوله منه لإيجاد من يؤازره فى ثورته ضد أبيه ولكن الظروف التى مرت بها جورجيا

= الأسرة فى الفترة ما بين عامى (١٤٢٧ - ١٤٦٢م). ونجح فى بسط سيطرته إلى مدى بعيد حتى جزيرتين من أكبر الجزر فى بحر إيجه هما ، لنوس وثاسوس. وقد كانت لتلك الأسرة ثروات ضخمة .
- هايد : المرجع السابق، ج٣، ص ١٤٨ .

- أما بالنسبة لجزيرة لسبوس Lesbos فهى تقع فى شمال شرق بحر إيجه ونجد من أهم مدنها Mytilene. وفى عام ٨٠٢م نفيت إليها الإمبراطوره إيرينى وبها توفيت. وترجع أهميتها كدرب على البحر يصل بالقسطنطينة. ولقد استخدمت لسبوس كموقع لتجمع . أسطول توماس السلافى Thomas the Slav . وفى القرن الثانى عشر الميلادى ، أغار البنادقة عليها عدة مرات بهدف السلب والنهب وبعد عام ١٢٠٤م سلمت إلى بلدين أف فلاتدر واستردها بعد ذلك حنا الثالث فاتاتزس John III Vatatzes بعد عام ١٢٢٤م. وفى عام ١٣٥٤م استولى عليها القرصان الجنوى فرنسيسكو جايتلوزيو وظلت سلالته تحكم حتى عام ١٤٦٢م .

O.D.B. Vol . II, P. 1219.

(١) Chalcocondy lae:op. cit., PP. 461 - 463;Cf, Nicol, op. cit., P. 170; Finlay: History of Greece, Vol . IV, P. 397;Kurcanskis, M: La-descendaneed' Alexis IV empereur de Tredizonde, R.E.P. 1979, T.37. PP.239-247; O.D.B. Vol.II, P. 1048.

أما عن عصيان حنا ضد أبيه ، الامبراطور الكسيوس الرابع ، فترجع أسبابه إلى معرفة حنا =

خلال الفترة الماضية وخاصة غزو المغول لها قد ترك أثراً عليها جعلها عاجزة عن القيام بالدور الذى يرغبه حنا . الأمر الذى دفعه إلى الجنوية فى كافا مستغلاً العلاقات العدائية والكراهية المتبادلة بينهم وبين الإمبراطور الكسيوس الرابع ، وبالفعل رحب الجنوية بتأييد هذا العصيان وربما كانت تهدف من وراء ذلك إلى ، الحصول على امتيازات وتحقيق مكاسب أفضل مما كانت عليه فى عهد الكسيوس ، وقد مهدت الطريق لذلك بتقديم المساعدة والعون إلى حنا ، لتجننى من ذلك أطماعها التى لاحصر لها .

وجدير بالذكر ، فقد كان أباطرة طرابيزون يلجأون إلى عقد المصاهرات الزيجية مع أميرات القسطنطينية لتأمين دولتهم ولاضفاء صفة الشرعية على حكمهم وبالرغم من خضوع إمبراطورية طرابيزون لقوى عديدة خلال تلك الفترة ،

= أن والدته ثيودورا كانتاكوزينوس ، قد أصبحت محظية لأمين الخزانة فى البلاط الإمبراطورى لذلك قام حنا باغتيال العشيق وسجن والديه بإحدى حجر القصر الإمبراطورى . لولا تدخل النبلاء بالعاصمة لإنقاذ الإمبراطور وزوجته . ونجح حنا فى الهرب إلى جورجيا . وعندئذ أعلن الإمبراطور الكسيوس ، ابنه الثانى الاسكندر كشريك له على عرش الإمبراطورية ، الأمر الذى دفع حنا إلى الاتصال بأسرة كاباستيس فى طرابيزون والمناهضة لحكم والده وإستعان بالجالية الجنوية فى كافا . وأنطلق عابراً البحر الأسود وهاجم الإمبراطورية وحاصر ديرسانت فوكاس واتخذ حصناً له ولذلك خرج الكسيوس لمقابلته بعد ما اطمأن من ولاء وإخلاص شعبه له . وأقام الإمبراطور معسكره عند أنتاخيوس على مقربة من طرابيزون . وأثناء نومه تسلل أثنان من أتباع حنا إلى خيمة الإمبراطور فى منتصف الليل وقاما باغتياله وفى الصباح عثر على الإمبراطور مقتولاً فى خيمته وكان التاريخ يعيد نفسه فقد سبق وقام الكسيوس بالثورة ضد أبيه مانويل الثالث وكانت له يدٌ فى مقتله .

Miller :op. cit, PP. 81 - 84; Hertzbergs: op. cit, P. 780; Finlay . op. cit, Vol. IV, PP. 396- 397; O.D.B . Vol .II , P. 1078.

فقد حرص أباطرة طرابيزون على الاتصال والارتباط بالقسطنطينية ، حيث تزوج الإمبراطور مانويل الثالث من إحدى أقارب إمبراطور القسطنطينية وتدعى Anna Philanthropenos ، وذلك بعد وفاة زوجته الجورجية ، كما تزوج أيضاً الإمبراطور الكسيوس الرابع كومينيوس من ثيودورا كانتاكوزينوس ، ابنة أحد فرسان القسطنطينية. ولم يكتف الإمبراطور الكسيوس الرابع كومينيوس بذلك بل زوج إحدى بناته من الإمبراطور حنا الثامن باليولوجوس John VIII Palaiologos . كما دخل الكسيوس مع الصرب فى الوقت نفسه بعلاقات زيجية ، حيث تزوجت إحدى بناته من جورج برانكوفيتش طاغية الصرب (١١).

ومما سبق يتضح أن سياسة طرابيزون خلال تلك الفترة اعتمدت على عقد المصاهرات الزيجية مع القوى التى تشكل خطراً على إمبراطوريتهم مثل

(١١) Phrantzes: op. cit., PP. 123, 220; Ducae:op. cit, P. 102 ; CF, Chalcocondyles, op. cit., R.E.B., PP. 178- 181; Nicol, The Byzantine Family PP. 168- 169; Franzius: op . cit, P. 417; Miller : op. cit., P. 72; Finlay, op. cit, Vol., IV, P. 393; O.D.B. Vol . I, P. 66.

- حنا الثامن باليولوجوس John VIII Palaiologos، تولى عرش إمبراطورية بيزنطة فى الفترة ما بين عامى (١٤٢٥ - ١٤٤٨م) . ولد عام ١٣٩٢م ، وتوفى بالقسطنطينية عام ١٤٤٨م. وهو أكبر أبناء مانويل الثانى وهيلينادراجوس . ولقد اتبع حنا سياسة تتطلب التقرب من الغرب بحثاً عن العون لتتصدى لخطر العثمانيين . وكان له دور رئيسى فى عقد مجمع للكنائس وأهمها بصفة خاصة مجمع فيرارافلورنسا ، حيث وقع على قانون الإتحاد . وبعد عودته إلى القسطنطينية عام ١٤٤٠م وجد مقاومة عنيفة من الشعب ترجع إلى قرارات هذا المجمع . فضلاً عن ذلك كافأه الصليبيون عام ١٤٤٤م، عندما اندفعت لمحاربة الأتراك فى فارانا Varna ، ولقد توفى حنا دون أن ينفذ الاتحاد الكنائس . O.D.B. Vol. II, PP. 1053- 1054.

الترکمان من القطيع الأسود كما سبق الإشارة^(١) وأيضاً مع بعض الأباطرة والأمراء ممن لا يمثلون خطراً على الإمبراطورية في ذلك الوقت سواء مع القسطنطينية أو الصرب وفيما يبدو فإن القسطنطينية انشغلت آنذاك بمحاولات الأتراك العثمانيين للاستيلاء عليها في أعوام ١٣٩٤، ١٤٠٢، ١٤٢٢م فضلاً عن مساعيها لدى الكنسية الغربية لاستنهاض شعوب الغرب للقيام بحرب صليبية تهدف القضاء على الأتراك^(٢). والدليل على صحة هذا، عدم تناول المصادر عن دور القسطنطينية في الصراع الدائر بين أفراد أسرة آل كومينيوس من أجل الاستيلاء على عرش الإمبراطورية وإن كانت توجد إشارة صغيرة توضح تدخل القسطنطينية في إدارة الشؤون الدينية لإمبراطورية طرابيزون. وتوضح أيضاً مدى اهتمام أباطرة تلك الفترة بالأمور الروحانية ففي العام الذي توج فيه مانويل الثالث على عرش الإمبراطورية، أعطى جزءاً من الصليب^(٣).

وجدير بالذكر أن المصادر والمراجع الحديثة لم تذكر شيئاً عن علاقة طرابيزون بالإمبراطورية البيزنطية خلال الفترة ما بين عامي (١٣٩٠ - ١٤٢٩م) غير ما أشرنا إليه من أمر العلاقات الزيجية، والإشارة إلى

(١) انظر ما سبق، ص ١٤٠.

Gill: op. cit., PP. 227 - 228.

(٢)

Miller: Op. cit., P. 78; Lebeau: op. cit., T.xx, P. 508.

(٣)

انتقاد القسطنطينة للسيمونية التي انتشرت في طرابيزون آنذاك ، والتي لم يضع أباطرة طرابيزون ادنى اهتمام لهذا الانتقاد^(١) .

(١) Migne: Patrologiae Graecae, Paris, 1866, clx, PP. 465, 468;
Historia Politica at Patrarchica Constantinopoles, Bonnae, 1849,
PP39, 59; CF, PApadopoulos, A.: Studies and documents Relating to
the history of the Greek church and People under Turkish Domination,
London, 1952, PP. 79-80; O.D.B. Vol. II, P. 1292.

الفصل الرابع

- " إمبراطورية طرابيزون فى عهد خلفاء الإمبراطور
الكسيوس الرابع وحتى سقوطها " ١٤٢٩ - ١٤٦١ م "
- النزاع بين آل كومينيوس وظروف اعتلاء حنا الرابع للعرش .
 - طرابيزون وتطور الصراع بين البندقية وجنوه .
 - موقف حنا الرابع من مشروع الوحدة بين كينستى
القسطنطينية وروما .
 - محاولة الأتراك العثمانيين الاستيلاء على طرابيزون عام
١٤٤٢ م .
 - جهود الإمبراطور داود لتكوين تحالف ضد الخطر العثمانى .
 - سقوط إمبراطورية طرابيزون على أيدى الأتراك العثمانيين عام
١٤٦١ م .

استعرضنا فى الفصل السابق السياسة الخارجية لإمبراطورية طرابيزون والأخطار التى تعرضت لها الإمبراطورية سواء من الأتراك، أو المغول، ثم التركمان من القطيع الأسود، كما عرفنا أيضا إلى أى مدى كان أباطرة طرابيزون حريصين على إقامة علاقات ودية وسلمية مع جيرانها عن طريق المصاهرات الزوجية كوسيلة لحماية بلادهم .

كما أوضحنا أيضا النزاعات الداخلية بين أفراد أسرة آل كومينيوس طمعا فى الوصول إلى عرش الإمبراطورية والتى انتهت بنجاح حنا الرابع كومينيوس فى ثورية ضد أبيه الإمبراطور الكسيوس الرابع كومينيوس، بأن دبر لاغتياله على أيدي اثنين من جواسيسه أثناء تواجده فى معسكره بضاحية أخانتوس^(١) . كيفما كان الأمر، عندما دخل قاتل أباه إلى طرابيزون والعاصمة، وصرح بأنه قد أمر أتباعه بأسره فقط والحرص على أمنه وسلامته ولم يأمرهم نجد أنه بقتله بذلك قد أنكر تهمة التحريض على قتل أبيه^(٢) بينما يرى الباحث

(١) أنظر ما سبق ، ص ١٥

(٢) Chalcocondylae: op. cit, PP. 462 - 464; CF, Vasiliev: Pero Tafur, Aspania Traveler of the Fifteenth century , 1932, vol: VII, P. 10; Finlay: History of Greece, Vol . IV, P. 398; Nicol: The byzantine Family, P. 170; O.D.B. Vol. I, P. 66.

- حنا الرابع كومينيوس ، تولى حكم إمبراطورية طرابيزون فى الفترة ما بين " ١٤٢٩ - ١٤٥٨م " وهو ابن الإمبراطور الكسيوس الرابع كومينيوس وثيودورا كانتا كوزينوس .
-Nicol : op .cit; loc. cit; Miller : op . cit, P. 82; O.D.B. vol .I, P. 66.

أنه بالنسبة لاغتيال الكسيوس الرابع كومينيوس ، فهناك احتمالان لثالث لهما ، أولهما ، ربما حنا الرابع صادقا فى تصريحه إلى الشعب الطرابيزونى ، وأنه أمر رجاله بأسر أبيه فقط ، ولكن أثناء محاولتهم للإمساك به استيقظ الإمبراطور ودار شجار بينهما ترتب عليه قتل الإمبراطور الكسيوس عن غير عمد مسبق ، أما الاحتمال الثانى ، وهو الأقرب إلى الصواب . أن حنا الرابع ربما يكون قد أمر رجاله بقتل الإمبراطور الكسيوس الرابع ولكنه صرح للشعب عكس ذلك حتى يمتص غضبه وليحصل على الصبغة الشرعية كإمبراطور خلفاً لأبيه ، خاصة بعد وقوف الشعب إلى جانب أبيه فى حادثة القصر .

كيفما كان الأمر ، فقد أمر حنا الرابع بالحكم على قاتلى أبيه بقطع يد أحدهما وسمل عين الآخر ، وذلك من أجل كسب عطف الشعب له ، وليثبت صدق تصريحاته إليهم^(١) . أما بالنسبة لأخيه الاسكندر الذى عمل شريكاً للعرش مع الكسيوس الرابع قبل مجئ حنا إلى طرابيزون وأغتيال أبيه فقد اختلفت آراء المؤرخين فى شأنه ، فيذكر البعض أنه توفى فى حياة والده ، الأمر الذى شجع حنا للقيام بالتمرد ضد الإمبراطور الكسيوس من أجل الوصول إلى العرش الإمبراطورى^(٢) ، والبعض الآخر ، يرى أن الإسكندر قتل على يد أخيه

(١) - Miller: op . cit., loc , cit; Vasiliev: op . cit., Loc . cit; O.D. B . Vol. II, P. 1048.

- أما بالنسبة لحادثة القصر الإمبراطور التى دارت بين الإمبراطور الكسيوس الرابع وابنه حنا الرابع ،

أنظر ما سبق ، ص ١٥١ -

(٢) - Finlay : op. cit, Vol . IV, PP. 398 - 399 .

حنا قبل دخولة إلى طرابيزون حتى ينفرد بالعرش بمفرده ^(١)، بينما رأى الأقرب إلى الحقيقة، أن الإسكندر نفى إلى القسطنطينية بناءً على أمر حنا الرابع عندما دخل طرابيزون ليضمن انفراده بالعرش دون وجود شريك له.

وقد شاهده الرحالة الأسباني بيروطافور Pero Tafur، أثناء زيارته للقسطنطينية ما بين عامي " ١٤٣٥ - ١٤٣٩م " مع شقيقته، زوجة الإمبراطور البيزنطي، حنا الثامن باليولوجوس ^(٢).

-Miller : op. cit, P. 83.

(١)

-Vasiliev : pero Tafur, PP. 99- 100 ; Finlay : op. cit ., Vol . IV, PP. 398- 399, 436.

(٢)

- بيروطافور Pero Tafur، ولد عام ١٤١٠م في منطقة أنداسيا Anddasia بأسبانيا. وقد ذكر أنه المترجم الأول للسلطين الممالك في القاهرة. ونجد أن المعلومات التي تتعلق بحياته قبل أن يترك أسبانيا في رحلته، قليلة إلى حد ما. وكل ما نعرفه أن أباه يدعى جيان دياز Jyan Diaz، كان عضواً في طبقة النبالة الأسبانية. ولقد بدأ طافور رحلته في نهاية عام ١٤٣٥ م وعاد منها في مارس أو أبريل ١٤٣٩ م. أثناء رحلته الطويلة أعطانا وصفاً للمناطق التي زارها مثل جنوه، والبندقية، وروما وبعض المدن الإيطالية، ثم أبحر إلى الشرق حيث زار القسطنطينية وأدرينابول، وطرابيزون، والمستعمرة الجنوية في كافا بجزيره القرم، وأيضاً زيارته إلى فيرارا أثناء عقد المجتمع الكنسي من أجل توحيد الكنائس الشرقية والغربية وفي طريقه من ميلانو وبعض المدن في جرمانيا " المانيا " ثم عاد إلى أسبانيا في مارس أو إبريل ١٤٣٩م. وتزوج من امراء تدعى دوناجيانا Dona Jvana وأنجب ولداً وثلاث بنات. وقد شغل طافور بتنقيح قصة سفرياته. كما قام بدور فعال في الاضطرابات السياسية والشئون المحلية في المنطقة التي يقطن بها بأسبانيا وتولى منصب شيخ البلد لتلك المنطقة ثم توفي عام ١٤٨٤م.

-Vasiliev : Pero Tafur, PP. 77 - 78.

على أيه حال ، أصبح حنا الرابع كومينيوس إمبراطوراً على طرابيزون فيما بين عامي " ١٤٢٩ - ١٤٥٨ / ١٤٥٩ م" بينما يرجع البعض حكمه إلى عام ١٤٤٧ م ، ولا يوجد دليل صريح يثبت صحة هذا التاريخ، في حين أن هناك العديد من الأدلة التي تؤكد تولية حنا لعرش الإمبراطورية عام ١٤٢٩ م ، ومنها توقيعه على بعض الوثائق التجارية للبنادقة والجنوية والتي أرخت في أعوام ١٤٢٩ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٤ ، ١٤٣٨ ، ١٤٤١ م^(١).

وبالفعل فقد بدأ حنا الرابع كومينيوس إدارة شئون إمبراطوريته ، محاولاً النهوض بها فأصدر أوامره عام ١٤٣٠ م بتجريف غابات الوادي في طرابيزون وتحويلها إلى أراض زراعية يمكن استغلالها لصالح شعبه، كما وجد الإمبراطور أن عاصمته نظراً للظروف السيئة التي تعرضت لها الإمبراطورية بسبب الحروب التي قامت بينه وبين الإمبراطور السابق الكسيوس الرابع ، قد خضعت إلى ما يقرب من أربعين شخصاً من بين الزعماء المحليين ، الأمر الذي دفع الإمبراطور إلى إبعاد ما يقرب من أربعة آلاف مواطن بعيداً عن مواطنهم خشية نفوذهم ،

(١) Phrantes: OP. Cit., P. 206; Chalcocondylae: Op. Cit 463; CF also, Vasiliev: Op. cit., B, PP. 100- 101 ; Miller: Trebizond, PP. 93-94; Finlay: History of Greece, Vol . IV, P. 399.

- تلك الوثائق التجارية بين الإمبراطورية ومدن التجارة الإيطالية كانت تهدف إلى التأكيد على امتيازاتهم السابقة والحصول على تسهيلات وامتيازات لتيسير التجارة بينهم وبين طرابيزون وقد وقع عليها حينذاك الإمبراطور حنا الرابع كومينيوس .

-Miller : Op. cit., P. 96.

ويخبرنا الرحالة طافور عن مصير هؤلاء المواطنين، بأنهم وضعوا فى سبع مناطق ريفية داخل الإمبراطورية مع التزامهم بدفع الضرائب المقررة عليهم إلى الإمبراطور . وكان يتولى أمرهم من هو أكبرهم سناً .

كما استغل الإمبراطور وجود هؤلاء فى تلك المناطق الريفية فاعتبرهم درعا واقيا ونظام دفاعيا يحمى الإمبراطورية من هجمات التركمان والأتراك،^(١) وقد واكب تلك الظروف قيام السلطان العثمانى مراد الثانى بإعادة السيطرة على البلاد التى كانت فى حكم السلطان بايزيد والتى سلبها تيمورلانك من دولتهم. وعندئذ بدأت إمبراطورية طرابيزون بعد اختفاء السيادة المغولية تتلقى تهديداً من القوى العثمانية ، حيث تصدت طرابيزون للجيش العثمانى الذى أوفده السلطان مراد الثانى للاستيلاء عليها عام ١٤٣٠م^(٢) .

وحينذاك، انضمت إمبراطورية طرابيزون إلى القسطنطينية رغم أنها كانت تعاني من الضعف بسبب الجزية السنوية التى فرضها العثمانيون على الإمبراطور حنا الثامن باليولوجوس ، صهر إمبراطور طرابيزون ، وبسبب سيطرة العثمانيين على جميع البلاد والحصون البيزنطية الباقية تحت تصرف الروم على شواطئ البحر الأسود وسواحل الرومللى وذلك فيما عدا القسطنطينية وضواحيها^(٣) ، وعندما شعرت كل من طرابيزون والقسطنطينية بالخطر الذى

-Bryer: Op. Cit., P. 121.

(١)

-Brehier: Vie et Mor tde Byzance:Paris,1947; P. 528.

(٢)

(٣) إسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٣٣ .

يحيط بهما من كل جانب بدأت فى تبادل المراسلات عام ١٤٣١م مع البابا مارتن الخامس Mortin V " ١٤١٧ - ١٤٣١م" يدعوان من خلالها الغرب لمساعدتهم فى التصدى لخطر الأتراك العثمانيين^(١) فضلاً عن أمر وحدة الكنسيتين الشرقية والغربية فى مجمع كنسى يعقد بالقسطنطينية. ولكن نظراً للظروف الصعبة التى كان يمر بها الغرب الأوروبى حينذاك فقد أصبح اجتماع اليونانيين واللاتين فى مجمع كنسى واحد أمراً صعب التحقيق . كما أن هذا العمل يستلزم سنوات طويلة ليتم تحققة فى وقت استطاع الأتراك تدعيم مركزهم .

(١) Gill: Greeks and latins in a Common Council, The council of florence, 1438- 1439, O.C.P, Roma, 1959, P. 272.

- البابا مارتن الخامس Martin V، تولى منصب البابوية بين عامى " ١٤١٧ - ١٤٣١م" وعندما تولى منصبه فى روما كانت تعاني من حالة مقفرة بسبب نهب اللصوص وتخريب الجسور والعديد من الكنائس، ولقد نجح مارتن فى إنقاذ روما من أولئك اللصوص وقام بترميم كنيسة سانت بطرس St. Peter، التى تكلفت ما يقرب من خمسين ألف قطعة ذهب صافية ، كما نجح فى القضاء على الثورات داخل مدينة روما وبعد واحداً من القادة المصلحين فى روما وتمتعت بابويته بالسلام بعد سنوات من سفك الدماء والنزاع بين أحزاب الشعب فى المنطقة وداخل أسوارها ، ومع مارتن بدأ عصر الإصلاح والتقدم. ولقد نقش على ضريحه عبارة " عهد النعيم " . ولقد أعد مارتن لعقد مجمع كنسى فى بازيل عام ١٤٣١، بعد سبع سنوات من مجمع قنسطنس ، ولكنه توفى فى نفس العام قبل عقد الاجتماع .

-Schaff, D .: History of The christian Church, New York, 1890, Vol.

VI, PP. 168- 169., Dictionnary Theologie Catholique, T, x,

PP. 198 -202.

على أية حال تعهد الإمبراطور البيزنطى حنا الثامن باليولوجوس بمباشرة التفاوض مع الغرب الأوروبى وعلى رأسه البابوية .

وذلك باعتباره نائباً عن يونانى الشرق، وبالفعل أرسلت أول سفارة عام ١٤٣١م للتفاوض مع البابا مارتن الخامس من أجل إنقاذ الشرق من خطر الأتراك، ولكن شاعت الأقدار أن توفى البابا قبل وصول تلك السفارة التى عادت إلى القسطنطينة مرة أخرى (١).

وفى نفس العام ، نجح السلطان العثمانى مراد الثانى فى الاستيلاء على مقاطعة أونايون، التى تقع على مقربة من طرابيزون (٢)، وأمام هذا الخطر الداهم حرص الإمبراطور حنا الرابع كومينيوس على تجهيز الاستعدادات الحربية اللازمة ترقباً لمهاجمة العثمانيين لطرابيزون. ولما كان هذا الأمر يتطلب أموالاً كثيرة عمل الإمبراطور حنا الرابع كومينيوس على تشجيع المدن التجارية الإيطالية لاستمرار تجارتهم فى طرابيزون وتخصيص تلك الإيرادات من أجل تحصين بلاده . فضلاً عن ذلك نجح فى إعادة العلاقات الودية مرة أخرى مع والجنوية حيث مدح قنصلها عام ١٤٣١م للإمبراطور حنا رداً على رسالة بعثت بها الحكومة الجنوية تطلب منه تدعيم أواصر السلام مع إمبراطور طرابيزون وأيضاً تطلب تجديد بناء قلعة الجنوية بها . كما تضمنت الرسالة تظلم الجنوية

(١) -Cill: Church Union Rome and Byzantium , London, 1979, Vol. XV, P. 255; Brehier: Op. cit; p. 490; Gill: Greeks and Latins, P. 272.

-Miller : Trebizond, P. 89.

(٢)

انظر أيضاً : تلماز أوزنوس، تاريخ الدولة العثمانية ، ج١، ص ١٣٠ .

بسبب رفض الإمبراطور ترضية قنصل الجنويين في كافا والذي تعرضت إحدى سفنه للنهب والسلب في ميناء طرابيزون منذ أربع سنوات سابقة. وأيضاً طالبت الإمبراطور بدفع الديون المستحقة عليه إلى اثنين من رعايا الجنوية التي حملت تلك الرسالة^(١). ولكن المصادر لم يرد بها ذكر شيء عن رد فعل الإمبراطور لما جاء في تلك الرسالة . ويرى الباحث أن الديون التي تطالب بها الجنويه، هي ثمن مساندتها لحنا الرابع في صراعه ضد أبيه حيث مدته بالسفن الحربية وبعد نجاحها في تحقيق هدفه بالاعتلاء على عرش الإمبراطورية ، بدأت في المطالبة بتنفيذ ما عليه من ديون لها.

وفي عام ١٤٣٢م . تعرضت طرابيزون لهجوم الأتراك الذين استغلوا الظروف التي تمر بها الإمبراطورية وتكبدت الإمبراطورية خسائر فادحة خلال هذا الهجوم،^(٢) لأن العاصمة حينذاك كان معظم سكانها من النساء والأطفال بعد ما أمر الإمبراطور حنا الرابع كومينيوس بترحيل أربعة آلاف مواطن عن العاصمة كما سبق الإشارة^(٣). وعلى الرغم من ذلك لم ينجح الأتراك في اختراق أسوار طرابيزون لحصانتها. ونظراً لأن أمر أفول وانهيار إمبراطورية طرابيزون أصبح واضحاً لجيرانها ، وقد شجع هذا الأمراء المسلمين ويدعى الشيخ دجوينيد، Djouneid الحاكم على منطقة أرتبيل Ertebil شرق

-Miller : OP. cit. P. 91 .

(١)

-Bryer: OP. Cit. Loc. cit .

(٢)

(٣) أنظر ما سبق ، ص ١٥٨ .

أذربيجان بالقرب من جبال أرمينيا، للقيام بمحاولة يهدف من خلالها فرض سيادته على مدينة طرابيزون، وذلك بعد سنوات قليلة من تولى الإمبراطور حنا الرابع لعرش الإمبراطورية الطرابيزونية، وبالفعل نجح الشيخ فى حشد قوات من سامسون ومدن أخرى ثم تحرك من أرتبيل و نجح فى فرض سيادته على مر كابانيون Kapanion الذى يقع على مقربة من أرتبيل، وذلك استعداداً لرحفه على طرابيزون بقواته. وربما استغل الظروف والضغط التى تعاني منها طرابيزون من هجمات الأتراك وعدم تأكد الشعب من شرعيه حكم حنا الرابع . وعندما أدرك الإمبراطور حنا خطورة الموقف قام بحشد قوات برية وبحرية عسكرت بالقرب من دير القديس فوقاس، ثم سرعان ما تقدم الإمبراطور وقواته إلى منطقة كابانيون Kapanion حيث اعتصم الأعداء، فى أن يقضى على الشيخ وقواته مستخدماً أسطوله فى معركة بحرية . لكن الطرابيزونيين بقيادة دوق مسخدن Mesochdian ، الذى أسند إليه الإمبراطور أمر قيادة هذا الهجوم^(١) . قد اشتبكوا مع المسلمين فى وقت لم يكن مناسباً ويرجع ذلك لهبوب رياح شديدة منعت أسطول طرابيزون من مسانده القوات البرية ، فانتهاز الشيخ ورجاله تلك الفرصة وانقضوا على قوات الإمبراطورية، وراح ضحية هذه المعركة ما يقرب من ثلاثين مقاتلاً من طرابيزون ، بينما تمكن البعض من الهرب

Cholcoco ndylae: Op. Cit, PP. 464 -465 .

(١)

- وبالنسبة إلى منطقة Mesochdian، لم تذكر المصادر شيئاً عن موقعها . وتقع غالباً على مسافة قريبة من منطقة أرتبيل Ercebil ، وبأعلى أرمينيا .

ليدحقوا بإمبراطور، الذى نجح فى الفرار هو الآخر على متن إحدى السفن إلى العاصمة طرابيزون. وحينئذ تقدم الشيخ وأقام معسكراً أمام ديرسانت فوقاس، الذى سبق وعسكر فيه الإمبراطور حنا من قبل، ونجح فى أسر عدد كبير من الطرابيزونيين ثم أمر بقتل بعضهم، ولعله أراد بذلك أن يلقن الشعب الطرابيزونى درساً إذا اعترض تقدمه فيما بعد . وبدأ فى مهاجمة العاصمة بشدة وعنف، ومما يفسر ذلك لجوء السكان للاحتباء بالقلعة الداخلية لطرابيزون^(١). ويذكر أن سيدة يونانية خشيت على حياتها فحملت متاعها ليلاً وتركت خلفها فحماً مشتعلأ فأحرق منزلها وباقى المباني المجاورة ولقد كانت لتلك النيران التى اشتعلت آثار مروعة فى قلوب السكان الذين اعتقدوا أنها من فعل الأعداء فلاذ جميع القادة والأمراء بالفرار نحو ايبيريا الواقعة بالقرب من جبال قزوين تاركين الإمبراطور بمفرده مع نفر من رجاله وما يقرب من خمسين فارساً . وقد رأى الشيخ فى قراره أن تلك الظروف التى تتعرض لها المدينة سوف تسهل من محاولته للاستيلاء عليها ، لكنه فشل فى تحقيق هدفه نظراً لحصانه أسوارها. وعندما يئس من اقتحام تلك الأسوار رحل متجهاً إلى مقاطعة مسخدن التابعه لامبراطورية طرابيزون، حيث أغار عليها الشيخ انتقاماً لفشله فى اقتحام طرابيزون ، وفاز بأغنام وأسلاب عديدة ، فضلاً عن عدد كبير من الأسرى جعلهم عبيداً له. وبعد مغادرة الشيخ لأسوار العاصمة طرابيزون عاد الأمراء الفارون فقابلهم الإمبراطور حنا الرابع مقابلة سيئه ولقد

Chacocondylae: op. cit, Loc. cit.

(١)

أتهمهم بالخيانة لتخليهم عن الدفاع عن بلادهم^(١).

وفى عام ١٤٣٢ م، أراد الإمبراطور حنا الرابع تقوية وتأمين جبهته الداخلية لمواجهة الأخطار الخارجية ، فقام بمحاولة لكسب عطف وتأييد الشعب الطرابيزونى لحكمه بتجديد بناء الأديرة وإعادةها إلى حالتها السابقة كما سبق وفعل جده الإمبراطور الكسيوس الثالث^(٢).

وقد أدت تهدئة الأمور داخل الإمبراطورية بين الإمبراطور وشعبه إلى استمرار حركة التجارة من وإلى طرابيزون، ويتضح ذلك من استيراد البنادق عام ١٤٣٤م لبعض المنتجات من طرابيزون مثل الأعشاب ، والبهارات، والفلفل، مع الإشارة إلى قلة تصدير طرابيزون للعسل التى اشتهرت به، ويرجع ذلك لصعوبة نقله وعدم حرص التجار على تصديره^(٣).

وأصبح أمام الإمبراطور حنا الرابع الخطر الجسيم الذى يتمثل فى الأتراك العثمانيين ، الذين لم يغفلوا لحظة عن فكرة القضاء على العالم المسيحى ، بالرغم من دخول السلطان مراد الثانى فى مصاهرات زيجية مع الصرب وطرابيزون ، عندما تزوج مراد من الأميرة ماريا Maria، ابنه طاغية الصرب

(١) Chalcocondylae: op. cit, PP. 466., CF, Hertzbergs: Storia Bizanti- ni E D' ell Impero ottoman, P. 781.

(٢) -Bryer: The estates of The Empire of Trebizond, P. 424; Miller : op. cit, P. 99.

-Bryer : op. cit, PP. 386 - 387.

جورج برانكوفيتش ، وفى الوقت نفسه زواج ابنه من شقيقة الإمبراطور حنا الرابع، ولقد رتب لتلك الزيجية منذ عام ١٤٣٣م، وتمت بالفعل بعد ذلك التاريخ بعامين ولقد أجبر برانكوفيتش على ذلك، عندما وجد أنه لا طاقة له بقوة مراد الثانى ووافق على دفع الجزية السنوية إليه وقدرها خمسون ألف دوكايتة من الذهب ، إلى جانب ما تقدمه الصرب من فرقة حربية لمساعدة العثمانيين فى حالة قيام أية حروب تتعلق بالسلطان مراد، بالإضافة إلى قطع علاقة الصرب مع المجر ، والتنازل للعثمانيين عن قطعة من أرضهم^(١) ، وعندئذ شعر الإمبراطور حنا الرابع كومينيوس بالخطر يلوح فى الأفق حول إمبراطوريته ، بعد ما رأى الشروط المجحفة التى فرضها العثمانيون على صهره حاكم الصرب . لذلك دأب حنا الرابع كومينيوس على الاتصال بالبابا إييجينيوس الرابع Eugionus IV، فأرسل إليه رسالة عام ١٤٣٤م ، وقت انعقاد المجمع الكنسى فى بازيل رداً على رسائل قد بعثها البابا اييجينيوس من قبل إلى طرايزون . وقد تضمنت الرسالة دعوته من الإمبراطور لتوحيد الكنائس الشرقية والغربية للوقوف أمام خطر الأتراك العثمانيين، معلناً عن استعداداته لتحقيق هذا الاتحاد، وختم تلك

(١) -Nicol: The Byzantine Family, PP. 210- 211; Nicol: The Byzantine Lady Ten Portraits, PP. 6, 111.

- انظر أيضاً : اسماعيل سرهنك ، المصدر السابق ، ص ٣٢ - ٣٣ ؛ محمد فريد : تاريخ الدولة العليا العثمانية ، ص ١٥٤ .

الرسالة بالدعاء إلى البابا ليساعده الله فى تحقيق غايتهم^(١) .

(١) Mansi,J.: Sacrorum conciliorum nova et amplissimo Collectio Paris, 1904,T. XXIX, PP. 648- 649; Wadding ,Annle Minorum, Vol. VI, P. 227; Encyclopeidia Amricana, New York, 1892, Vol . 3. P. 309.

- راجع أيضاً ، الملحق الأول ، ص ٨٣ .

- إيجينيوس الرابع Euginous IV، ولد إيجينيوس فى فينسيا عام ١٣٨٣م . كان من قبل مطراناً للكنيسة التى شكلت المجمع الكنسى فى بازيل - تولى منصب بابا روما عام ١٤٣١م بعد وفاة البابا مارتن الخامس . وبعد أن ارتقى عرش البابوية كانت تتسم علاقته بطابع الجفاء مع العديد من المدن الإيطالية بما فيها روما، الأمر الذى دفعه إلى الهرب منها عام ١٤٣٤م ثم إليها مره أخرى عام ١٤٤٣م. ولقد استمر فى الاتصال بالإمبراطور البيزنطى حنا الثامن باليولوجوس وكذا إمبراطور طرابيزون بهدف توحيد الكنيستين الشرقية والغربية . ولذلك قام البابا بنقل المجمع الكنسى من بازيل إلى فيرارا ثم فيما بعد نقل إلى فلورنسا وذلك عام ١٤٣٩م، ولكن سرعان ما توترت العلاقة بين الكنيستين وازدادت رغبة البابا فى السيطرة على بطريركية القسطنطينية، و أنتهى الأمر بوفاة البابا فى روما عام ١٤٤٧م.

Creighton, M. : Ahistory of The Papacy , Vol . II New York , 1897, PP. 232- 235; O.D.B. Vol, I P. 744.

- وبالنسبة إلى مجمع بازيل ، الذى كان منعقداً أثناء مفاوضات اليونانيين مع البابوية . فقد تم افتتاح المجمع فى مارس ١٤٣١م ودعا إليه البابا مارتن الخامس قسباً مع القرار الذى اتخذ فى مجمع قنستنس بإجتماع الكنيسة فى مجامع كنسيه دورية على فترات . ولقد بدأ المجمع تحت رئاسة الكردينال جيلان قساران Giulian Cesarin وكانت هناك مشكلات عديدة أجبرت الكنيسة على عقد مجمع بازيل ، منها إفراط البابوية فى فرض الرسم والضرائب مما أدى إلى انتكاس رايات الاكليروس وأعتقد الكثيرون أن الكنيسة بحاجة إلى الإصلاح والتقويم من رأسها للأعضاء فضلاً عن تهديد الأتراك العثمانيين للإمبراطورية الشرقية . وبعد بضعة أسابيع من بداية المجمع توفى مارتن الخامس ليخلفه البابا إيجينيوس وربما خشى عدم قدرته فى السيطرة على المجمع، ولقد انتهى الأمر بأن فض المجمع بسبب عدم الثقة بين البابا وأعضاء المجمع الذين دعوا إيجينيوس للحضور إلى بزيل ولكنه رفض فأعلن المجمع عصيان البابا وقرده ، فاضطر البابا إلى سحب قراءه الذى أصدره ضد المجتمع. وعندئذ أصدر المجمع بعض القوانين والتشريعات من وجهة نظر البابا ضد البابوية وظل=

ويتضح من مضمون هذه الرسالة وجود تبادل للرسائل بين الإمبراطور حنا الرابع كومينيوس من جانب والبابا فى روما من جانب آخر ، تدور حول توحيد الكنائس تحت زعامة الكنيسة الغربية لحماية الشرق من خطر الأتراك الدايم .

وجدير بالذكر ، فقد تتابعت المفاوضات بين اليونانيين و البابا حتى خريف عام ١٤٣٧م ، والتي استغرقت أكثر من ست سنوات لإزالة صعوبات كثيرة لامفر منها شاركت طرابيزون خلالها الأمر الذى دفع البابا إيجينيوس الرابع إلى اختيار المدينة التى ينعقد بها المجمع الكنسى من أجل توحيد الكنائس ، خاصة بعد فشل مجمع بازيل فى تحقيق ما يصبوا إليه البابا . وعندئذ طالب إمبراطور بيزنطة حنا الثامن باليولوجوس بإنعقاد المجمع القادم فى إحدى المدن الإيطالية، كما أعلن صراحة على البابا عن حاجة اليونانيين بما فيهم طرابيزون إلى مساعدة مالية تعوضهم عن تكاليف رحلة السفر التى سوف ترهقهم مادياً وتعوق حضورهم إذا ما عجزوا عن التدبير المادى اللازم لتلك الرحلة ، ولقد وجدت مطالب الإمبراطور حنا الثامن صدى لدى البابا ، الذى أرسل عام ١٤٣٧م سفيرين إلى القسطنطينية باعتبارها قائدة الشرق نحو فكرة الاتحاد بين الكنيستين . وفى الوقت نفسه رتب البابا لنقل المجمع الكنسى من بازيل إلى فيرارافerrara. ولم يغفل أيضا رجاء الإمبراطور حنا الثامن وأعضاء

= فى تعنده حتى عام ١٤٣٧م حيث أصدر قراراً بنقل المجمع إلى فيرارا .

-Schaff: op. Cit, PP, PP- 167- 172; Encyclopedia Americana, Vol . 3, P. 309.

الأكليروس اليونانى فيما يخص الناحية المادية، وقام بدفع حوالى سبعة آلاف فلورينز شهرياً لإعانة الإمبراطور وضيوفه^(١)، وكان نصيب سفراء طرابيزون الموفدون إلى المجمع الكنسى بفيرارا نحو ثلاثة وثلاثين فلورينز بالإضافة إلى أكثر من ستة وتسعين فلورينز من أجل السكرتير الأول للسفارة الطرابيزونية، والذي يعد أيضاً مبعوثاً للإمبراطورية الطرابيزونية ويدعى دورثيس الأول Dorothes I أحد مطارنة طرابيزون ، وذلك المبلغ أعد لإحتياجاته هو ورفاقه

Miller : Trebizond, P. 90; Kretschmar: The councils of the Church, (١) Philadelphia, 1906, P. 226; Brehier, Op. Cit, PP. 490- 491; Finlay: Op. cit, vol. III, P. 493; Gill: Church union, Rome and Byzantium, P. 255; William, D. Halsay: Collier Encyclopedia, London, New York, 1986 vol. 9, P. 669. Norman- Tanner: Decrees of Ecumenical, vol . I, P. 523; Vasiliev: op. cit, T. II, P. 371.

- انظر أيضاً : كامل نخله : سلسلة تاريخ البابوات، الطبعة الأولى ، مطبعة السيده العذراء السريان، القاهرة، ١٩٥٣، ص ١١ - ١٧.

- فيرارا Ferra، وهى مدينة فى إميليا Emilia ، شمال إيطاليا ولقد ظهرت هذه المدينة فى وقت مبكر من القرن السابع الميلادى . وفى ذلك الوقت كانت القلعة التى شيدت على الضفة اليسرى من البر "Thepo". كيفما كان الأمر ، فى عام ١٤٣٨م، حضر الإمبراطور حنا الثامن باليولوجوس إلى فيرارا . ولقد كان لهذه المدينة دور لاينسى، فقد أيدت البابوات خاصة جريجورى السابع ضد هنرى الرابع فى جرمانيه، كما كافحت فيرارا لقرون عديدة ضد السيادة الأكليركيه فى رافينيا Ravenna وأيضاً الادعاءات السياسية فى البندقية . ولقد استهل البابا إيجينيوس الرابع وجعل منها مقراً للمجمع الكنسى فيرارا - فلورنسا .

O.D.B. vol . II. P. 783.

وهذا دليل على سوء الأحوال فى طرابيزون ، ولقد أصطحب الإمبراطور حنا الثامن باليولوجوس ما يقرب من سبعمائة يونانى بما فى ذلك المبعوثين الطرابيزونين إلى المجمع الكنسى فى فيراراً . ولقد احتل دورثيس المركز الخامس بين رجال الدين اليونانى بعد بطريك القسطنطينية كما حضر بعض النواب من بطاركة الاسكندرية، وانطاكية، وبيت المقدس، وجورجيا^(١).

ولقد دارت مناقشات حاده حول إجازة قانون الإيمان على صورته الأخيره بإضافة كلمه فيليكو Filioque " الابن " إليه. وفى تلك الأثناء تفش مرض الطاعون فى فيراراً ، الأمر الذى ترتب عليه إصرار البابا إيجينيوس على نقل المجمع إلى مكان آخر^(٢).

Atayi. A.: The coptic Encyclopedia, New York, 1973, vol. 4, (١)
PP.118-119; Kretschmar : op . cit. loc. cit; Miller: op . cit, loc; Norman
Tanner : Decrees of Ecumenical councils, vol . I, P. 480, 506.

Norman-Tanner: op. cit, vol. I, PP. 514 -522; Brehier: op. cit. (٢)
Loc . cit; Franzius: History of Byzantire Empire Mother of Nation,
PP. 417- 418 ; O strogorsky: History of Byzance state, pp. 499-

500;Gill: cit. Loc. cit; Gill:The councils of the Church, PP. 226 - 227;
Fatula , M. H.: the council of Florence and Pluralismin Dogma, one in
christ, Columbus, Ohio, 1983, pp. 14-27; Gill: The Sourcec of Acta of
the council of florence, Cf, O.C.P. Rome, 1978, vol. XV, pp.43-79.

- الابن Filioque ، إن إضافة تلك الكلمة إلى قانون الإيمان النيقاوى القسطنطينى عند الحديث عن
انبثاق الروح القدس يقال " نعم نؤمن بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الأب ... " ورغم أن هذا
هو السبب الأساسى للإشتقاقات بين الكنائس إلا أنه توجد أيضاً أسباب أخرى كثيرة بعضها لأسباب
لاهوتية والبعض الآخر لأسباب سياسيه وثقافية . كما أن جذور هذا الانشقاق بدأت منذ عدة قرون=

وقد واكب إنعقاد المجمع الكنسى ، زيارة الرحالة الاسبانى طافور إلى عدة مدن ومنها القسطنطينية وطرابيزون وقد قابل خلالها الإمبراطور الطرابيزونى الإسكندر والذى نفى من العاصمة بعد حادث مقتل ابيه الكسيوس الرابع كما سبق الإشارة^(١) حيث التقى به عند جزيرة مالطة التى تخضع لجنوية، تحدث معه عن مصهرته لهم بينما استفسر الإسكندر منه عن أحوال طرابيزون والتى كانت تبدو معروفة لديه ،لقد رأى طافور الرغبة السياسية للإسكندر ، والذى قام بتجهيز سفن حربية من مالطه وأظهر عداؤه ضد شقيقه إمبراطور طرابيزون حنا الرابع كومينيوس، الأمر الذى زاد من خوف الإمبراطور حنا الرابع خشية تكوين اتحاد بين البيزنطيين والجنوية من أقارب الإسكندر، والقيام بعمل مشترك ضد إمبراطورية طرابيزون، لكن الحكومة الجنوية عندما أدركت خطورة

= قبل القرن الحادى عشر الميلادى وأخذت تزداد وتتمو حتى أدت إلى قطع الشركة بين الكنيستين وقد تعمق الانشقاق بعد ذلك القرن، وبلغت القطيعة ذروتها فى القرن الثالث عشر الميلادى بسقوط القسطنطينية فى أيدي اللاتين، وصار كرسى القسطنطينية لا يحمل فقط خلافاً لاهوتياً بل حرومات متبادلة مع كرسى روما . وأثناء ذلك الاحتلال كان الخلاف ثم الانشقاق بين كرسى القسطنطينية وروما عاملاً أساسياً من العوامل التى أضعفت الإمبراطورية البيزنطية ومهدت لسقوطها فى أيدي الأتراك العثمانيين. ولقد ازدادت الخلافات اللاهوتية نتيجة لضعف الاتصال وعدم دقة الترجمات للكتاب المقدس .

- سراييون : مجلة الكرازة ، العدد ٣١، ٣٢ ، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٧-٨ ؛ موريس تاضروس وآخرون: " نحو نص عربى موحد لقانون الإيمان النيقاوى - القسطنطينى " الاسكندرية ، ١٩٨٨ ، ص ٤١-٤٢ ؛ اسحاق مسعد: نشأة الطوائف فى المسيحية ، القاهرة ، د.ت ، ص ٤٠ - ٤٤ .

(١) أنظر ما سبق ، ص ١٥٧ ،

الموقف ، أرسلت إلى دورينو جاتيلوزيو ، حاكم لسبوس ووالد زوجة الإسكندر فى نفس الوقت لاقناعه بالمحافظة على السلام مع إمبراطور طرابيزون، فى ذلك الوقت وأعلنت عزمها على تقديم المساعدات اللازمة لتحقيق هدفه إذا اقتضى الأمر، ولكن الظروف لا تسمح للقيام بمثل هذا العمل^(١)، ويرى الباحث أن المصادر المعاصرة لم تذكر أية محاولة من الإسكندر لاسترداد عرش طرابيزون، بينما يرجح فيما يخص موقف الجنوية والذي يتسم بالسلبية إلى رغبة الإيطاليين عدم التأثير بذلك على المجمع الكنسى المنعقد فى فيرارا، وفضلوا الترتى لحين تتكشف الأمور.

وكيفما كان الأمر ، مكث طافور فترة قصيرة بمدينة فيرارا قابل خلالها الإمبراطور حنا الثامن باليولوجوس . وفى ذلك الوقت واجه البابا إيجينيوس عدة مشكلات تتمثل فى انتشار الأمراض فى فيرارا، إلى جانب مشاكل تتعلق بالنواحى المالية اللازمة للانفاق على هذا المجمع وعدئذ عرضت مدينة فلورنسا Florence استقبال المجمع الكنسى داخل أسوارها "١٤٣٨ - ١٤٣٩ م" . وكان مجمع فلورنسا بمثابة الفرصة الأخيرة المتاحة لاتحاد الكنائس بين الشرق والغرب ، وتعود الأهمية الكبرى التى نالها ذلك المجمع إلى سببين ، الأول رغبة البابوية فى إتمام اتحاد كنسى فى الشرق والغرب تحت سموها مما يساعد على خفض الأصوات المعارضة لها داخل كينسة روما ، ثانيا، كان ذلك المجمع

(١) -Miller: Trebizond, PP. 91- 94; Vasiliev : Pero Tafur, B., PP. 101, 107.

أنظر أيضا : طافور ، رحلة طافور فى القرن الخامس عشر الميلادى ، ترجمة / حسن حبش، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨، ص ١٣٢-١٣٣ .

بمثابة طوق النجاة والفرصة الأخيرة للقسطنطينية وطرابيزون لدرء خطر الأتراك الذى يهدد سقوطهما فى أى لحظة . ولذلك قام الإمبراطور حنا الثامن بكبح حرية التعبير لرجال الدين اليونانيين بسبب رغبته فى إيجاد الوحدة بين الكنائس فهى وسيلة للحصول على مساعدة تخلصهم من خطر الأتراك (١) .

(١) Geonitoptos , J.: Church, Society and Cuiliaztion, Through cen-
tery ages, London, 1984, P. 221; Brehier: Europein the Medieval ages,
P. 495; Gill: Church union , PP. 260- 261; Nicol: The Byzantine Family
P. 237; Ostrogorsky: Op. cit, Loc. cit; Vasiliev: Histoire de L' Empire
By zantin, T, II, PP. 372- 373; Nicol: The By zantine Lady Ten Por-
traits, PP. 98 - 99, 120; O.D.B. Vol . I, P. 783.

- أنظر أيضاً: هانز ماير: تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة/ عماد الدين غانم، منشورات مجمع الفتح
للجماعات، ليبيا ١٩٩٠، ص ٢٩٤ : محمود عمران ، معالم التاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص
٣٦٤ ؛ إيزيس المصرى : قصة الكنيسة القبطية الطبعة الثانية ج٣، القاهرة، ١٩٧٥ ، ص ٤١-٤٧ .
- فلورنسا Florence ، هى مدينة فى تسكانيا Tuscany: تبدو كمستعمرة صغيره بالقرب من
دونيوسوس Dionysios ولقد شهدت فلورنسا المجمع الكنسى بعد نقله من فيرارا بسبب تفش
الأمراض . ولقد واجه هذا المجمع معارضة وتنافساً من الجانب البيزنطى بينما كانت البابوية تنظر
بإذراء لفقر الإمبراطورية البيزنطية واستغلت ذلك من أجل فرض رئاستها السياسية على الكنيسة
الشرقية . وفى النهاية وضع تصور للاتحاد وقع عليه الإمبراطور حنا الثامن باليولوجوس وبطريك
الكنيسة البيزنطية، ولكنه رفض من الكنيسة والشعب. وبعد ذلك انتقل المجمع الكنسى إلى روما عام
١٤٤٢ م وعاد الشقاق بين الكنائس ومازال قائماً حتى وقتنا هذا ومازاده تعقيداً ، ما قامت به
الكنائس الغربية من إدخال تعاليم غريبة على معتقدات وتقاليد الكنائس الشرقية .

Halsey: Collier EncycLopedia, P. 669 .

انظر أيضاً : كامل نخلة ، سلسلة تاريخ البابوات ، القاهرة ١٩٠١ ، ص ١٧ .

ولقد انتهى المجمع الكنسى فى فلورنسا باتحاد الكنيستين الشرقية والغربية وجعل زعامة العالم المسيحى للكنيسة الغربية باعتبارها المفوضة فى الأمور اللاهوتية وأيضاً السياسية ، ولقد وقع على هذا الاتحاد بطريرك القسطنطينية، وأجبر المطارنة الشرقيين على التوقيع على قانون الاتحاد تحت ضغط من الإمبراطور حنا الثامن . فأصبح الاتحاد سارياً من الناحية الرسمية فقط لكن من الناحية الفعلية واجه معارضة شديدة من شعوب الشرق الذين رفضوا ما جاء بهذا المجمع (١).

على أية حال ، لم يكن لمجمع فلورنسا رد فعل على السلطان مراد الثانى ليثنيه عن فتوحاته التى أخذت تتسع على حساب الدويلات المسيحية حيث قام بغزو ترانسلفانيا عام ١٤٣٨م. وانتزع من الصرب منطقة سميندريا Semendria عام ١٤٣٩م ، وأجبر طاغيته جورج برانكوفيتش على الفرار إلى راجور Raguse ، وهاجم الفلاخ Vladislas ، وبلاجونيا " ١٤٣٩ - ١٤٤٠م " (٢).

(١) Geonoiptos: Church, Society , P. 224; Kretschmar: Op. Cit, PP. 226, 231; Gill: Church Union, PP. 235, 250, 226; Brehier: op. cit, P. 497.

- أنظر أيضاً : موريس تاضروس ، المرجع السابق ، ص ٩٠.
(٢) Gibbons: The foundation of Ottoman Empire, P. 162; Brehier: op. cit, P. 500

- ترانسلفانيا ، معناها البلاد الواقعة فيما وراء الغابات ، أطلق عليها أهالى النمسا هذا الاسم لوجود غابات كثيفة تفصلها عنها . وهى من أهم أقاليم مملكة النمسا .
محمد فريد : المرجع السابق، ص ١٥٦
وأما مدينة سميندريا بالقرب من بلغراد وهى مدينة حصينة واقعه على نهر الطونة وتبعد خمسة =

كيفما كان الأمر زادت خطورة النفوذ التركى على المنطقة، ولم يكتف السلطان مراد الثانى بذلك بل أرسل سفناً حربية لتخريب طرابيزون وإخضاعها بقدر المستطاع وفى عام ١٤٤٢م أصدر السلطان مراد أوامره بالتوجه إلى داخل البحر الأسود ليفاجئ طرابيزون بالهجوم ، وإذا فشلت تلك المحاولة فعلى الأسطول التركى شن هجوم آخر وتخريب البلاد ونقل ثروته الإمبراطورية الطرابيزونية ، مما يسهل عليه مهمة إخضاعها نهائياً فيما بعد. ونظراً لحصانة أسوار طرابيزون فقد فشل هجوم الأتراك عليها ، الأمر الذى دفع الأتراك إلى مهاجمة على مناطق عديدة من الشاطئ وقاموا بنهب وتدمير المنازل وأسروا عدداً كبيراً من الشباب والنساء وقاموا ببيعهم فى أسواق العبيد فى بروسه وأدرينابول. وعندئذ لم يفكر السلطان التركى فى القيام بمحاولة بحرية أخرى^(١) بينما يذكر ميللر، أن السلطان مراد الثانى أرسل سفناً لتخريب مدينة طرابيزون ، حيث هاجم الأسطول شاطئها وهو فى طريقه إلى القرم ولكن عند

= وأربعين كيلو مترا من بلغراد عاصمه الصرب ولها أهمية حربية كبيرة .

محمد فريد : المرجع السابق، ص ١٣١.

- أما راجور Raguse هى الآن بلدة يوغوسلافية وتسمى اليوم دوبروفنيك Dubrounik وتقع على

شاطئ البحر الأدرىاتى وهى قلعة مبنية على شاطئ البحر .

محمد فريد : نفس المكان.

- أما الفلاخ ، كان الأتراك يطلقون عليها "أفلاق" وهى إمارة من إمارات الدانوب ظهرت فى القرن

الثالث عشر الميلادى . وأصبحت منذ عام ١٣٩٦ تابعة للدولة العثمانية .

- محمد فريد : نفس المكان .

(١) -Phrantzes: op. cit, P. 211;CF also, Finlay: op. cit, vol, IV, P. 400.

عودة الأسطول هبت رياح شمالية دفعتة إلى شاطئ هراقيا البونطس، مع خسائر عديدة فى سفنهم ولم تتكرر المحاولة مرة أخرى ، ربما لأن الوقت لايسمح لضم طرابيزون إليه^(١) .

ويرى الباحث إنه بالرغم من اختلاف كيفية هجوم الأتراك العثمانيين على طرابيزون ، إلا أنه من المتفق عليه أن تلك المحاولة كانت بحرية وحدثت عام ١٤٤٢م وانتهت بفشل الأتراك فى اقتحام المدينة . كما لم يحاول السلطان إعادة تلك المحاولة لانشغاله بالتصدى للتكتلات الكاثوليكية ضد الأتراك كما سيتضح .

وفى العام التالى لهجوم الأتراك على طرابيزون . أرسلت الحكومة الجنوية رساله إلى الإمبراطور حنا الرابع كومينيوس تناشده بإعادة الصداقة التى ترجع إلى عهد أجداده وبين الجنوية، وفى نفس الوقت أوضحت تظلما من سوء معاملة الجنوية من قبل الشعب الطرابيزونى ومطالبته بتحسين معاملة الجنوية،^(٢) إلا أن المصادر لم تذكر شيئا عن رد إمبراطور طرابيزون على تلك الرسالة .

وفى تلك الأثناء ، عام ١٤٤٤م اتحدت بعض الدول مثل المجر ، بولونيا،المانيا، وفرنسا، والبندقية ، وبيزنطة، والبابوية وألفت حملة حرة . هدفها القضاء على الأتراك العثمانيين وتخليص اليونانيين بما فى ذلك

-Miller: op. cit, PP. 84- 85.

(١)

Ibid, P. 91.

(٢)

طرابيزون من أيديهم ، وبالفعل دخل الجيش المتحالف تحت قيادة حنا هوينادى إلى تركيا ونزل على ساحل البحر الأسود واقترب من فارنا Varna حيث التقى جيش الحلفاء بالقوات التركية ، ولقد أسفرت تلك الموقعة عن هزيمة جيش الحلفاء وانتصار العثمانيين بزعامة السلطان مراد الثانى . ويرى الباحث أن هذه الموقعة كان لها أهمية كبرى بالنسبة لطرابيزون تمثلت فى أغفال السلطان العثمانى أمر الاستيلاء على طرابيزون نظراً لانشغاله فى متابعة فلول الهارين ومحاربتة لقائدهم حناهوينادى^(١).

(١) -Franzius: History of Byzantine Empire, P. 419; Diehl: Histoire de L' Empire Byzantin, P. 206; Vasiliev: op . cit, T. II, P. 334; Ostrogorsky:op. cit., P. 502; Babinger: Mehmed the conqueror and his time, London,1936, P. 32-42; Nicol: last centuries of Byzantium, Cambridge, 1993, PP. 361, 363; Nicol: The Byzantine lady; P. 113.

- أنظر أيضاً ، اسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٣٦ - ٣٧؛ تلماز أوزتوس : المرجع السابق ، ص ١٢٣ - ١٢٦؛ محمد فريد : المرجع السابق ، ص ١٥٦ - ١٥٨ ؛ احمد مصطفى : المرجع السابق ، ص ٦٤ - ٦٦ ؛ محمود عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٣٦٤.

- أما بالنسبة للقائد حناهوينادى ، فقد ولد عام ١٤٠٠م وعينه لارسلاس ملك بولونيا والمجر حاكماً على إقليم ترنسلفانيا ، واشتهر بمحاربتة للعثمانيين . وينتمى هوينادى إلى أحد الأسر المجرية . توفى عام ١٤٥٦ م على إثر جرح أثناء دفاعه عن مدينة بلغراد عند محاصرة السلطان محمد الثانى لها . - محمد فريد : تاريخ الدولة العليا العثمانية ، ص ١٥٦ .

- أما بالنسبة إلى فارنا Varna ، هى أدوسوس Odessos القديمة ، مدينة على الشاطئ الغربى للبحر الأسود . ولقد احترقت المدينة فى القرن السابع الميلادى على أيدي الآفار أو السلاف وفى القرون التالية تذكر فارنا كإسم جغرافى - النهر فارانا أو الشاطئ فاران . وفى القرن العاشر الميلادى =

وجدير بالذكر ، ساءت العلاقات السياسية بين طرابيزون والجنوية خلال تلك الفترة ، وأصبح الأمر مهدداً بقيام الحرب بين الطرفين بسبب اصرار الإمبراطور حنا الرابع كومينيوس على زيادة قيمه الضرائب المفروضة على السلع التى يستوردها الجنوية من بلاده ، وفى الوقت ذاته هددت الحكومة الجنوية بزيادة الضرائب التى تفرضها على السلع التى تستوردها طرابيزون من منطقة القرم وتانا التابعتين للجنويه، وربما ترجع رغبة الإمبراطور فى إزدياد الضرائب على السلع الجنوية إلى تعرض الإمبراطورية لأزمة مالية أراد تخطيها عن طريق زيادة القيمة الضريبية ليضمن بذلك زيادة دخل الإمبراطورية وتلافى تلك الأزمة . ومما يدل على صحة هذا ، أن الإمبراطور حنا الرابع كومينيوس قد استدان فى عام ١٤٤٦م من أحد البنوك الجنوية مبلغ يقدر سبعة عشر ألف وسبعة وسبعين فلورينزا، ولم يستطع سداد المبلغ إلى البنك^(١) . فضلاً عن ذلك فهناك دليل آخر على تلك الأزمة المالية يتمثل فى الإعانة المادية التى منحها البابا إيجينيوس الرابع إلى رجال الدين فى طرابيزون ليتمكنوا من حضور المجمع الكنسى فيرارا - فلورنسا كما سبق الإشارة^(٢) .

= أخضعها حنا الأول تزميسكس John I Tzimiskes ولقد بنى قلعه قارنا البيزنطيون ، وتطل على جرف صخرى يطل على البحر وذلك فى القرن الحادى عشر أو الثانى عشر الميلادى وترجع أهميتها إلى كونها قاعدة دفاعية هامة . وفى القرن الثالث عشر والرابع عشر كانت قارنا ميناء هاماً فى إمبراطورية البلغار الثانية . وفى عام ١٣٨٩م استولى الأتراك العثمانيين عليها . وفى عام ١٣٩٩م أغار عليها التتار . وبالقرب من فارانا هزم الأتراك العثمانيون جيش التحالف المسيحى عام ١٤٤٤م .

O.D.B . vol . III, P. 2153.

(١) -Bryer:The estates of the Empire of Trebizond, PP. 372, 384 .

(٢) أنظر ما سبق ، ص ١٦٩ .

وفيما يبدو ، فإن الإمبراطور حنا الرابع كومينيوس أصر على موقفه من الجنوية وتحدى بذلك الاتفاقيات والمواثيق المبرمة معهم ، كما اشتد الشعب الطرابيزوني في معاملته السيئة لهم . الأمر الذي دفع الحكومة الجنوية إلى إرسال مذكرتين إلى الإمبراطور حنا الرابع عام ١٤٤٧م تضمنت المذكرة الأولى لهجة شديدة ورد بها تظلم الجنوية من تعرضهم لعمليات السلب والنهب داخل الإمبراطورية، فضلاً عن نقض الإمبراطور للمعاهدات المبرمة بينهم، بينما تضمنت المذكرة الثانية طلب الحكومة الجنوية من الإمبراطور إرسال مبعوث من قبله ليتفاوض معها لإعادة السلام بينهما مرة أخرى . وبالفعل أرسل جورج أمويريتس Gorge Amoiroutzes وهو أحد أمراء طرابيزون ، إلى جنوه للتفاوض ومن خلالها وقد طالبت الجنوية بتثبيت كل الامتيازات الجنوية في طرابيزون، ودفع الديون المستحقة على الإمبراطور حنا الرابع إلى بنوكها، وتحقيق العدالة بين الرعايا الجنوية في طرابيزون من الأضرار التي لحقت بهم بسبب سوء معاملة الطرابيزونيين ، كما تظلمت جنوه من نقض المعاهدات المبرمة فيما بينهم وإستشهدت على بذلك برفض الإمبراطور حنا إتمام ترميم القلعة الجنوية في طرابيزون، فضلاً عن رغبته في زيادة الضرائب المستحقة على بعض السلع التي يستوردها الرعايا الجنوية لبلادهم . وأخيراً طالبت الحكومة الجنوية بتلبية مطالبها وهددت الإمبراطور بشن حرب على طرابيزون في حاله رفضه هذه الشروط ، وأن الحرب التي ستشنها على طرابيزون سوف تستخدم فيها حرب الأسعار . وذلك بزيادة الضرائب المقررة على هو ورعاياه الذين يعملون بتصدير النبيذ إلى كافا^(١).

-Miller: op. cit. Loc. cit; Vasiliev: op. cit, Loc. cit .

(١)

وجدير بالذكر غفلت المصادر عن ذكر أية معلومات عن رد الإمبراطور حنا الرابع على هاتين المذكرتين سواء أبالرفض أم الموافقة. بينما يرى الباحث أن هناك إشارة ربما يتضح من خلالها موقف الإمبراطور من شروط الجنوبية، وهي إرسال الإمبراطور حنا الرابع أسطوله الحربي في نفس العام ١٤٤٧م لإقامة مناقشات بحرية مع الجنوبية في كافا الأمر الذي يدل على أن الإمبراطور حنا الرابع رفض شروط الجنوبية وبدأ يتأهب لحربها^(١).

كيفما كان الأمر، يبدو أن انتصار الجيش العثماني على جيوش التحالف الأوروبي كان له رد فعل كبير على كل من إمبراطور القسطنطينية وطرابيزون وحكام البيلوينز ولسبوس، إذ أرسلوا في عام ١٤٤٨م مبعوثين من قبلهم إلى السلطان مراد الثاني لتقديم فروض الولاء والطاعة قبل أن يفكر في توجيه خطته التوسعية تجاههم^(٢).

Vasiliev: the Goths in the crimea, Cambridge Mass, 1936, P. 224; (١)
Iorga, N.:Notes et extraits pour servir a' L' histoire des Croisades au
XV Siecle, Revue de L' Orient latin,T.8, 1900- 1901, PP. 29- 31; Kur-
sanskis, La descen dance d' Alexis IV empereur de Trebizonde R.
E.B., P. 242

- أنظر أيضا : محمود عمران ، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية . ص ٣٦٥
- وفي عام ١٤٤٧م توفى الاسكندر شقيق الإمبراطور حنا الرابع ، تاركاً زوجته الجنوبية وولده في جزيرة مالطه .

-Chalcocondy lae: op. cit, P. 527.

-Finlay : op. cit. Vol . IV , pp. 497- 498 ; Franzius: op. cit, Loc. cit.(٢)
انظر أيضاً : اسماعيل سرهنك ، المصدر السابق، ص ٣٨؛ تليازاوزتوس ، المرجع السابق، ص ١٢٧-
١٢٨؛ محمد فريد ، المرجع السابق ، ص ١٥٩.

وفيما يبدو فإن السلطان مراد الثاني اكتفى بذلك حتى وفاته عام ١٤٥١م. وكان هذا النبأ بمثابة بشرى سعيدة بالنسبة للعالم المسيحي صفة عامه ولأباطره طرابيزون بصفة خاصة . ولعل ذلك يتضح أثناء زيارة فرانتس، رئيس حجاب البلاط البيزنطي، والمندوب عن الإمبراطور البيزنطي قنستنتيني الحادي عشر باليولوجوس .

Constantine XI Palaiologos "١٤٤٩ - ١٤٥٣م" إلى طرابيزون لقاءه بالإمبراطور حنا الرابع كومينيوس ومادار بينهما من حديث حول وفاة السلطان مراد الثاني . ولقد أظهر الإمبراطور حنا سعادته بهذا النبأ حيث رأى فيمن خلفه على العرش وهو محمد الثاني طفلاً من السهل إقامه صداقة معهم. كما كانت في أواخر عهد السلطان مراد الثاني، ولكن فرانتس رأى أن نبأ وفاة السلطان مراد الثاني يعد خبراً سيئاً بالنسبة لإمبراطوريته ، ووضح ذلك بأن السلطان السابق كان شيخاً مسناً ليست لديه القدرة على إثارة عداة جيرانه بينما محمد الثاني ، شاباً عرف منذ صغره بالقسوة والعنف^(١).

(١) Phrantzes: op. cit, pp. 210- 211; CF also; Carroll: A Minor Matter of Imperial Importance in the sptantz chronicle , B., 1979, P. 89.

- راجع أيضاً الملحق الثاني ، ص ٢١٧ - ٢١٩ .
- بالنسبة للإمبراطور قنستنتين الحادي عشر باليولوجوس Constantine XI Palaiologos "١٤٤٩ - ١٤٥٣م" ولد بالقسطنطينية عام ١٤٠٥م وهو آخر عضو لأسرة باليولوجوس الملكية وآخر حاكم للإمبراطورية البيزنطية ، وكان قنستنتين رابع أبناء الإمبراطور مانويل الثاني وهيلينا دراجوس Helena Dragos. وكان يدعى أحياناً باسم قنستنتين الثاني عشر وذلك يرجع لافتراض خاطئ ، بأن قنستنتين لاسكاريس توج إمبراطور في أبريل عام ١٢٠٤م وعلى هذا الأساس اعتبروا =

وبشدة كراهيته للمسيحيين ورغبته في القضاء على النصارى جميعهم، مما يهدد كيان الإمبراطورية البيزنطية وباقي الكيانات اليونانية آنذاك. ولقد تمنى

= قنستنتين باليولوجوس، الثاني عشر وفي عام ١٤٢٨م ذهب قنستنتين إلى المورة ليشترك في حكمها مع أخيه ثيودور الثاني Theodore II وتوماس باليولوجوس Thomas Palaiologos ، ولقد حكمها قنستنتين لمدة عشرين عاما كما نجح في تثبيت مركز البيزنطين وذلك بقمه للمناطق باتراس Patras (١٤٢٩م) أثينا Athenal و سيبوس Thebes (١٤٤٤م) وكان حلمه اعاده السيطرة على بلاد اليونان وتدمير قوى العثمانيين ولكنه هزم أمامهم في عام ١٤٤٦م. ولقد ورث العرش البيزنطي بعد وفاة حنا الثامن . وكان قنستنتين حينذاك قد توج على Mistra في يناير ١٤٤٩م لكنه بدأ حكمه بمجرد وصوله إلى القسطنطينية في مارس من نفس العام . وهناك إشارة تفيد موافقة قنستنتين على اتحاد الكنائس وما جاء في مجمع فلورنسا عام ١٤٣٩م أملاً في الحصول على المساعدة الحربية من الغرب . ولقد حارب بشجاعة أثناء محاصرة العثمانيين للقسطنطينية في ديسمبر ١٤٥٢م وقتل على أسوار العاصمة أثناء اقتحام الأتراك . وتوفي في مايو ١٤٥٣م دون وريثاً .

-Ostrogorsky: op. cit , p. 504; Vasiliev: op. cit. T. II, pp. 335, 379;
O.D.B. Vol . I , P. 501 .

- محمد الثاني ، تولى حكم الأتراك العثمانيين في الفترة ما بين " ١٤٥١ - ١٤٨٠م " . ولد عام ١٤٢٩م . وهو سابع سلاطين هذه السلالة الملكية . توفيت والدته خاتون في بروسه عام ١٤٤٩م قبل اعتلاء محمد للعرش . ولقد رشح واليا للعهد زمن السلطان مراد الثاني على إثر وفاة أخيه الأكبر ، علاء الدين، وبعد وفاة السلطان مراد الثاني عام ١٤٥١م. كان يبلغ محمد الثاني حوالي تسعة عشر عاما ، عندما جلس على العرش في أدرينابول وقام بالعديد من الفتوحات، كما اهتم أيضاً بإقامة القلاع وأهمها قلعة روميللى حصار وتوفي عام ١٤٨٠م .

-Ducae: op. cit; P. 346' Schulmberger ,G. :les Siegel la prise. et le sac deconstantinople, Paris, 1922, PP. 21, 27; Hammer: Histoire L' Empire ottoman , II, P. 374.

- أنظر أيضا : تلماز أوزتوس ، المرجع السابق ، ص ١٣١ : هايد ، المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٢٥-١٦٣ : سعيد برجواي، الإمبراطورية العثمانية ، بيروت، ١٩٩٣، ص ٧٣-٧٤ .

فرانتس أن يخبره الإمبراطور حنا كومينيوس نبأ وفاة محمد الثانى بدلاً من أبيه ، لأنه لا يوجد غيره عن أبناء مراد الثانى وعند حدوث ذلك سوف تتعرض الإمبراطورية العثمانية للإضطرابات والضعف وبذلك يحتفظ اليونانيون باستقلالهم بعيداً عن الضغط التركى (١).

وقد مكث فرانتس فى طرابيزون لمدة شهرين لإنهاء مهمته التى فوض إليها من قبل الإمبراطور البيزنطى قنسطنطين الحادى عشر ، وهى البحث عن زوجة تصلح أن تكون إمبراطورة ، خاصة بعد أن فشل فى الانجاب من زوجتين سابقتين توفاهما الله ، ولقد وقع اختياره على اثنتين وهما ابنه ملك جورجيا وأميرة من طرابيزون . ولذلك رشحت طرابيزون للزواج منه ماريا أرملة السلطان مراد الثانى والتى عادت فى ذلك الوقت إلى وطنها ، وفى حين رحبت طرابيزون بذلك رفضت الأميرة بحجة أنها قد وعدت زوجها بأنها ستقضى ما تبقى من حياتها فى الرهينة . وكيفما كان الأمر ، فقد أرسل فرانتس رسالتين إلى الإمبراطور قنسطنطين يخبره بما حدث فى جورجيا وطرابيزون ويعلمه نبأ وفاة السلطان مراد الثانى ويرشح له أيضا الزواج من الأميره الجورجية ، لأن الأميره الطرابيزونية غير مناسبة له (٢) .

(١) -Phrantzes: op. cit. P. 212.

(٢) Ibid, pp. 213- 221; CF, Nicol: The Immortal Emperor, The Life- and legend of Constantine Palaiologos Last Emperor of the Romans (Cambridge) 1992, PP. 43- 46, .Schulumberger: op. cit., P.16.

بعد أن تولى محمد الثانى أمر السلطة العثمانية ، أرسل إلى أباطرة طرابيزون والقسطنطينية وحكام البيلونيز ، يخبرهم بقبول صداقتهم كما كان الأمر فى عهد السلطان مراد الثانى،^(١) ولكن يبدو أن هذا الأمر كان أمراً مؤقتاً اقتضته ضرورة الأوضاع التى كانت سائدة حينذاك داخل البلاد التركية أثر وفاة السلطان مراد الثانى ، لأنه بعد أن نجح السلطان محمد الثانى فى القضاء على عصيان أمراء بلاد الأناضول ، أرسل أيضاً رسولا لإخضاع الإمبراطوريتين القسطنطينية والطرابيزونية للجزية، وكذلك الحال بالنسبة لحكام الموره ، والصرب، ولسبوس ، وغلطة ، وفرسان القديس حنا فى بيت المقدس ، وبلغاريا والفلاخ ، وآخرين^(٢) ومن الملاحظ أن حكام تلك المناطق لم تعبأوا بمطلب السلطان ولم يخضعوا لدفع الجزية .

وفى تلك الأثناء ، أرسل حاكم لسبوس الجنوى ويدعى دورينوجايتلوزيو إلى الحكومه الجنوية يطلب مساعدتها ضد الإمبراطور حنا الرابع كومينيوس، وذلك لسوء معاملته للجنوية على خلاف معاملته مع البنادقة فى طرابيزون، حيث التزم مع الأخيرة بكافة المعاهدات التى نقضها مع الجنوية^(٣).

(١) -Finlay : op. cit, Vol . IV, P. 408.

(٢) -Chalcocody lae:op. cit, P. 416; CF,Schlumberger:op. cit, P. 501.

أنظر أيضاً : اسماعيل سرهنك ، المصدر السابق ، ص ٣٩.

(٣) -Miller: op. cit , PP. 91-94; Vasiliev: op. cit. B.P. 101.

انظر ايضا : طافور ، المصدر السابق ، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

لكن لم يذكر شيئاً عن تلبية رغبة حاكم لسبوس ضد طرابيزون . ويرى الباحث أن ذلك يرجع إلى انشغال أنظار العالم إلى السلطان الجديد " محمد الثانى" الذى أخذ يستعد لفتح ما تبقى من البلقان، وأيضاً القسطنطينية ليجمع أملاكه دون أن يتدخلها أيه عدو^(١) .

وفى عام ١٤٥٣م ، بدأ السلطان محمد الثانى فى حصار القسطنطينية وأسند إلى أربعمئة شابا مهمة منع سفن طرابيزون من المرور فى البسفور حتى تدفع الضرائب التى قررها عليها ، كما منع أيضاً مرور سفن البنادقة من طرابيزون^(٢) .

ولكن يرى الباحث، أن السلطان كان يهدف من وراء هذا القرار أن يمنع وصول أية إمدادات من طرابيزون قد تساعد القسطنطينية فى التغلب على حصار الأتراك .

وفى تلك الأثناء أخذ البنادقة يفكرون فى وضعهم فى المنطقة فى تلك الظروف المحيطة بهم، خاصة فى ظل تهديد الأتراك العثمانيين للقسطنطينية والذى ربما ينتهى بسقوط العاصمة نفسها. وفى الوقت الذى أعلن البنادقة موقفهم صراحة بإيقافهم للسفن القادمة من تانا وطرابيزون وعدم السماح لها بالسفر لنجده المدينة بالرغم من مصالحها مع طرابيزون، فإن الجنوية حاولوا

(١) تلماز أوزنوس : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٣١ ؛ أحمد مصطفى ، فى أصول التاريخ

العثمانى ، ص ٦٦ ؛ محمد فريد ، تاريخ الدولة العليا العثمانية ، ص ١٦١ .

(٢) -Ducae: op. cit, P. 246; Chalcocondylae: op. cit, P. 416.

أرضاء الطرفين ، ففي البداية قام الجنوية فى غلطة بمساندة القسطنطينية، ثم سرعان ما لبثوا أن غيروا من موقفهم وأخذوا يتقربون للسلطان محمد الثانى الذى وعدهم بعدم التعرض إليهم بضرر فى حاله وقف إمدادهم للقسطنطينية بأية مساعدة لكن كلا الطرفين نقض عهده^(١) وقد استمر حصار الأتراك للقسطنطينية طيلة ثلاثة وخمسين يوماً انتهت باستيلائهم عليها والقضاء على الإمبراطورية البيزنطية، عاصمة المسيحية الشرقية على أيدى الأتراك المسلمين^(٢).

وبعد استيلاء السلطان محمد الثانى على القسطنطينية، عاد إلى أدرينابول ومن هنا انطلقت خطابات النصر إلى حكام المسلمين ، كما انطلق مبعوثوا الدويلات المسيحية، والجزر المجاورة الذين تجمعوا لتقديم التهانى للسلطان، حيث أخبرهم بأن جزيتهم السنوية قد ارتفعت عما قبل، وفى

(١) Ducae: op. cit, PP. 247, 266 - 267; CF, Hakkert und Ekaegi, J:

Byzinisch for Schungeniter national zeits Chrif. Fur Byzantinistik, Amsterdam, 1985.P. 73.

(٢) -Hertzberger, Storia Bizantini E' Dell Impero Ottoman, PP. 777,

781; Finlay : History of Greece, Vol. III, P. 522; Gill: Vince, P. 73;

Ostrogorsky: op. cit, P. 506.

- أنظر أيضا ، اسماعيل سرهنك ، المصدر السابق ، ص ٤١ - ٤٣ ؛ أومان ، المرجع السابق ، ص ٢٦٤ - ٢٦٦ ؛ جوزيف نسيم ، المرجع السابق ، ص ٢٩١ ؛ سعيد برجوى، الإمبراطورية العثمانية ، ص ٧٧ - ٧٩ ؛ أندروملر ، مختصر تاريخ الكنيسة ، ج٢ ، مكتبة كنيسة الأخوة ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

أغسطس عام ١٤٥٣م أمر السلطان العثماني كلاً من حاكم الصرب جورج برانكوفيتش بإرسال جزية سنوية قدرها اثني عشر ألف دوكاتية ، ومن طغاه الموره مبلغ عشرة آلاف دوكاتيه ، بينما الحكام الجنوية في خيوس وبسيوس أمروا بدفع جزية قدرها ستة آلاف دوكاتيه دليلاً على الولاء وبالمثل طلب من الإمبراطور حنا الرابع كومينيوس جزية قدرها الفين دوكاتية وأيضاً على المدن الأخرى على شاطئ البحر الأسود بالإضافة إلى الهدايا وإظهار الولاء للإمبراطورية العثمانية^(١).

وجدير بالذكر ، لم يبقى لليونانيين بعد سقوط القسطنطينية سوى مركزان هما الموره وطرابيزون اللذان تمتعا بنوع من الحكم الذاتي لعدة سنوات، لانشغال السلطان محمد الثاني في فتوحاته رغم ضعفهم وكثرة صراعاتهم التي أخذت تقربهما من النهاية المحتومة،^(٢) وبعد أن استولى الأتراك العثمانيون على القسطنطينية واستقروا بها، تراكمت المصاعب على الايطاليين في طرابيزون حيث أصبحت الصلات بين المستوطنات الخاصة بهم في طرابيزون وبين أوطانهم الأصلية أمراً عسيراً للغاية ، والدليل على ذلك لم يعد منصب رئيس المستوطنة في طرابيزون منصباً مرغوباً فيه بدليل أن كلاً من

(١) Ducae: op. cit, P. 314; Chalcocondylae: op. cit. P. 461; CF also,

Babinger: Mehmed the conqueror, PP. 102- 103; Lamouche: Histoire de la Turquie des origines, Paris, 1934, P. 66.

- أنظر أيضاً: اسماعيل سرهنك، المصدر السابق، ص ٤٧؛ محمد فريد ، المرجع السابق ، ص ١٦٨.

(٢) -Lamouche: op. cit, Loc. cit; Brehier: op. cit, P. 526.

جاليو توسبيتولا Galeotto Spinola، وليوناردو دوريا -Leonard Dor- ia قد رفضا توليهما منصب قنصل جنوه في طرابيزون^(١)، وظلت العلاقة غير ودية بين الإمبراطور حنا الرابع كومينيوس والجنوية ولعل ذلك يبدو واضحاً عندما رفض إمبراطور طرابيزون عام ١٤٥٥م أن يمنح الجنوية صك أمان بحجة أنه قد يؤدي إلى تمرد الجنوية في قلعة بازيار Bazar على بحر أزوف في مستعمرة كافا، وفي العام التالي ١٤٥٦م أرسل بنك سانت جورج " الذي امتلك المستعمرات الجنوية في البحر الأسود منذ عام ١٤٥٣م" إلى الإمبراطور حنا الرابع كومينيوس، مهدداً إياه بالأخذ بالثأر منه بسبب انتزاع مائتين دوكاتية كضريبة على الحرير الذي استولى عليه الجنوية من سفينة تركية في البحر الأسود^(٢).

وكان لسقوط القسطنطينية في أيدي العثمانيين أثر كبير على الغرب الأوروبي تمثل في حقد وغضب ممالك أوروبا، وخصوصاً البابوية متمثلة آنذاك في البابا كالكستوس الثالث " ١٤٥٥ - ١٤٥٨م"، والذي كان يأمل في ضم الكنيستين الشرقية والغربية إلى بعضهما، ولذلك سعى إلى تأليف حملة وأغار جيش أوروبي مختلط على حدود الإمبراطورية العثمانية بأوروبا عام ١٤٥٦م. وعندما بلغ السلطان محمد ذلك الأمر، تحرك بجيش يبلغ قوامه مائة وخمسين ألف مقاتل وأسطولا مكونا من مائتين سفينة^(٣). وقام بمحاصرة بلغراد عاصمة

(١) هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ج٣، ص ٢٢٩.

(٢) -Miller: Trebizond, P, 93.

(٣) -Dictionnainy Theologie Catholique, T. II, PP. 1351- 1362.

انظر أيضاً: اسماعيل سرهنك، تاريخ الدولة العثمانية، ص ٤٧.

بلاد الصرب، والتي امتنعت عن دفع الجزية بل واستقبلت اللاجئين اليونانيين لديهم^(١)، وفى تلك الأثناء أمر السلطان محمد الثانى، خاطر بك Chetir beg، الحاكم التركى فى أماصيا بمهاجمة طرابيزون بحجة أنها ساعدت على إيواء الفارين من السلطان، بالإضافة إلى رفضها دفع الجزية إليه، وبالفعل هاجم خاطر بك طرابيزون بغته براً وبحراً، ونجح الأسطول التركى فى تخريب شواطئ طرابيزون، واخترق جيشه الضواحي، وأخذ من سكانها ما يقرب من ألفى أسير ممن صادفهم فى الميدان وشوارع المدينة، والتي كانت شبه خاوية بسبب انتشار الطاعون. وأصبح الأمر يبشر باحتمال الاستيلاء على المدينة نفسها، وأمام تلك الظروف اضطر الإمبراطور الطرابيزونى، حنا الرابع كومينيوس إلى دفع الجزية التى قدرها السلطان بنحو ألفى قطعة من الذهب، وذلك على أن يتمسك الإمبراطور بعاصمته تحت سيادة السلطان محمد الثانى، وأن يستعيد جميع الأسرى الذين أسرهم خاطر بك، وكذلك وعد الإمبراطور بأنه لن يعود إلى حمل السلاح، وأنه سيؤدى الجزية كل عام بانتظام، وحينذاك أوفد الإمبراطور فيما بعد أخاه داود إلى السلطان فى أدرينابول ليوقع على هذه الشروط، ولكن السلطان اشترط أن تكون الجزية ثلاثة آلاف دينار^(٢).

(١) -Chalcocondylae: op. cit, P. 466; CF, Babinger: op. cit, loc. cit.

انظر أيضاً: اسماعيل سرهنك، المصدر السابق، ص ٤٦ - ٤٧؛ محمد فريد، المرجع السابق، ص ١٦٨.

(٢) -Chalcocondylae: op. cit, PP. 466- 467; CF, O.D.B. Vol. II, P. 1084.

- داود كومينيوس، هو آخر إمبراطور طرابيزونى "١٤٥٨ / ١٤٥٩ - ١٤٦١م" ولد ما بين عامى ١٤٠٧ و ١٤٠٩ م وتوفى فى القسطنطينية عام ١٤٦٣م، وهو ثالث أبناء الكسيوس الرابع كومينيوس. ولقد أطلق عليه لقب الطاغية أثناء حكم أخيه حنا الرابع وفى عام ١٤٥٨م ذهب =

وكان السلطان محمد الثانى قد نجح فى فتح بلاد الصرب وبذلك فقدت هذه البلاد إستقلالها تماماً^(١). ويبدو أن الإمبراطور حنا الرابع كومينيوس كان ينظر بعين القلق على إمبراطوريته بعد القضاء على بلاد الصرب على أيدي الأتراك العثمانيين^(٢)، وأيضاً بعد فشل المحاولة التى قام بها البابا كالكستوس الثالث ، عام ١٤٥٧م، عندما أرسل إحدى عشرة سفينة بقيادة البطريرك أكيلىا ، Aquileia لنجدة جزر اليونان من خطر الأتراك، ولكنها فشلت فى تحقيق أهدافها^(٣)، وذلك فى وقت عصيب كانت إمبراطورية طرابيزون تعاني من ديونها المستحقة: لبنك سانت جورج والتى وصلت إلى سبعة عشر ألف وسبعة وسبعين فلورينزا عام ١٤٥٧م ولذلك لجأ قناصلة كافا للحصول على قيمة هذا المبلغ من الإمبراطور عيناً من النبيذ بدلاً من دفع المبلغ نقداً، ورغم ذلك فإن العلاقة بين طرابيزون والجنوية لم تنقطع أوصلها^(٤).

= إلى أدرينا بول من أجل دفع الجزية إلى السلطان محمد الثانى وبعد فترة قصيرة صعد على عرش الإمبراطورية فى طرابيزون وقام بتسليم عاصمته للعثمانيين عام ١٤٦١ م ، الذين هاجموا يراً وبحراً، ثم أخذوه أسيراً مع أسرته. وبعد فترة وجيزة من عزله فى أدرينا بول اتهم بتدبير مؤامره لاستعادة عرش طرابيزون ونفذ فيه السلطان محمد الثانى، حكم الإعدام .

-O. D.B. Vol . I, P. 589.

(١) اسماعيل سرهنك ، المصدر السابق ، ص ٤٧-٤٨ .

(٢) -Ducae: op. cit., pp, 339- 340 .

- انظر أيضاً : سعيد برجوى ، المرجع السابق ، ص ٧٩ - ٨٠ .

(٣) Ibid, p. 338.

(٤) -Miller : Trebizond, p. 93.

وجدير بالذكر دفعت الظروف السيئة التي تمر بها إمبراطورية طرابيزون إلى تحالفها وتقربها من السلطان أوزون حسن زعيم التركمان من القطيع الأبيض، والذي أقام مملكته تمتد من طورس حتى ديار بكر، وقد اتبع الإمبراطور الطرابيزوني الدفاع المألوف لأسرته ضد الأخطار الخارجية، وهى المصاهرات الزيجية فطلب مساعدة أوزون، الذى أرسل مبعوثاً من قبله برسالة جاء فيها: "إذا أعطى الإمبراطور ابنته ثيودورا زوجة له فإنه سوف يضع تحت تصرفه ليس جيشه فحسب ولكن أيضاً خزائنه ونفسه ليدافع عنه ضد العثمانيين" وكان زعيم القطيع الأبيض قد أرسل هذه الرسالة بعد أن وصلت أخبار ابنة الامبراطور حنا من حيث جمالها. ولقد وافق الإمبراطور على العرض وأرسل ابنته زوجة لزعيم التركمان (١).

لم يمض كثيراً على هذا الزواج وتوفى الإمبراطور حنا الرابع كومينيوس

(١) -Miller : op. cit, pp. 88- 89; Kursanski: le descendance D' Alexis IV, p. 243; O.D.B, vol. II, p. 1048.

أنظر أيضاً : ، ابراهيم خورشيد ، دائرة المعارف ، ج٥ ، ص ٢١٤ .
- أوزون حسن ، حفيد كارايولوك زعيم التركمان من القطيع الأبيض. وسمى أوزون لطلوه . تولى الحكم فى الفترة ما بين " ١٤٥٣ - ١٤٧٨ م " ودخل فى نزاع ضد القطيع الأسود ، وبلغت ممتلكاته فى القرن الخامس عشر الميلادى من شرق أناتوليا حتى شمال بروسه . وانتهى أمره بخضوعه للسلطان محمد الثانى .

-Bryer: Turkmens, P. 134; Pitcher: op. cit., P. 80.

انظر ايضا : ابراهيم خورشيد ، المرجع السابق، ج٢، ص ٥٧٩.

عام ١٤٥٨م وخلفه على عرش الإمبراطورية شقيقه داود، الذى شهد بداية عهده بعض القلاقل ، والتى تتمثل فى أن الإمبراطور حنا الرابع قد ترك ولدا يدعى الكسيوس ، كان يبلغ من العمر أربع سنوات ، الأمر الذى دفع داود إلى إقناع النبلاء المحليين من أسرة كاباسيتس بأن الفتره التى تمر بها الإمبراطورية تتطلب مدافعاً آخر لديه خبرة لا تتوفر عند هذا الطفل. وكيفما كان الأمر، فقد لعب داود دوراً كبيراً فى المجال السياسى منذ السنوات الأخيرة من حكم شقيقه حنا، وتزوج من أميرة يونانية، وبعد وفاتها تزوج من هيلينا كانتاكوزينوس من أسرة بيزنطية شهيرة^(١). ونجح فى تولى عرش الإمبراطورية. وأراد الإمبراطور الاستفادة من مصاهرته لأوزون حسن ، فطلب توسطه لدى السلطان محمد الثانى لكى يعفيه من تقديم الجزية السنوية المفروضه على إمبراطورية طرابيزون طبقاً لما نصت عليه بنود المعاهده المبرمه بين الطرفين عام ١٤٥٨م . وعندئذ أرسل أوزون مبعوثين من قبله لمقابله السلطان محمد الثانى حيث تقدموا إليه بطلب يتضمن جعل الجزية المقرره على طرابيزون من نصيب السلطان أوزون حسن . فأجابهم السلطان متوعداً قائلاً " سوف تتعلمون كيف تقدمون طلباتكم للسلطان^(٢) ، وطلب ايضا من السلطان أن يدفع الجزية التى كان يدفعها السلطان محمد الاول إلى كارايولوك جد السلطان أوزون حسن

(١) -Miller: Trebizond, pp. 96- 97.

(٢) -Chalcocondylae:op. cit, p. 490., CF also Nicol: the Byzantine Lady., P. 121.

لمزيد من التفاصيل عن المعاهده ، انظر ص ٨٩ من هذا البحث .

سنوياً. وهى عبارة عن ألف فرس بسروجها، وألف سجادة ، وألف شريط عمامة، وذلك عن مدة الستين عاما والنصف عام التى مضت، فأجابهم السلطان محمد الثانى قائلاً : عودوا إلى ذويكم آمين والعام القادم سوف أحضر إليكم ماتطلبون ^(١) ويبدو أن المصادر لم تذكر شيئاً عن الجزية التى يدفعها العثمانيون للتركمان من القطيع الأبيض سابقاً.

ولم يكتف داود بذلك بل اجتهد لتكوين تحالف من الأمراء لحماية إمبراطورية طرايزون، تألفت من فيليب الطيب دوق برجنديا ، وهو من الحكام الأقوياء آنذاك . وكان داود قد بعث إليه برسالة مؤرخة فى ٢٢ ابريل عام ١٤٥٩م ، أخبره فيها بجهوده لتكوين تحالف ضد الأتراك وقد تناولت الرسالة ذكر اسماء اعضاء التحالف ومنها، زوج ابنة أخيه أوزون حسن زعيم التركمان، والذي سوف يساهم بثلاثين سفينة، وخمسين ألف فارس تحت قيادته ، علاوة على ذلك منح داود منطقة حرة للتحرك عبر أراضيهِ ، وشمل الاتحاد أيضاً ملك جورجيا " جورج الثامن"، وأمير مينجرليا Mingnelia وكلاهما ساهما بنحو ستين ألف فارس. وبالنسبة لأمير أبخازيا وباروناتهِ سوف يشارك بما يقرب من ثلاثين ألف فارس . علاوة على ذلك كلا من " شعوب القوط والآلان الذين وعدوا بالقتال تحت راية الملك الجورجى، وقائد كليكيّا وعددهم عشرة آلاف فارس . " هذا إلى جانب اثنين آخرين من الحكام المسلمين ، أوزون حسن، وإسماعيل حاكم سينوب ، اللذان إشتاقا لاسترداد أراضيهم من الأتراك. ولقد

-Ducae: op. cit, p. 339.

حث فيليب أن يدعى الانصراف من هنغاريا، ولقد تعهد اليه الامبراطور داود،
بانه سوف يساعده فى استرداد بيت المقدس ، والاعتراف به كملك عليها. ولقد
انهى داود الرسالة بمدح البابا بيوس الثانى^(١)، الذى أوفد لويس دوبولوجن
Louis de Bologne بطريرك أنطاكية ، والذى ترأس بعثة مشهورة باسم
البابا وإمبراطور طرابيزون فبعث إلى ملوك أثيوبيا ، وبولندا، لمحاربة الأتراك
وحشد القوات المسيحية بهدف إيقاف حرب السلطان مع المسيحيين، وإذا لم
يستطع يجب محاربتهم ، وتحذيرهم بضرورة التصدى لقوى الأتراك، لذلك قام
بمرحله البلاد المشرق^(٢) خاصة بعد الاستيلاء محمد الثانى عام ١٤٥٩م على
أماصيا حيث ظهر أمام أسوارها فجأه علماً بأنها منذ زمن بعيد وهى تدفع
الجزية للأتراك . ولايعرف شيئاً عن أصل تلك الحرب سوى استسلام المدينه التى
كانت تتبع الجنوى، وذلك دون مقاومه . ونقل المنتصر مستخدماً القوة ثلثى
سكانها للقسطنطينية^(٣).

وفى عام ١٤٦٠ م عزم السلطان محمد الثانى على توجيه جيوشه صوب
آسيا بعد انتهائه من إخضاع البيلونيز^(٤)، ومن الملاحظ أن السلطان لم يخبر

(١) -Miller : op . cit., PP. 97- 99 ; Nicol: op. cit, loc . cit.

(٢) -Wadding : Annales Minorum: T. XII., pp.127, 420 ,T XIII , pp. 153, 369 .

(٣) -Hammer : op. cit., III, P. 68.

انظر ايضا : نيقولان فاتان، صعود العثمانيين (١٤٥١-١٥١٢) فى تاريخ الدولة العثمانين ،
ترجمة/ بشير السباعى ج١، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٩٣، ص ١٣٤؛ اسماعيل
سرهنك ، المصدر السابق : ص ٤٨ - ٤٩ ؛ هايد، المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٢٥٩ .

(٤) Ducae: op. cit, P. 340, CFalso, Jounannia: Turquie , Paris,1840, p. 79.

بغاية الحمله وعندما أذيع نبأ يتضمن أن السلطان يتأهب لإرسال حملة للبحر الأسود وقد أعد لها أسطولا مكونا من مائتى سفينة تقريبا ، هذا بخلاف القوات البرية ، حيث أراد السلطان أن يقضى على ما تبقى من السلطة اليونانية فى تلك التحركات العسكرية وقد رجحت الاحتمالات أن تلك الاستعدادات ما بين الأتراك فى سينوب ، واليونانيين فى طرابيزون . ولم يوضح السلطان لقادة جيشه عن الهدف من تلك الحملة ، وأجاب السلطان على أحد قادته عندما أراد أن يعرف جهة الحملة بالآتى " لو أن شعرة من لحيتى تعرف سوف أقلعها وألقيها فى النار" وهنا يتضح أن السلطان قد اعتمد على مبدأ السرية والسرعة كوسيلتين لنجاح مشروعاته الحربية .

- وكيفما كان الأمر، تقدم السلطان عام ١٤٦١ م بقوات تتألف من ستين ألف فارس ومالا يقل عن ثمانية آلاف من جنود المشاة .

مما سبب الذعر فى طرابيزون وسينوب^(١)، وعندئذ أرسل اسماعيل بك اسفنديار حاكم سينوب ، وهو أحد حلفاء الإمبراطور داود كومينيوس، الى السلطان محمد الثانى هدايا جزيله برفقة ابنه ليعرف مقصده خاصة بعد أن اتضح له أن طرابيزون ليست هدفه. ولقد رحب السلطان به وجعل منه رسولا إلى أبيه قائلاً " أبلغ أباك أنى أريد سينوب، فإذا سلمتها طوعاً لاعنوة جعلته

(١) -Ducae: op. cit, P. 341; Hammer: op. cit. T. III, p. 68; Miller: op. cit, P. 101; Jounannia: op. cit, loc., Lamouche: op. cit, pp. 73- 74.

واليا على فيليوبولس، وإلا فأنا قادم على الفور" (١). وفى نفس الوقت أمر الإسطول بالتوجه نحو سينوب بينما تقدم السلطان إليها بجيشه براً، فخرج أميرها لاستقباله فرحب به عندئذ، وأمره بتسليم المدينة وكل ثروته وعندئذ ولى عليها أحد رجاله (٢)، ولقد سلم اسماعيل كل ما لديه عندما رأى أنه ليس لديه من القوة ما يرد به هجوم هذا الجيش، ولقد أكرم السلطان لقاءه وأقطعته وعائلته إيرادات جهات بروسه ويكيشهر ونصب ابنه عاملاً لإحدى السناجق، وبذلك دخلت مملكه إسفنديار فى قبضة العثمانيين (٣). وهى إحدى حلفاء الامبراطور داود، وكان السلطان محمد قد أمر اسطوله أن يبحر مباشرة إلى

(١) -Ducae: op. cit, pp. 341- 342. CF also, Miller: op. cit, loc . cit.

- اسماعيل بك اسفنديار ، من عائلة اسفنديار وهم بقية من ملوك المسلمين كانوا يحكمون قسطنطينى وسينوب . وبالرغم من خضوع اسفنديار ودفعه للجزية السنوية للأتراك العثمانيين إلا أنهم كانوا لايفترون عن بث الدسائس والقلاقل بجهات الإمبراطورية العثمانية كما أتاحت لهم الفرصه . ولقد رأى السلطان أن بقاء إمارة سينوب وأن كانت خاضعة له ، إلا أنها تعد عرقلة لمساعيه وأراد عدم إستقلالها فضلا عن ضم الممالك الإسلامية المتفرقة إلى بعضها .

- إسماعيل سرهنك : المصدر السابق ، ص ٤٩ .

(٢) Ducae : op. cit., p. 342; CF also Kritovoulos: History of Meh-med the conqueror, New Jersey, 1954, pp. 166- 167.

انظر ايضا: اسماعيل سرهنك ، المصدر السابق ، ص ٤٩ ، لمزيد من التفاصيل انظر ، الملحق الثالث ، ص .

-Miller : op cit , Lov. cit.

(٣)

لمزيد من التفاصيل انظر ايضا : اسماعيل سرهنك ، المرجع السابق ، ص ٥٠

طرابيزون، وتقدم بنفسه على رأس قواته البرية إلى أرمينيا تجاه قلعة قوبونلى حصار، التى تقع إلى الجنوب من طرابيزون واستطاع الاستيلاء عليها ، ليحرم طرابيزون من مساندة حليفها القوى أوزون حسن المقيم بتلك القلعة. وعلى أية حال، اضطر حسن إلى الانسحاب من عاصمته أرزنجان ، داخل الجبال والمصايق فى أرمينيا لمدة سبعة عشر يوما ، وأرسل والدته سارة خاتون من أجل السلام مع محمد الثانى ، التى كانت تأمل فى رجوع السلطان عن الزحف وقالت له عندما شاهده " يابنى كيف تعرض نفسك لكثير من المتاعب ، من أجل مدينة طرابيزون؟ ولقد أجاب عليها السلطان بعد أن أدرك مكر سارة " يا أم سيف الإسلام فى يدي وبدون كل هذه المتاعب أنا لا أستحق أن ألقب بالغازى اليوم وغداً سأخجل إذا توفيت من أن أقف أمام الله^(١)"

وكيفما كان الأمر ، فقد وافق السلطان على محالفة ومصادقة حسن بشرط أن يشترك تركمانيه فقط مع الإقليم التركى، وأن يمنع تقديم المساعدة لإمبراطور طرابيزون داود كومينيوس، وحتى يضمن السلطان هذا الشرط احتفظ بوالدة حسن معه . وهكذا جرد داود من تأثير ونفوذ الحليف الوحيد، خاصة بعد أن تخلى باقى الحلفاء عنه وبذلك عزل داود وترك إلى مصيره المحتوم^(٢). وأسرع أوزون لعقد السلام مع محمد الثانى عند أرزنجان وعندئذ

(١) Hammer : op. cit . T.3, p. 75; Miller : op. cit ., p. 102; Pitcher : op. cit, pp. 77- 78.

انظر أيضاً : ابراهيم خورشيد، دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٥ ، ص ٢١٤ - ٢١٥.

(٢) Miller: op. cit., P. 102; Pitcher: op. cit., P. 80; Brehier : op cit., p. 529.

اتجه السلطان محمد شمالاً ضد طرابيزون ، وهو ضامن على الأقل عجز أوزون حسن على استئناف مقاومته^(١) وقبل تلك الأحداث بفترة قصيرة ، قام داود بتجديد تحالفه مع أوزون وأرسل خطابات عديدة إلى البابا بيوس الثاني ، وفيليب الطيب، من أجل التوسل لتأليف حملة صليبية ، لكن لم يحدث اتفاقاً نهائياً بين داود وحلفائه^(٢). وكما نعلم فإن الأسطول التركي اتجه بعد الاستيلاء على سينوب إلى طرابيزون وحاصرها لكن دون جدوى، جلى جاء السلطان بجيشه البرى ولذى حارب به أوزان ليجد أسطوله قد أغار على المحاصرين وأحرقوا الضواحي ، وحاصروا المدينة لمدة اثنين وثلاثين يوما ، فضلاً على تقدم محمود باشا الصدر الأعظم بحامية من جيشه وعسكره بالقرب من قلعه طرابيزون، وعند رؤيتها اتضح أن الأمر لا أمل فيه ، لذلك أرسل من يتفاوض مع الإمبراطور ليوضح له الأمر، بأن مصلحتهم التسليم بشروط مقبولة، حيث يكفل للإمبراطور وأطفاله والبلاط بلداً جديداً مع تعويض كافى لرفاهيتهم ، والسماح للشعب الطرابيزونى بالبقاء دون أية أضرار مع أزواجهم ، أبنائهم، أما فى حالة رفض الإمبراطور فإنه لم يعد هناك حق للمناقشة أو المفاوضة ، وعندئذ سوف تستخدم القوة وما ينجم عنها من سلب واستعباد ولقد وصلت تلك الشروط إلى الإمبراطور عن طريق جورج أموريثس، الذى كان

(١) Pitcher : op. cit., loc . cit .

(٢) Wadding: Annales Minorum, T.XIII, pp. 176- 177; CF, Nicol, the Byzantine lady, p. 121; Brehier:op. cit , p. 528; Charles- Joseph Hefele: Histiore de conciles. Paris, 1916, T.VI . pp. 1301- 1302.

يشغل منصب أمين خزانة الإمبراطورية فى ذلك الوقت . ويذكر أن طرابيزونا أكتسبها الأتراك بالخداع وليس بالسلاح^(١)، ولقد أبلغ جورج الإمبراطور بما يلى " الصدر الأعظم الذى من سلالة اليونانيين يخبرك: أترى التى ما أطول المسافة التى قطعها السلطان، والأراضى التى اجتازها ليأتى اليك ؟ فإذا سلمت المدينة إلى الملك فلاتخف وسيعطيك غيرها كما أعطى ديمتريوس زعيم اليونانيين الذى حكم البيلونيز، فقد أعطاه أموالاً كثيرة كما ولاه على مدينة أينوس المزدهرة الغنية وهو الآن ينعم فيها بأمان ، وبلا أية مخاوف وإذا رفضت وأردت أن تختبر قوات السلطان الحقيقية فاعلم ان

- Chalcocondylae : op . cit, P. 495 .

(١)

- أما عن جورج أموريثس ، فقد كان مبعوثاً من قبل طرابيزون لإزالة أسباب النزاع بين الجنوى وطرابيزون من قبل وله دور كفاء داخل معظم المجامع الكنسية وعن شهرته قد منحت لأسلافه فى البلاط الأمبراطورى ، الأتراك فى لازا وفرضوا نفوذهم على المجتمع الطرابيزونى ، والاقتصاد و أصبحت الإدارة اسمية فقط للكومينيوس نلاحظ فى خطاب أموريثس إلى أحد أصدقائه فى أدرينابول والمؤرخ فى ١١ ديسمبر ١٤٦١ م ، أفاد بأن الهجوم العثمانى كان مفاجئاً لدرجة أنه لم يكن لديهم وقت لتجميع الجنود بينما كان الأسطول العثمانى ضخماً يبلغ مائة سفينة مجهزة بينما القوات البرية تزيد على مائة وخمسين ألف فارس . وقد أضر الحصار كثيراً بالجيش الطرابيزونى الذى كان يأمل فى الفوز ، ولكنهم كانوا محاصرين بمعدات ضخمة فضلاً عن قلة المؤن والمياه وكانت رغبة الشعب تسوية الموقف مع الأتراك، وربما كان ذلك مبرراً لموقف أموريثس تجاه الإمبراطور داود واقناعه بضرورة تسليم المدينة بعد أن ضعف الشعب عن المقاومة، وأيضاً لوجود صلة قرابة بينه وبين محمود باشا، الصدر الأعظم للجيش العثمانى .

Miller: Trebizond, pp. 104- 105 ; Bryer : Turkmens, P. 141.™

مدينتك سيحل بها الدمار فأجاب ملك طرابيزون على محمود بما يلي " نحن ننقض العهود ونحن مستعدون للذهاب حيث شاء السلطان ، كما بلغت قائد الأسطول طالبين منه الا يغزوا ارضينا لأننا مستعدون للاستسلام فور وصول السلطان، وطلب الإمبراطور داود من أجل السلام بين الطرفين بشرط أن يتزوج السلطان من ابنته ويمنحه أرضا يحصل منها على إيراد سنوي يعادل إيراد بلاده وأخيراً تم إعلان الإمبراطور داود الاستسلام للسلطان على الرغم من أن مدينته كانت محصنة لدرجة كافية لتقاوم الحصار طويلاً ، وتم الاتفاق على خضوع داود إلى السلطان بعد أداء اليمين . ولقد أداه الإمبراطور ودخل العثمانيون طرابيزون بأمر سلطانهم وتحت ضغط محاصرة محمود باشا بحراً والسلطان محمد الثانى برأ، فضلاً عن التهديد والوعيد الذى تعرض له الإمبراطور، وبالفعل سلم الإمبراطور داود مفاتيح طرابيزون إلى العثمانيين فى أغسطس ١٤٦١م^(١). وعندئذ أمر السلطان بترحيل داود كومينيوس على ظهر سفينة

(١) -Chalcocondylae: pp. cit, pp. 494-495; CF also, lamouche: op. cit, pp. 75-76; Hertzbergs : op . cit, p. 800; Fallmerayer : Geschichte des halbins el Morea, Buobandlung, 1835, T. II, p. 37; Bel-diceanu, N: Trebizond, un Registre Ottoman, Athena, 1979, p. 60; Babinger, F: le date la prise de Trebizond pars les Turcs, R.E.B. 1950, T. VI, pp. 205-207; Nicol: The end of the Byzantine Empire, New, York, 1949 , P. 93; Brehier: op. cit, pp. 528- 529.

- أنظر أيضاً : نيقولافاتان ، المصدر السابق ، ص ١٣٥؛ تلماز أوزتوس، المرجع السابق ، ص ١٥١-١٥٢؛ سعيد برجوى ، المرجع السابق ، ص ٨١ .
- راجع أيضاً الملحق الثالث ، ص ٢٢٤-٢٢٥ .

وبرفقتة زوجته وأولاده واقاربة إلى القسطنطينية حاملاً معه كنوز وذهب إمبراطوريته السابقة^(١). وعندما حقق السلطان غايته بدخول طرابيزون ، أمر بإطلاق سراح الملكة سارة خاتون والددة زعيم التركمان الأبيض أوزون حسن كما منحها مكافأة لها لاحترام أوزون عهده مع السلطان وشملت بعض الهدايا النفيسة التي سلبها العثمانيون من طرابيزون^(٢) .

وعندما عاد السلطان إلى القسطنطينية، أمر بنقل داود وأسرته إلى أدرينابول بحجة الإشراف على قرى معينة فى منطقة الجبل الأسود. وقرر دفع مبلغ ثلاثمائة ألف قطعة ذهبيه سنوياً كنفقة لمعيشة داود^(٣). وفى الوقت ذاته لم يتزوج السلطان من ابنة داود وفق لرغبته بل ضمها إلى نسائه بعد فترة قصيرة . وكان السلطان يرغب فى استئصال الكومينيوس وخادميهم ليضع نهايتهم. ولقد واتت الفرصة لتحقيق ذلك ، عندما وقعت رسالة كتبها ابنة الإمبراطور السابق حنا الرابع ، وهى زوجة أوزون حسن إلى داود تطلب فيها "إرسال ابن داود أو ابن أخيه ، الكسيوس ، الابن الأوحده للأميرة الجنوية جاتيلوزيو إليها" فى محاولة لاسترداد طرابيزون مرة أخرى. وعندما أدرك السلطان الأمر ، قبض على داود وأولاده وسجنهم جميعاً وبعد مدة قصيرة جاء

(١) -Chalcocondylae: op. cit, p. 497; Ducae: op. cit, p. 373, CF

also, Lamouche: op. cit, Loc. cit., Kritovoulos: op. cit, pp. 168- 170.

(٢) -Miller: op. cit, P. 108 .

انظر ايضاً : ابراهيم خورشيد، المرجع السابق ، ج٥ ، ص ٢١٥ .

(٣) Chalcocondylae : op. cit, p. 497, CF, Miller : op. cit , Loc. cit .

بهم إلى القسطنطينية وقام بتعذيبهم كثيراً ثم عرض عليهم فرصة لإنقاذهم من الموت وهى أن يعتنقوا الإسلام ولكنهم رفضوا فأعدموا جميعاً باستثناء الطفل الأخير الذى أعلن إسلامه ويبلغ من العمر ثلاث سنوات ، وقام السلطان بمصادرة ممتلكات الكومينيوس فى حين إنه حكم من قبل على زوجة داود أن تدفع مبلغ خمسة عشر ألف دوكاتية خلال ثلاثة أيام مقابل عدم تنفيذ حكمه بالإعدام عليهم . وبالطبع لم تستطع الأميرة تحقيق هذا المطلب وعندئذ نفذ الحكم عليهم وبذلك قضى على آل كومينيوس وعلى إمبراطوريتهم طرابيزون إلى الأبد^(١).

وبذلك أسدل الستار على إمبراطورية طرابيزون اليونانية التى عاشت قرنين ونصف من الزمان حافظت خلالها على هليينتها وعاداتها وتقاليدها لتصبح ولاية عثمانية .

(١) Phrantzes: op. cit, pp, 413 -414; Chalcocondylae : op. cit., pp. 497,527; CF., Hammer: op. cit., pp. 81- 82; Hertzbergers : op. cit ., P. 801; Miller : op. cit., loc. cit; Nicol :op . cit.pp. 170,176; Cuninet :op . cit ., P. 43; Millet, G: Byzantine Painting at Trebizond,Londan, 1936 P. 174; O.D.B. Vol. II, p. 2112.

الخاتمة

هكذا انتهت قصة إمبراطورية دامت قرنين ونصف من الزمان حيث أفل نجم إمبراطورية طرابيزون التي سطعت طوال هذه الفترة في سماء العالم البيزنطى وشغلت حيزاً زمنياً هاماً به. وقد توصل الباحث من خلال دراسته لبعض القضايا الهامة التي كان لها تأثير على سير الأحداث .

أولاً : تتعلق بتأسيس كيان سياسى لآل كومينيوس فى طرابيزون بعد هزيمتهم أمام آل أنجليوس. فكانت طرابيزون بمثابة الملجأ الذى يستطيعون من خلاله مواصلة الجهاد لاسترداد القسطنطينية وإعادة عرشهم مرة أخرى ولكن الرياح أتت بما لا تشتهى السفن وتعرضت طرابيزون لخطر بعض القوى المجاورة مثل ينيقية ، الأتراك السلاجقة، التركمان والمغول مما جعل من الصعب عليهم تحقيق ما يصبون إليه .

ثانياً : نظراً لموقع طرابيزون الجغرافى المتميز ووجودها على الطرق الرئيسية بآسيا الصغرى ، فضلاً عن ثرائها فكانت مطمعاً لقوى عديدة منذ نشأتها حتى سقوطها .

ثالثاً : أتبع آل كومينيوس سياسة عقد المصاهرات الزيجية مع القوى التى تشكل خطراً على ممتلكاتهم دون الاهتمام بديانته هذه القوى وذلك من أجل تحقيق هدفهم الرامى إلى الحياة الهادئة الآمنة .

رابعاً : لم تكن طرابيزون تتقيد بالتبعية الاسمية للقسطنطينية إلا عندما تشعر بأن هناك خطراً مشتركاً يهدد كيانها ، فتسعى عندئذ للجوء إلى القسطنطينية لحمايتها ولذا كانت طرابيزون تحرص على الاحتفاظ بالعلاقات

الودية مع القسطنطينية .

خامساً : أتبع طرابيزون سياسة جديدة منذ عهد الإمبراطورية الكسيوس الثانى تتضمن عقد معاهدات تجارية مع المدن الإيطالية التجارية مما كان له أكبر الأثر على سياستها الخارجية ، فضلاً عن هذا قد ساعد كثيراً على إزدياد أموال الخزينة الطرابيزونية .

سادساً : لقد حافظ أهل طرابيزون على ديانتهم المسيحية على المذهب الأرثوذكس ولم يحاول أحد أباطرتها التحول عن مذهبه كما فعل بعض أباطرة بيزنطة للحصول على مساعدة الغرب . وظل سكان طرابيزون على لغتهما اليونانية وعاداتهما وتقاليدهما وطقوسهما حتى بعد سقوط القسطنطينية .

سابعاً : قيام العديد من المحاولات لتوحيد الكنائس الشرقية والغربية شاركت فيها طرابيزون إلى جانب الإمبراطورية البيزنطية من أجل التخلص من الضغط التركى على ممتلكاتهم وفى الوقت نفسه وجد الغرب فى تلك المحاولات فرصة يحقق من خلالها حلمه فى خضوع الكنيسة الشرقية إلى البابوية، وهذا يفسر ظهور عدد من المجامع الكنيسة مثل مجمع بازيل ، فلورنسا . وجميعها انتهت بالفشل ، ولازال هناك حوار دائر بين الكنيستين لتحقيق هذا الاتحاد حتى الآن .

ثامناً : ساعدت مناعة أسوار طرابيزون على حماية العاصمة من السقوط لمدة قرنين ونصف من الزمان ، جعلتها تصمد أمام ضربات أعدائها .

تاسعاً : سعى أباطره طرابيزون إلى تكوين تحالفات عديدة مع برجنديا

والتركمانيون من القطيع الأبيض للموقف معاً ضد الخطر العثماني ومع ذلك نجح العثمانيون في التعامل مع هذا التحالف حيث قهره وأخضعوا التركمان وأجبروا على التخلي من تحالفهم مع طرابيزون ، بينما برجنديا لم تقحم نفسها في الصراع مع العثمانيين وظلت ترقب الموقف عن كثب ولم تتحرك لنصرة طرابيزون .

عاشراً : لم تنته الإمبراطورية البيزنطية الشرقية بسقوط القسطنطينية في أيدي العثمانيين عام ١٤٥٣م . وإنما بانتهاء وسقوط طرابيزون ، ويرجع ذلك إلى أن طرابيزون ظلت ملجأً لليونانيين من رجال الدين أو الفكر أو السياسة الذين فروا بعد سقوط القسطنطينية سواء على أيدي اللاتين عام ١٢٠٤م أو الأتراك العثمانيين عام ١٤٥٣م . كما أن سقوط طرابيزون مرجعه الخيانة التي سهلت أمر تسليم طرابيزون للأتراك العثمانيين .

وجدير بالذكر، فإن الباحث قد عالج أيضاً المزيد من القضايا من خلال سرده لتفاصيل الأحداث ، وتوصل خلال ذلك إلى نتائج هامة منها على سبيل المثال مناقشة أمر وصول الكسيوس الثالث كومينيوس، الابن غير الشرعي للإمبراطور بازيلوس الثاني إلى عرش طرابيزون والذي ظل حكمه ما يقرب من أربعين عاماً وضع خلالها سياسة عامة للتعامل مع الأعداء بعد أن فشل في القضاء عليهم بالحرب، وهي استخدام العنصر النسائي لحل تلك المنازعات والحفاظ على إمبراطوريتهم .

أيضاً توصل الباحث إلى أمر مشاركة آل كومينيوس بقوات عسكرية في

موقعة انقره عام ١٤٠٢ م التى دارت بين الأتراك العثمانيين والمغول . ومن الملاحظ أيضاً أن إمبراطورية طرابيزون قد حافظت على التوازن اليونانى فى المنطقة ، بالإضافة إلى احتفاظ أباطرتها إلى حد كبير بعلاقات ودية مع بيزنطة. وقد دفعت الإمبراطورية الطرابيزونية ضريبة ذلك والتى تمثلت فى العديد من الضغوط الخارجية التى انتهت بسقوط طرابيزون وتسليم مفاتيح العاصمة للأتراك العثمانيين عام ١٤٦١م . وأسدل بذلك الستار على إمبراطورية طرابيزون البيزنطية .

الملاحق

«بيانات بقائمة المصادر والمراجع»

- بيان بالمختصرات .
- المصادر الأجنبية .
- المصادر العربية .
- المراجع الأجنبية .
- المراجع العربي والمعرّبة .
- المعاجم الأجنبية .

- الملحق الأول:

محاولة إمبراطورية طرابيزون للاتحاد مع البابوية فى روما .

-Mansi: Sacrorum Conciliorum nova et amplissimo Collectio, PP.648- 649.

- الملحق الثانى :

الإمبراطور البيزنطى قنستنتين الحادى عشر باليولرجوس يرسل سفارة برئاسة رئيس الحجاب ببلاطه إلى الإمبراطور حنا الرابع كومينيوس عام ١٤٥١م .

-Phrantzes: Annales, PP. 207 - 217.

- الملحق الثالث :

استيلاء الأتراك العثمانيين على طرابيزون عام ١٤٦١م

-Ducae: Historia Byzantina, PP. 340- 343.

- الملحق الرابع :

ثبت بأسماء أباطرة طرابيزون من آل كومينيوس .

وقع اختيار الباحث على ثلاثة ملاحق تخدم البحث وتتصل به اتصالاً وثيقاً، وهى تلقى الضوء على بعض جوانبه والتى لاتزال بلغتها القديمة "اللايتنية" ولم تنقل إلى اللغات الحديثة وقد تمت ترجمتها إلى اللغة العربية والتعليق عليها .

الملحق الأول: وهونص كتبه مانس فى كتابه -Sacrorum Conciliorum nova- يتناول فيه وباختصار، مدى خوف أباطرة طرابيزون من خطر الأتراك العثمانيين الأمر الذى اضطر أحد أباطرتها إلى البحث عن مساعدة الغرب والمتمثلة فى البابوية ، فقد تم تبادل رسائل فيما بينهم حول اتحاد الكنائس الشرقية والغربية .

الملحق الثانى : وهو نص كتبه المؤرخ فرانتس فى كتابه "Annales"، وتناول فيه العلاقة التى سادت آنذاك بين الإمبراطورية البيزنطية وطرابيزون والتى تتسم بالود ، الأمر الذى شجع الإمبراطور قنستنتين الحادى عشر باليولوجوس على إرسال وفدأ برئاسة رئيس حجاب بلاطه وهومؤرخنا نفسه ، من أجل اختيار عروساً لسيدته من طرابيزون تصلح أن تدير بيزنطة بعد وفاته . ثم تناول الظروف التى حدثت فى ذلك الوقت وهى، وفاة السلطان مراد الثانى، ورد فعل هذا النبأ على الإمبراطورية فى طرابيزون .

الملحق الثالث : وهونص كتبه المؤرخ دوقاى فى كتابه Histoia Byzantina يتناول فيه، كيفية استعداد السلطان محمد الثانى للاستيلاء على طرابيزون، فضلاً عن السرية التامة التى اتبعها السلطان فى أمر هذه الحملة ، والتى انتهت بالاستيلاء عليها، وسقوط الإمبراطورية البيزنطية فى طرابيزون .

وجدير بالذكر أن الباحث راعى أن تكون الترجمة العربية للنصوص الخاصة بالملاحق سالفة الذكر مطابقة تماماً للأصل، مع مراعاة وضوح المعنى. كما استلزم الأمر تزويد الملاحق ببعض الهوامش .

- الملحق الأول : خطاب أرسله الإمبراطور الطرابيزوني حنا الرابع كومينيوس إلى بابا روما إيجينيوس الرابع في محاولة لاتحاد الكنيستين الشرقية والغربية .
نقلًا عن .

Mansi: Sacrorum Conciliorum nova et amplissima Collectio, Vol. xxix, PP. 648- 649.

Epiftola Imperatoris Trapezundarum ad Eugenium Papam.

Sanetiſſimo Qbeatifſimo in Chriſto Patri Odomino Eugenio IV -
umm Pontifici Romanorum fuo reveren di ſſimo Morame Mega-
tonenus imperator Tvapezundarum. Aſſiſſime & beati ſſime Pater
& domine in Chriſto, binas ſſeries ejv ſ dem Danſſiratis vestrae
per galeam Venetorum ſ v ſvepi ſſ e Fciveritis, Fingulam Romae
datam, alteram quoque Floremtia. Grati ſſima nobis Conte nta in ip
ſis Cordiali mente Percepimus requiſitio P. 649. ni Fiauidem Praeliba-
ta ſ anſſitatis Cum toto noſtro imperio laeto animo a ſſentire di ſpo
iti. Quis enim dignus illius lucis Videre Con tru ſſum magno defi-
drio Optandum? Parcat Deus illis, quibus non e ſt timor Dci, eamdem
Fanſſitatem Vexare. Curioam tanti boni operis merita adimplere.
Rogamus alti ſſimum, ut dignetur in praediſſis taliter di ſponere, ut

nulla interveniat Causa, quae obstat praelibatae Facultati ad inceptis
desistere, ut optatur.

Data Trapezundis mille imo quadringentesimo trigelimoquarto,
di decimo octavo octores temporaneas, non ex voluntate concilii.
Similiter autem alii duo ambasciatores hic remanentes debent Facere
opportune de expensis & aliis pro Congregatione praelatorum oriental-
is ecclesie Proul exililit promissum :quia talibus expensis & aliis non
in tempore debito factis, si quis ex ista causa defectus adveni-
at, nos de expensis nihil respondeere debemus. Datum in urbe nostra
Constantinopolitana, millesimo quadringentesimo trigelimoquinto, die
Vigesimosexto Novembris, sub sigillo nostro imperiali.

الترجمة العربية للنص :

ص ٦٤٨ قد جاء فى رسالة الإمبراطور حنا الرابع كومينيوس إلى البابا إيجينيوس الرابع " فيزر- أبتى الاقدس والسعيد ، وسيدى من المسيح ، أعلمكم بأننا تلقينا مجموعتين لقداستكم بواسطة أسطول البنادقة ، الأولى صادرة فى روما، ص ٦٤٩ والثانية من فلورنسا وكان مضمونها مسبباً لفرح عظيم لنا. ونحن مستعدون لقبول رغبات قداستكم. ومن يحلم أن يجعل نفسه مستحقاً بأن يرى بعينه هذه المنزلة الرفيعة ليغفر الله للذين ليس فيهم مخافة الله ويسببون الضرر لقداستك ، ودهشتهم من كل هذه الأعمال الصالحة التى تحققها ونتضرع لله تعالى أن يعطف علينا ويدبر الأمر بحيث لا يتعرض أى شئ مما تعزم عليه من الأعمال التى باشرتها قداستكم صادر عن طرابيزون فى ١/١ أكتوبر عام ١٤٣٤م " (١).

(١) من خلال الرسالة السابقة ، يمكن الاستنتاج بوجود مراسلات بين البابوية وإمبراطورية طرابيزون وخاصة الرسالتين التى خرجت إحداهما من روما والأخرى من فلورنسا . تتناول أمر اتحاد الكنائس الشرقية والغربية ، وجعل السيادة للبابوية على العالم، مستغلة فى ذلك حاجة الشرق للمساعدة أمام خطر الأتراك العثمانيين، ومن رساله الإمبراطور حنا الرابع كومينيوس إلى قداسة البابا إيجينيوس الرابع، يتضح من خلالها موافقته على كل الأعمال التى يباشرها البابا ويقصد بها أمر الاتحاد الكنس وفرحه لبلوغ هذه المنزلة . وتجدر الإشارة إلى قيام العديد من محاولات اتحاد الكنائس فى فترات سابقة وكانت تقوم أيضاً على وجود أخطار خارجية ، وجميع هذه المحاولات باءت بالفشل ، بما فى ذلك المحاولة التى تزعمها البابا إيجينيوس الرابع ، بسبب رفض الكنيسة الشرقية ورعاياها ما توصل إليه الغرب فى أمر الاتحاد وما زالت هناك محاولات لتحقيق هذا الاتحاد .
انظر ما سبق ، ص ١٦٧ -

الملحق الثاني : الإمبراطور البيزنطي قنسطنطين الحادي عشر باليولرجوس
يرسل سفارة برئاسة رئيس الحجاب ببلاطه إلى الإمبراطور حنا الرابع كومينيوس
عام ١٤٥١ م .

Phrantzes: Annales, PP. 206- 217.

نقلا عن :

Die quart Octobris eiusdem anni ab imperatore, domino P. 206.

meo, P. 207 ad principem Iberiae, Georgium Mepen, qui anobis
rex dicitur, et Iohannem Comnenum, Trapezuntis regem, missus sum
cum donis splendidis multoque apparatu, Cum viris nobilibus et Satel-
litio cum. hieromonachis et monachis, cum Psaltis et medicis, aliisque
quibus dam organa et alia instrumenta musica tractandi Peritisiuhi in
Iberiam Venimus, cuncti nos laeti exceperunt. P. 210, Trapezuntem ig-
itur ut veni P. 211, imperator his me verbis except : " domine legate ,
Faustum tibi nuntium impertire volo, nisi quod munus alicquod grati
animi rependas mihi necesse est." ad quae ego surgens eumque ado-
rans " deus" inquam" dies producat Sanctae maiestati tuae, qui nobis
quum multismodis benefacias, tum per istos nune nuntios benefacies,
verum nihil nos habemus dignum, quod rependamus sanctae . Maies-
tati tuae. " tum statim dixit mihi de morte Amuratis, narravitque, quo-
modo, eius Filius princeps Factus esset Confirmata , qualis etiam ante

huic domui Filius princeps Factus esset, et plurima sibi beneficia
 praestitisset, et pax rursum iuter insas esset confirmata, qualis etiam
 ante huic domui cum patre eiues intercessenat. quae ubi audiui, obmu-
 tui , Tantusque dolor me incessit. quam Si hominum mihi carissimor-
 um, mortem comperissem . deinde demisso animo "midepota", in-
 quam, " iste qui dem non gratus nuntiusest sedadm odum, etiat,
 acenbus tum ille" quomodo, virbone? " quia" inquam, " is, qui obiit,
 ameras se nexerat, urbrmqe satis tentavit,nec iam adorturus eamerat,
 Sed pacem quam bellum maluit,at quinunc Factus est ameras, iset iu-
 venis est et, apuero Christianorum inimicus, contumeliose eos habere
 minatusque dicere solebat, se, quum primum occasionem inve P. 212,
 nisset et regma potitus esset, Romonorum, imo Christianorum om-
 nivm imperium perditurum et deleturum et vero urbs nunc in angu's
 tiis est proprer prencipem mevm et imperatorem necens negnum adep-
 tum,cui de neditihas imperii grande aes alienum Solvendum est, Prop-
 ter expeditiones et donativa tum militibus, tum cunctis aulicis collata
 conflatum. quare temp oribus Placatis opusest, ut nebusad bellum ne-
 cessariiset adoneis se instruat, quod si deus propter peccata nostra
 Concesserit, ut nequam ille, iuvenili audacia etanimi Pravitate actus,
 urbem bello aggnediatur, nescio equidem, quid nobis Futurim sit pro-

fecto Felix nuntius foret , si iuvenem, quinunc ameras Factus est,
obiisse, nuntianes, siquidem pater eius alium Filium non haberet
seni e luctu oriretur aegrotatio, ex aegrotation deminutio vitae :
rium, nostra, autem interim omnia resitui et administrari Possent ut auc-
toritas imperatoris inde paulo honoratior evasura Fuisset" tum
rex Trapezuntius ita respondit " tu quum ipse sis unus presentibus et
peritis Viris illius aulae, melius utique ista novisti enimvero deus, qua
est Potentia, Frugi illum Faciet " his ego: magnas" inquam P. 213.
"gratias ago integritati et consilio potentiae tuae, quoniam non tantus
sum, quantum maiestas tua me putavit. " acceperam praeterea, ame-
rae, cuius ante mentio facta est, uxorem, despotae Serviae Filiam, Post
mariti mortem praeclaro et honorifico comitatu domum ad parentes re-
diisse, quum propterea quasdam non leves causas Trapezunte me man-
ere necesse esset, inventa navi, quae Cypolim Solvere Vellet. Transmisi
equos quosdam et pueros duo ab Iberorum rege captivos, quos Fece-
rat, mihi domatos, aliaque multa munerum genera a quibusdam Ibero-
liter in me collata, Scripsi quoque ad imperatorem, et dominum meum, tum
quae in Iberia Transgessissem, tum, quae Trapezunte transacturum me
confiderem, certiore eum Feci de rebus Omnibus, quae accider-
ant. dedi epistolas uni de nobilibus qui mecum erant, eumque dimisi

cohortatus . ut alteram imperatori statim, quam eum edorarel" tradenet . narraretque, coram omnia, quae ad nos pertirerent; alteram eidem die sequenti daret. Sceipta aulcem erat epislala hoc exemplo. " Salvus Trapezuntem delatus, ex hoc reg" mortem amerae cognovi, et amerissam, huius e Sorire repton, pul, P. 214 cre et honorifiae in patriam ad parentes neversam esse Si in matrimonium peteres Trapezuntiorum regis Filiam, cognationnis gratiam Speramustib " Factumiriab esslesia. si in P. 215, Medicos, orhanos et ecclesias pecuniam erogaris. hos tanto magis et Facilius concedetur tibi matrimonium Filiae despotae Serviae, amerissae inquam, Propter tuntailla officia et munera , quibus quotidie illi obligantur ecclesia , hieromonachi, monachi, universus denique clerus . ilud autem . quod Turcam maritum babuit, minime Singulane et, quoniam etiam Fudocia despoena, quae avi tui uxor fvit, ante turcam coniugem habuerat, Parvae et exilis regionis principem, cui etiam liberos pepererat....." quumii, qui literas portabant, salvi ad urbem appulissent die Maii 28, imperotor, qui Forte apros venabatur, cortior factrs. adve P. 216.

nisse quosdam ex Iberia, relictas venatione, la etabundus Palatium petiit, quo tempore tabellarii advenerunt, die 28 Maieadem nocte per

Somnum mihi sum et ipse adesse copoli, quumque Festinarem ad imperarem, genua eius exmplexurus, retineri ab eo et sub levare et oscin Salutare . experge factus, iis, qui circa me dormiebant, Somnium naravi , atque dixi, ut diei meminissent, imperator autem, dominus meus , ubi non ipse me sed e comitibus aliquem adesse animadvertit, et . priam legem epistolam, moestus Factus, segnitiam meam aegre tulit accusari . ubi autem alteram die sequenti legi meque ventum esse dicit, acquievit et laetitiae se dedit, Statimque rerum notitia instructam, Manuelem Palaeologum, cantacuzenae protostatorissae..... nulla alia res id coniugium impedit, nisi quod ante P. 217 rissa, Vivo etiam amara coniuge ad deum precata constituerat, Si deus quotandem cunque modo liberasset se e manibus impiorum, alii nemini per totam vitam nubere, Sed in castitate Virginali, quod odore staret vitae , Transigere et pro viribus des libesatori, Suo, Servire. Confeci igitur Coniugium in Iberia, ut dominus meus illius regis Filiam duceret noveram enim, connubium Ibericum Praestare Trapezuntio . namque ita mihi dixerat Iberorum rex : "nobis moris nostrum est , ut dunt Feminae viris, quibus nupturae sunt, sed viri Feminis. "

الترجمة العربية للنص :

وفى الرابع من شهر أكتوبر (سنة ٦٩٥٥) ١٤٥١م ، أرسلنى سيدى ، ص ٢٠٧ الإمبراطور إلى Georgius Mepe زعيم جورجيا " أيبيريا" الذى نسميه نحن ملكاً وإلى يوحنا كومينيوس ملك طرابيزون، فى مركب مهيب وبالهدايا الجزيلة وكان بصحبه رجال نبلاء وحراسة عسكرية ومع مجموعة من رؤساء الرهبان والمغنيين والأطباء وغيرهم . ولما وصلنا إلى جورجيا استقبلنا الجميع فرحين ص ٢١٠ ولما وصلت إلى طرابيزون ص ٢١١ استقبلنى الإمبراطور قائلاً : أريد ياسيدى السفير أن أقدم لك بشرى سعيدة ولكنى أريد منك المقابل ، فأخذ يحدثنى عن وفاه مراد Amurat وخلفه ابناً له وعن الصداقة التى نشأت بينهما وما قدم لهم من خدمات والسلام الذى استقر بين الطرفين منذ عهد والده . فقلت : " إن هذه ياسيدى بشرى سيئة لاسعيدة ، لأن الأمير الذى توفى كان شيخاً وهاجم المدينة لكنه أخيراً تراجع مفضلاً السلام^(١) .

أما هذا الذى خلفه فهو شاب وعدو للنصارى منذ صغره ولا يعاملهم إلا بالقسوة والشدّة ، ص ٢١٢ وأعلن أنه ما أن يستلم زمام الحكم وفى أول فرصة سيقضى على مملكة الروم بل على النصارى بأسرهم . ومدينتنا الآن فى أزمة لأن سيدى لم يتسلم السلطة إلا من عهد قريب^(٢) وعليه ديون كثيرة لما بذله من أجور وأموال للجيش ورجال البلاد وغيرهم . وهو فى حاجة إلى هدوء ليعد العدة للمعركة المقبلة ولو سمح الله بسبب خطايانا أن يهاجم المدينة ذلك الشاب

(١) يقصد هنا مهاجمه السلطان مراد الثانى لمدينة طرابيزون عام ١٤٤٢م والتى فشل فى اقتحامها .

انظر ما سبق ، ص ١٨١ .

(٢) ويقصد هنا بسيدى، الإمبراطور قنسطنطين الحادى عشر باليولوجوس .

الطائش^(١). لا أدري ماذا يكون مصيرنا وليتك بشرتني بوفاته لباستلامه السلطة ، وكان أفضل لنا لو لم يكن لوالده بنون أو مرض ابنه ومات لتضطرب أحوال مملكتهم ويستقر لنا الوضع فننصرف إلى شئوننا " فاجابني ملك طرابيزون قائلاً : " إنك من رجال وحكماء ذلك البلاط ولديك دراية بهذه الأمور^(٢) ، لكن الله سيمنحه من القوة ما يشاء " فأجبتة : ص ٢١٣ "شكراً جزيلاً لأنك أوليتني أكثر مما أستحقه من الاعتبار وكان قد بلغني أن زوجة الزعيم سابق الذكر ابنة أمير صربياً ، بعد وفاة زوجها عادت إلى ذويها في موكب فخم ولما اضطرتني الظروف إلى البقاء في طرابيزون لأسباب عدة ، وجدت سفينة مبحرة نحو القسطنطينية ، فانتهزت الفرصة وأرسلت عدداً من الخيول ورجال من الأسرى قدمها لى ملك جورجيا ، وهدايا كثيرة وغيرها قدمت لى بسخاء وكرم . وكتبت رسالة إلى سيدى الإمبراطور " قنطسنتين أعلمه كل ما حدث له فى جورجيا وطرابيزون . وسلمت أحد النبلاء رسالتين وأوصيته أن يسلمه الأولى حال وصوله ويقص عليه جميع أمورنا . أما الرسالة الأخرى فليسلمها فى اليوم التالى وهذا نصها : وصلت إلى طرابيزون بسلام وعلمت

(١) كان فرانسيس يعنى مهاجمة ، الشاب الذى خلفه السلطان مراد الثانى ، وهو محمد الثانى الذى تولى حكم العثمانيين منذ عام ١٤٥١ وحتى ١٤٨٠م .

- انظر ما سبق ، ص ١٨١ .

(٢) كان لمؤرخنا فرانتس بصفته رجل سياسى ، نظرة شاملة للأحداث ، وكان لنبأ تولى السلطان محمد الثانى على الأتراك ، أثر سئ لأنه شابا وباستطاعة استكمال الفتوحات خلفاً لأبيه مما يشكل خطراً على إمبراطوريته التى كانت تعاني من الديون آنذاك .

- انظر ما سبق ، ص ١٨٣ .

من ملكها ب وفاة الزعيم مراد ، ويسفر الأميرة فى موكب فخم ص ٢١٤ إلى ذوبها ، والآن أرى أنه يجدر بك ياسيدى أن نسعى إلى تزويج هذه الأميرة لعدة أسباب ذلك أنك لو طلبت الزواج من ابنة ملك طرابيزون لنت حظوه فى عين الكنيسة لاسيما ص ٢١٥ إذا وزعت الأموال على الفقراء والأيتام . فكم بالأحرى إذا تزوجت من ابنة زعيم صربيا صاحبة الأيادى البيضاء على الكنيسة والرهبان وجميع رجال الدين ، ولا عيب فى كون زوجها السابق تركيا . فايدوكيا زوجة جدك كان قد سبق لها أن تزوجت من تركى لا شأن له ... فارجوك ياسيدى أن توفد إلى رجلاً من ثقاتك لتدبير هذا الأمر ^(١) .

ولما وصل حاملوا الرسالة إلى المدينة كان الإمبراطور " قنسطنطين " فى رحلة حين ذاك . لكنه ما أن علم إن هناك ص ٢١٦ من جاء من جورجيا حتى ترك الصيد وهرع مسروراً إلى البلاط . ويوم وصلت الرسالة إلى الإمبراطور رأيت فى الحلم أنى فى القسطنطينية وقابلنى أحسن مقابله . ولما قرأ الرسالة الأولى حزن ، لكنه فرح وابتهج بقراءة الثانية و أوفد إلى زعيم صربيا ، مانويل باليولوجوس Manuel Plaeologus لينظر فى شأن الزواج ، ورحب ذوو الأميرة بالفكرة ولم يكن من عائق أمام هذه الزيجة ص ٢١٧ سوى أن الأميرة كانت قد نذرت أن تقضى بقية عمرها كراهبة إذا ما نجاها الرب من ايدى المسلمين

(١) يستشهد المؤرخ بزواج أيدوكيا كومينيوس ، أرملة الأمير التركى تاج الدين وزواجها من

الإمبراطور حنا الثامن باليولوجوس . .

- انظر ما سبق ، ص ١٨٣

وعقدنا العزم على الزواج من جورجيا لأننى فضلتها على مصاهرة
طرابيزون، وذلك أن ملك جورجيا قال لى " ليس من تقاليدنا أن تقدم المرأة
مهرأ لبعولها بل بعولها يقدمه لها (١) .

(١) لقد اتبعت طرابيزون سياسة جديدة بشأن المصاهرات الزيجية، فكانت أميرات أسرة كومينيوس ،
يقدمن مهرأ لبعولتهن بمن يتم اختيارهم سواء أمن المسلمين أم المسيحيين . حرصاً منهم على توفير
الأمن والمحافظة على إمبراطوريته . وكما اتضح كانت المصاهرات الزيجية التى أبرمتها طرابيزون مع
جيرانها لأمر سياسي وحتى تضمن عدم إغارتهم على ممتلكاتها وهذا التقليد يعد غير مألوف
أنداك . ولذلك فضل المؤرخ أن يتزوج سيده من الأميرة الجورجية ، لأن عاداتهم فى شأن الزواج مألوفة
على العكس من طرابيزون . ولم توجد أية إشارة إلى زواج قنستنتين من الأميرة الجورجية .
- أنظر ما سبق ، ص ١٨٣

-الملحق الثالث : استيلاء الأتراك العثمانيين على طرابيزون عام ١٤٦١م

-Ducae: Historia Byzantina, PP. 340- 343.

نقلًا عن :

Anno 6069 (Christi 1461) Classem birmium triremium P. 340 que
Circiter ducentarum naviurnque decem apparavit Labente vere Fretu-
mipse trans P. 341 vectus Prusam Bithyriae venit, cuncits consilii etus
ignarisi, circa quod mirabile quoddam neferam. doctor legisi Psius,
qui eti vdex iudicum co tempone erat, familiaritati, quae ipisi cum
principe intercedebat reverentiae etiam abeo sibi exhibitae confisus,
cum solus ei adesset, audacter Sciscitatur : domine, hunc exercitum
terra marique instructum quo movere iubes?

ille iratus eumintuetur, dixitque : heus tu, hoca me disce : si mihi
constanot barbae meae pilum unum arcani mei conscium esse, avul-
sum eum igne me crematurum , " tam dissimulatus ac iracundus natura
erat . huivs expeditionis Fama, non Solum qui lycostomium incolunt
Walachi,sed et caphat ini, Trapezuntii, Sinopen. ses et Aegaei maris
insulae , Rhodus Parvaeque ei circumiectae territi erant. Chios etiam
et lesbos quamvis vectiga les, eius inconstantem ac levem animum re-
formidabont, princeps Bithynia discedens Ancyram Galatiae petit, ubi
castra cum Posuisset, Sinopes principis filius cum donis quampluri-

mis ad eum apatre missus, servili eum more veneratur . Co miter
a principe susceptus. quaecunque patri sno abillo afferenda er-
ant,nuncii munus ipse apud parentem obiturus an divit; quque eiusmodi
Fuere:, Patti tva P. 342 . uintia Sinopem me velle : quasi sponte, nec vi
coactus , decesserit, Philippoples Praefecturam ipsi donabo, sin minus,
brevis ; veniam. classis interea pontice mari sinopem advenit. Filius Is-
maelis sinopes principis principis ad patrem profectus tyranni verbs
omnia retulit - classem vero Sinopem appulisse tyrannus certior fac-
tus, terrestr : quoque itinene eo contendit, I smael animi anceps, Si-
nope obvium et egreditur ac submisue adorat . a tyranno benigne Sus-
ceptus, iussusque omnes thesavras Sous auferre, equas , mulos, camels
ceteraque asportare, quaecunque in horreis et penu habebat., om-
nesque de illis quidquam contrectare vetiti, rebus ergo sinopensibus
rects constitutis, Praetore urbi uno mancipiorum Suorum imposito,
Armeniae interiora petit . interea praedictus princeps usun. Hassan
Persidis Fines montanos Cum Suis o ccupaverat , Viribusque inferior
quam ut acie concurrere cum tyranno posset, illic tempus transiqebat.
pergrata Armenia Phasique Flumire Superat,regiones quas dam
debellavit ilie alias cum Subigere non potuisset, transcurrit . montem

cancasum multo labore, cibariorum et necessariorum penuria artatus
 p. 343. superavit, colchosque devenit. Trapezuntem cum accessisset,
 illius Imperatori per nuntium duorum alterum, quod melius esset, eli-
 gen dum proponit, aut omnibus thesauris suis argenti, aur aeris cetera-
 rumque rerum, servis etiam et ancillis, omnique alia suppellectile inte-
 gris, imperium tyranno relinquere; aut cum imperio ista omnia cum
 vita amittere his auditis imperator urbe exit illumque adorat. classis
 multis iam diebus Sinope. Solverat, et. Trapezuntem appulsa quotidia-
 nis praeliis urbem Frustra. tentaverat, donec Tyrannus terrestri itinere
 venisset. urbe itaque imperator, uxore ac liberis comitantibus, excessit
 et illum veneratus est. David Comnenus appellabatur, Alexii Comne-
 ni Filius, Iohannis decessoris sui frater. cum tota gente sua, Soceris,
 avunculis et nepotibus suis, Cumque Palatii nobilibus et Proceribus,
 Singulis suppellectilem suam secum auferentibus, immobilibus
 bonis relictis, copiam triremibus vectus est, Mehemetes Trapezuntis
 rebus rite composit, anno toto in illa expeditione transacto, reversus
 est.

الترجمة العربية للنص:

ص ٣٤٠ وفى عام ١٤٦١ م أعد السلطان محمد الثانى أسطولاً من مائتى سفينة . وفى الربيع ص ٣٤١ عبر الأسطول حتى وصل إلى بروسا ولا أحدىدرى مقاصده . وهنا أذكر نادرة عجيبة . وهى أن أحد المقربين إلى "السلطان" وكان قاضى القضاء ، انفرد ذات يوم به فانتهاز الفرصة وسأله " إلى أين ياسيدى بكل هذه الجيوش براً وبحراً ؟ " . فاستشاط غيظاً وقال : " اعلم يارجل ، أنى لو بلغنى أن شعرة واحدة من لحيتى علمت سرى لاقتلعتها وأحرقتها " وذاع خبر حملته هذه فذب الرعب فى قلوب الفلاخ من سكان Lycostomius وطرابيزون وسينوب وجزر بحر إيجه ورورى وما إليها ، وخيوس أيضاً وليزبوس كانتا تخافان من مزاجه المتقلب رغم ما تقدمانه من جزية ، ثم غادر من بيثينا وجاء إلى Ancyra فى غلطة حيث عسكر ، فقدم إليه ابن أمير سينوب بهدايا جزيلة . فرحب به وجعل منه رسولاً إلى أبيه قائلاً : بلغ أباك ص ٣٤٢ أنى أريد سينوب ، فإذا سلمينها طوعاً لا عنوة ، جعلته واليا على فيليببوليس، وإلا فأنا قادم على الفور " .

وفى نفس الوقت أمر الأسطول بالقدوم نحو سينوب . جاء هو إليها بجيش براً . فخرج أميرها لاستقباله فرحب به وأمره بتسليمه كل أمواله من مال وجمال وخيول وبغال وكل ما لديه وولى عليها أحد رجاله ومضى إلى أرمينيا والسقوقاز . ولم يوفق فى حملته هذه لقلّة المؤن إلى أن وصل إلى Colchi ص ٣٤٣ . ولما جاء إلى طرابيزون خير زعيمها بين أمرين، إما

تسليمه كل كنوزه من ذهب وفضة ونحاس وكل شئ بما فى ذلك العبيد والاماء وسائر المتاع ، أو فقدان كل ذلك مع الحياة فخرج الزعيم واستقبله وسجد له . وكان الأسطول قد غادر سينوب وبعد عدة أيام وصل إلى طرابيزون وحاول فتحها بلا جدوى ، لكن الطاغية بجيشه أخضعها براً وخرج زعيمها بصحبه زوجته وأبنائه وقدم له الولاء . وكان يدعى داود كومينيوس ابن الكسيوس كومينيوس وشقيق حنا الرابع . هو وذووه وحموه وأحفاده وأقاربه ووزرائه وأعيانه، تركوا البلاط وأملاكهم وحملوا متاعهم^(١) وجاؤا إلى القسطنطينية بحرأ . أما محمد فدبر شئون طرابيزون وأمضى تلك السنة كلها فى تلك الحملة .

(١) تظهر شخصية السلطان محمد الثانى فى تكتمه أمر حملته إلى طرابيزون ليضمن تحقيق ما يريد دون أن يأخذ عدوه غدرا ، لذلك أخفى أمر الحمله حتى على أقرب رجاله ، وأيضاً عند إقدامه للاستيلاء على منطقة مثل سيتوب وطرابيزون كان يضع خباران بين حكامها إما الاستسلام ومنحهم منطقة أخرى تدر عليهم أموالا تكفى نفقتهم ويكون بذلك تحت سيطرته وفى قبضته، أما فى حالة رفض هذا الأمر فليس هناك خيار آخر سوى الحرب ولقد أستخدم السلطان هذا الأمر ، ونجح فى تحقيق أهدافه فى الاستيلاء على طرابيزون أو سينوب دون الدخول فى قتال .
- أنظر ما سبق ، ص ١٩٩-٢٠٠ .

الملحق الرابع

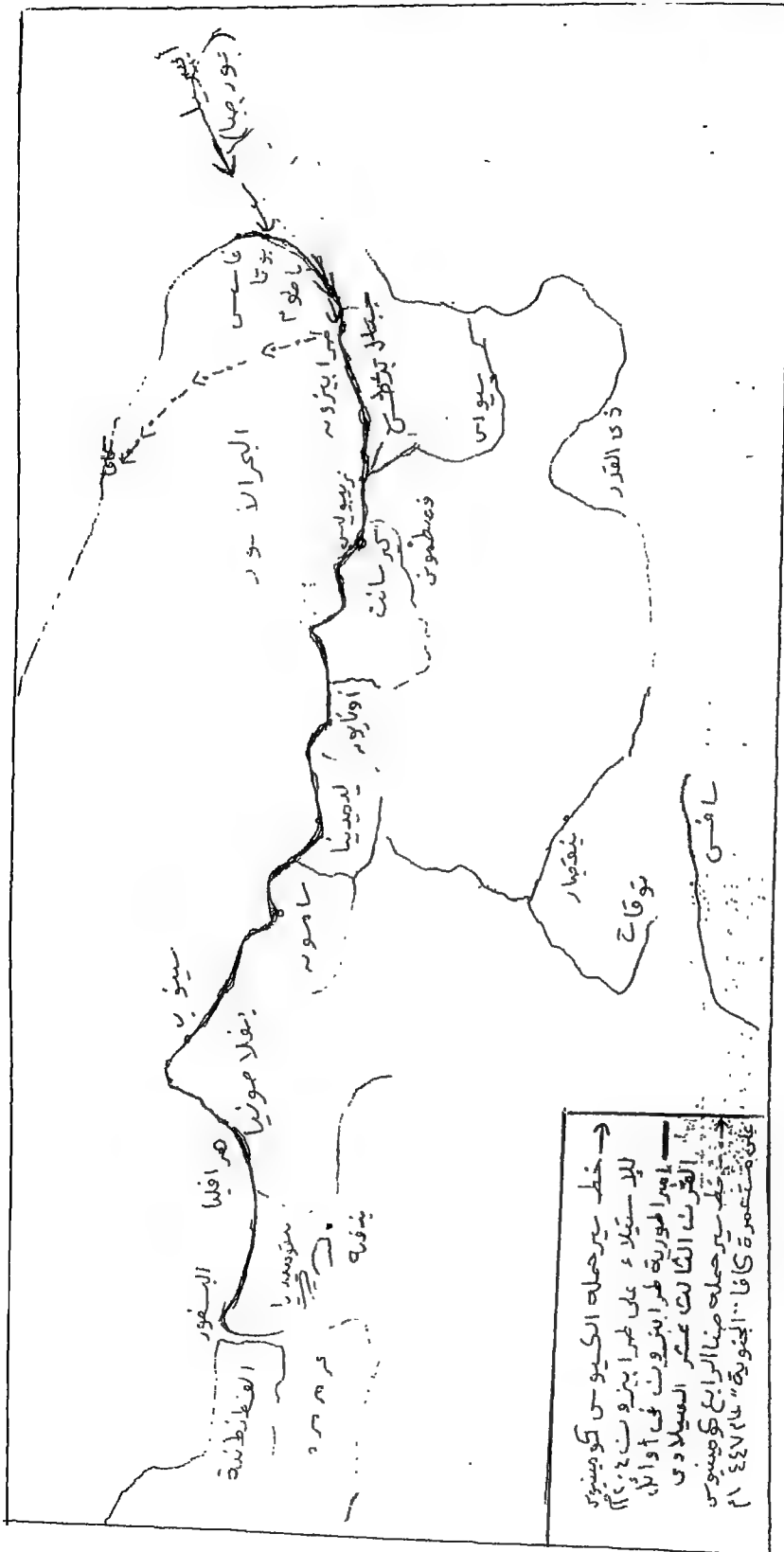
قائمة بأسماء أباطره طرابيزون من آل كومينيوس .

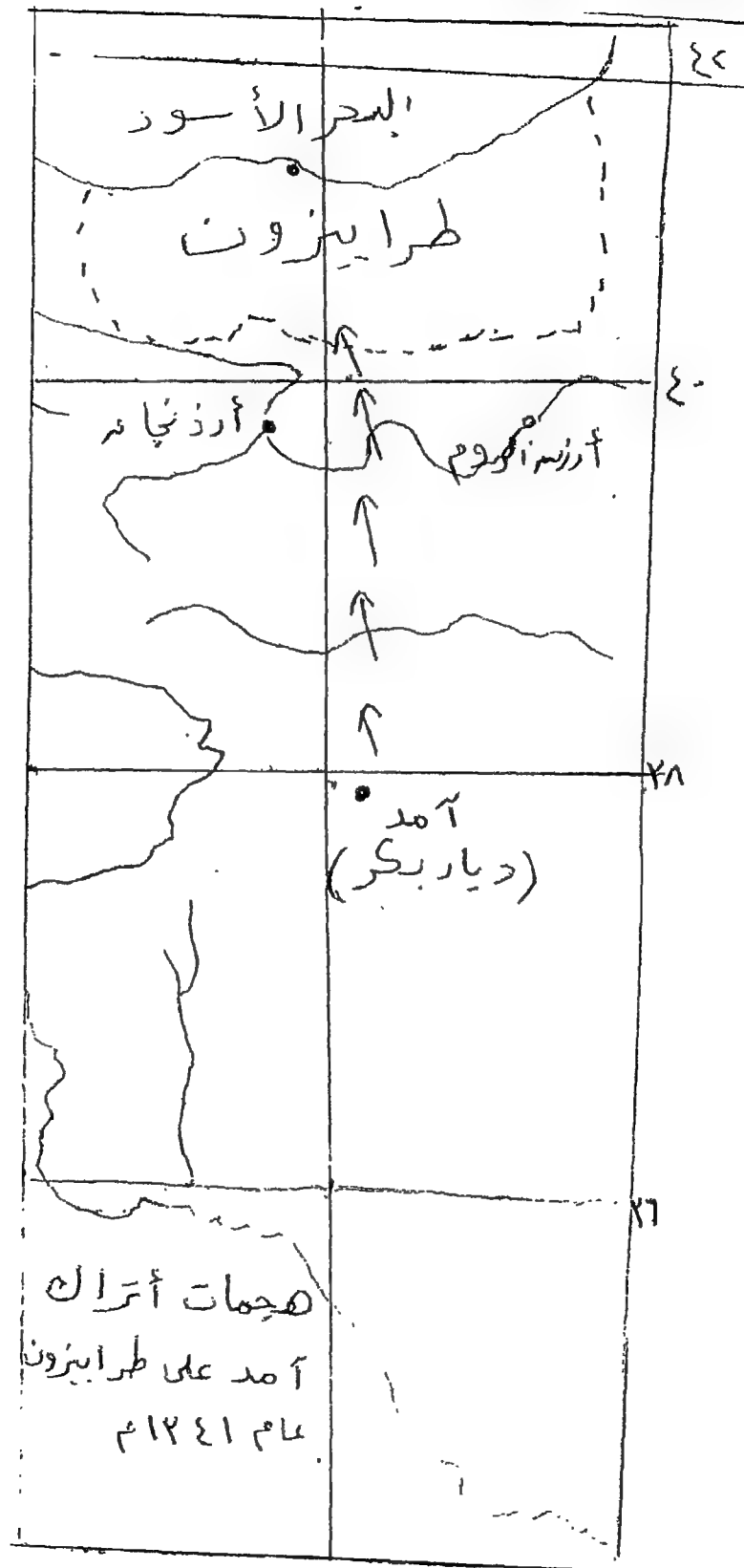
- الكسيوس الأول « ١٢٠٤ - ١٢٢٢ م » .
- أندرونيقوس الأول « ١٢٢٢ - ١٢٣٥ م » .
- حنا الأول « ١٢٣٥ - ١٢٣٨ م » .
- مانويل الأول « ١٢٣٨ - ١٢٦٣ م » .
- أندرونيقوس الثانى « ١٢٦٣ - ١٢٦٦ م » .
- جورج « ١٢٦٦ - ١٢٨٠ م » .
- حنا الثانى « ١٢٨٠ - ١٢٨٥ م » .
- ثيودورا « ١٢٨٥ - ١٢٩٧ م » .
- الكسيوس الثانى « ١٢٩٧ - ١٣٣٠ م » .
- اندرونيقوس الثالث « ١٣٣٠ - ١٣٣٢ م » .
- مانويل الثانى « ١٣٣٢ م » .
- بازيلوس « ١٣٣٢ - ١٣٤٠ م » .
- أيرنى « ١٣٤٠ - ١٣٤١ م » .
- آنا « ١٣٤١ م » .
- ميخائيل « ١٣٤١ - ١٣٤٢ م » .

- حنا الثالث . « ١٣٤٢ - ١٣٤٤ م »
- ميخائيل . « ١٣٤٤ - ١٣٤٩ م »
- الكسيوس الثالث . « ١٣٤٩ - ١٣٩٠ م »
- مانويل الثالث . « ١٣٩٠ - ١٤١٦ م »
- الكسيوس الرابع . « ١٤١٦ - ١٤٢٩ م »
- حنا الرابع . « ١٤٢٩ - ١٤٥٨ م »
- داود . « ١٤٥٨ - ١٤٦١ م »

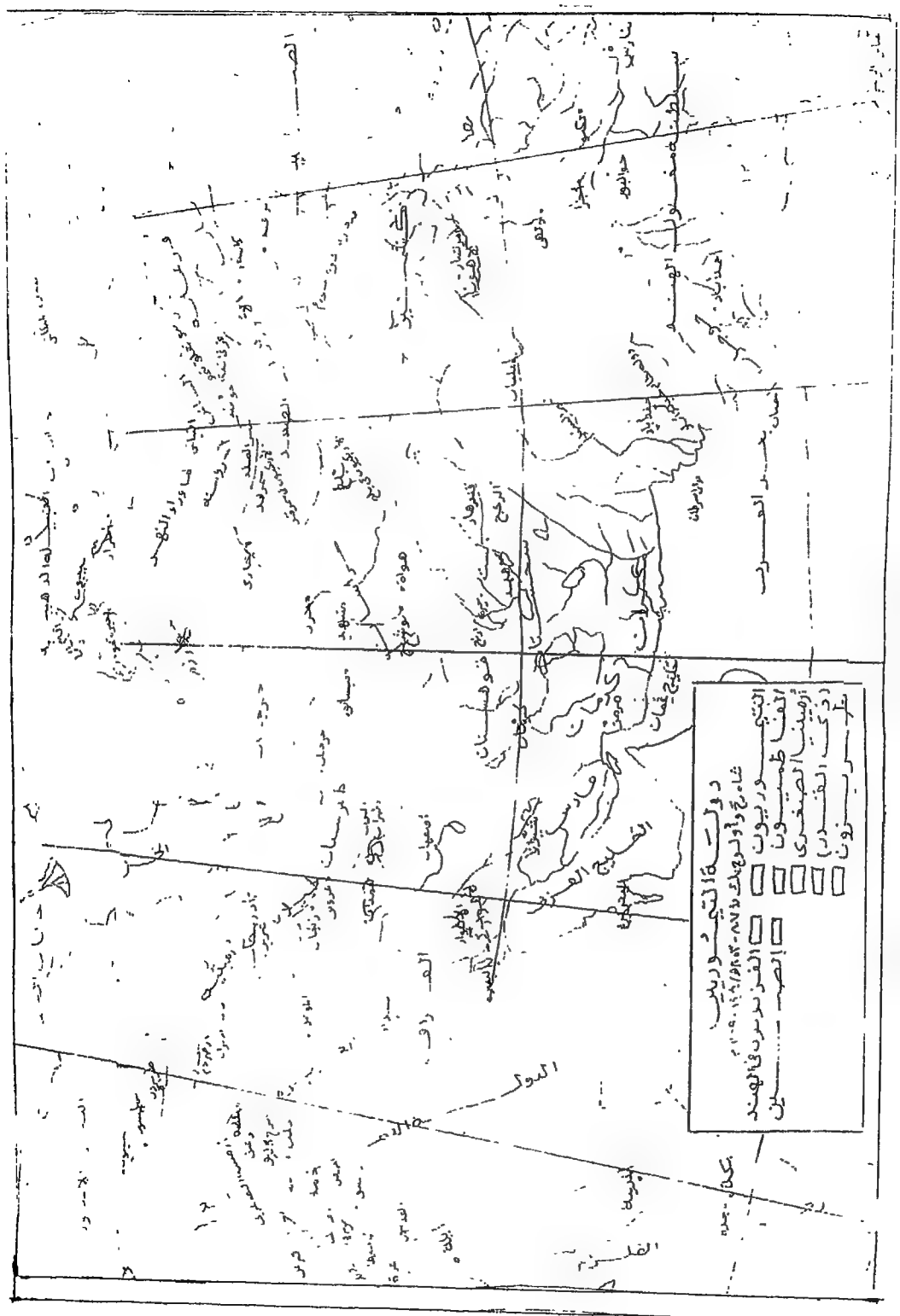
الخزائن

عمل الباحث

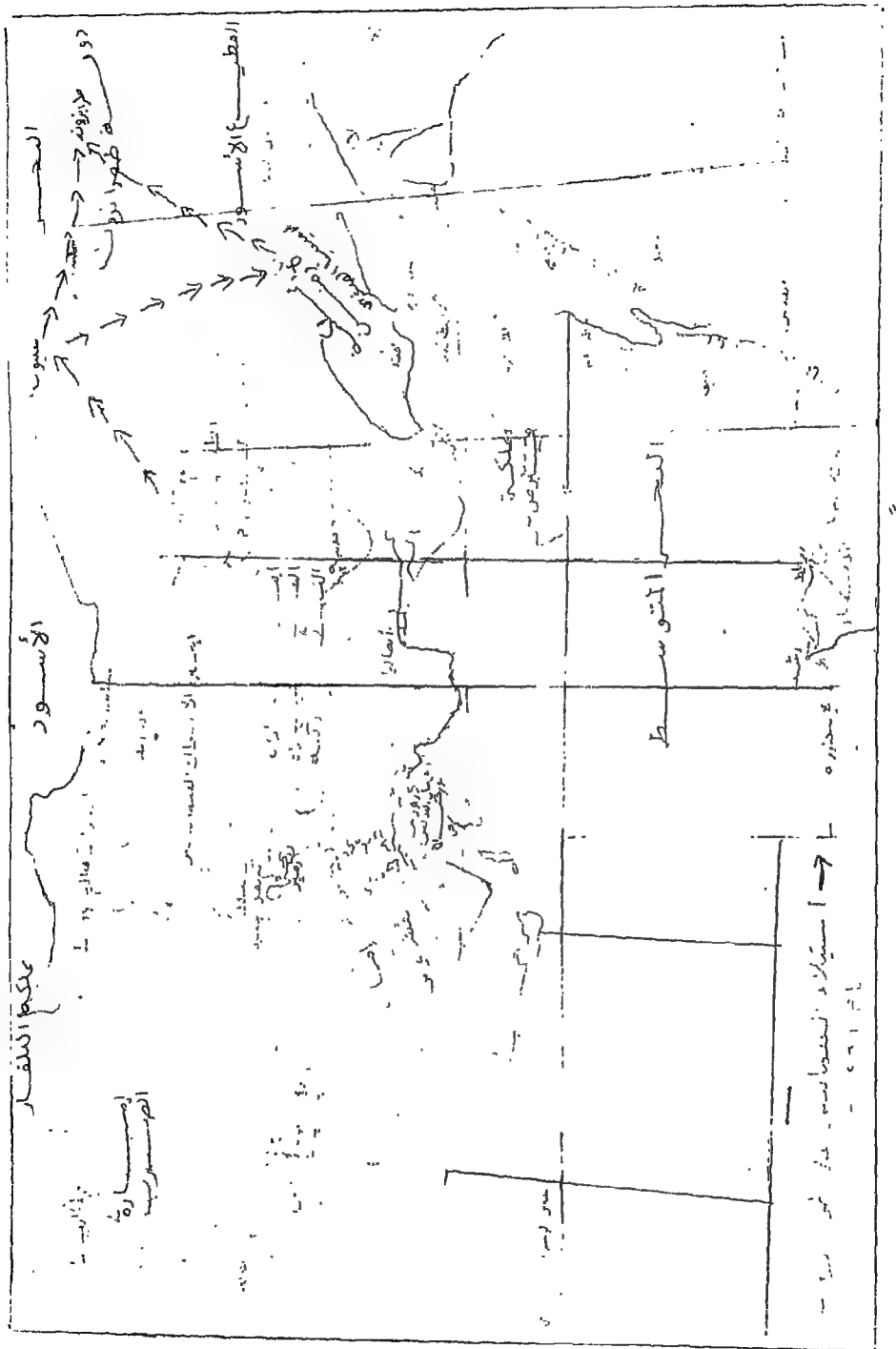




عمل الباحث



صين مؤنس: اُجلس التاريخ الاسلامي
تقلاً عن:



نقلاً عن :
صين مؤلفي: المجلس التاريخي الإسلامي

المراجع

بيان المختصرات

B . : Byzantion .

B. Z. : Byzantische zeitschrift.

Cam . Med . His :. Cambridge Medival History .

C.S.H.B. : Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae.

D.T.C. :Dictionnaire de Thèologie Cath olique.

J. A . : Journal Asiatique .

J. H. S. : Journal of Hellenic Studies.

O. C. P. : Orientalia Christiana Periodica .

O.D.B . : Oxford Dictionary of Byzantium .

P.G. : Patrologiae Graecae .

R. E. B. : Revue des etudes Byzantines .

SP. : Speculum.

أولاً: المصادر الأجنبية

-Acropolita, G.,

Annales, C.S.H.B. Bonnae, 1837.

-Chalcocondylae, L.,

Historiarum Libri, C.S.H.B, Bonnae, 1843.

-Choniates, N.,

Historia, C.S.H.B, Bonnae, 1835.

Duca, M.,

Historia Byzantina, C.S.H.B, Bonnae, 1834.

Fabric,

Gregorius Phantzes, Notitia, in Patrologiae Graecae,
Vol.156, Belgium ,1860.

Golubovic,

Biblioteca, Bio- Bibliografica, Della terra Santa Dell
O'riente Franciscano, T.V (Dal 1366 - AL, 1400) Collegio
Disbonaventura, 1927.

Gregoria, N.,

Byzantina Historia, C.S.H.B, Bonnae, 1829.

-Historia Politica et patriarchica Constantinopolis,
Bonnae, 1849.

Ioannes Bovinus,

Nicephori Gregoria, vita, opere, in Patrologiae Grae-
cae vols. 148- 149, Belgium, 1866.

Mansi, J.,

Sacrorum conciliorum nova et amplissima collectio,
Vol. xix, Paris, 1904.

Migne, J.,

Patrologiae Graecae, Vol. clx, Paris, 1866.

Miklosich, F., et Muller, J.,

Acta et Diplomata Graecae, Medii, Aevi Sacra et Profana, T.I. Vienna, 1860.

Norman, P., Tanner S.J.,

Decrees of the Ecumenical Councils, Vol :I,
Vatican, 1990.

-Pachymeres, G.,

De Michael et Andronico Palaeolois, Vol : II, in.
C.S.H.B. Bonnae 1835.

Phrantzes , G.,

Annales, in C.S.H. B, Bonnae, 1838.

-Romanin, S.,

Storia documentata di Venezia, T. III, Venise, 1913.

-Thomas G. Predelli, R.,

Diplomatarium, Veneto Levantinum, Pars, I, II, Venetiis, 1899.

-Wadding. G.,

Annle Minorum, Vols. IV, XIII, Florention, 1932.

ثانياً: المصادر العربية

- ابن الأثير :

(ت ١٢٣٤م / ٦٣٠هـ) على بن أبى الكرم محمد بن عبدالكريم محمد عبدالكريم ابن عبد الواحد الشيبانى المعروف برين الأثير الجزرى الكامل فى التاريخ ، ج١٢ ، المطبعة الأزهرية ، القاهرة ، ١٨٤٤م .

- ابن بيبى :

(ت ١٢٨٨م - ٦٨٤هـ) ناصر الدين يحيى بن محمد المعروف بابن بيبى : تاريخ سلاجقه الروم ، ترجمة من النص بمعرفة محمد منصور ، القاهرة ، ١٩٩٣م .

- ابن بطوطة :

« ت ١٣٠٧م - ٧٠٧هـ » أبو عبدالله بن محمد اللواتى الطنجى . المعروف بابن بطوطة : الرحله المسماه تحفه النظر فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت د.ت .

- ابن كثير :

« ت ١٣٧٣م / ٧٧٤هـ » عماد الدين أبو الفداء اسماعيل ابن عمر بن كثير القرشى الدمشقى : البداية والنهاية فى التاريخ ، ج١٤ ، بيروت ، ١٩٧٧ .

- اسماعيل سرهنك :

تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة/ حسن الزين ، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٨م

- جيوفرى فلهاردين :

فتح القسطنطينية ، ترجمة/ من النص الأصلى بمعرفة حسن حبشى ، جده ، ١٩٨٢ .

- روبرت كلارى :

فتح القسطنطينية ، ترجمة/ حسن حبشى ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

- طافور:

رحله طافور فى القرن الخامس عشر الميلادى ، ترجمة حسن حبشى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨م.

- فاسيلى بارتولد:

تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى ، ترجمة/ صلاح الدين هاشم ، الكويت ، ١٩٨١.

- تيقولوفاتان:

صعود العثمانيين « ١٤٥١ - ١٥١٢م » فى تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة/ بشير السباعى ، ج١-، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٣م .

- الهمذانى:

« ت ١٣١٨م / ٧١٨هـ » رشيد الدين بن عماد الدولة أبى الخير :

جامع التواريخ ، ج٢ ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

- ياقوت الحموى:

« ١٢٢٨م - ٦٢٦هـ » شهاب الدين أبو عيد الله : معجم البلدان ، ٥ أجزاء ، دار أحياء التراث العربى، بيروت ، ١٩٧٩ .

ثالثاً: المراجع الأجنبية

-Andreas, A.,

Deux Lives recent byzantine , By. Zetch, 1928.

-Babinger, F.:

1-Mehmed the Conqueor and his time, London, 1936.

2-Ledate la Prise de Trebizond Pars les Turcs, R. E.B. T.
VI. 1950

-Bailly . A,

Byzance, Paris, 1939.

-Balard, M,

Les Genoïs en Crimée Aux XIIIe -XIV Siecles,
Athena, 1979.

-Balkonov, N.,

Deux Monuments Byzantins des Trebizond,
Byzantion, 1932.

-Beldicean, N.,

TrebizondUn Registre Ottoman Athena, 1979.

-Brand, Ch,

Byzantium con Fronts the West, Cambridge. Mass, 1968.

-Bratianu, G. I,

Le Commerce Genoïs dans Mer Moine au XIII Siecle,
Paris, 1926.

-Brehir.L.,

1-Europe in the Middle ages Selected Studies, Vol . V, New York, 1977.

2-Vie et Mort de Byzance, Paris, 1947.

-Bryer, A.,

1-Greek historians on the Turks. Oxford, 1981.

2-The estates of the Empire of Trebizond, Twelfth Spring Symposium of Byzantine Studies, Athena, 1979.

3-Greeks and Turkmens, Cf, D.O.P.N. 20, Columbia, 1975.

-Bury . J. B.,

The eastern Roman Empire, Cam. Med . Hist . Vol :
IV , 1923

-Carroll, M.,

A Minor Matter of Imperial Importance in the Sphrantzes
Chronicle ,CF, Byzantion, 1979.

-Charles, Joseph Hefle ,

Histoire de Conciles, T. VIII, Paris, 1916.

-Creay . S.E,

History of the Ottoman Turks , Beirut, 1968.

-Creighton, M.,

A history of the Papacy. Vol : II, New York and
Bombay , 1897.

-Cuient , V.,

Turquie d' Asie, Paris, 1892.

-Darko. J,

1-Zumleben des laoniKos Cholkokondyles . B.Z.

T. XXIV, 1929.

2-Une Erreur Singuliere de Laonic Chalcocandyles, R.E.B.

T.xv.Paris,1957.

-Daru, L.,

Storia Della Repubblica di Venezie, T, II, Vetica, 1832.

-Dennis, S. J. :

The ByzantineTurkish Treaty of 1403. CF. O.C.P. Vol.

XXXIII, Rome, 1967.

-Diehl, Ch,

Histoire de L' Empire Byzantin, Paris, 1927.

-Dolger, Fr.,

Beitrage Zur Geschichteder, Byzantinischen Finan Zar Wal-
tung, und II, Byzant., Archiv, Leipzing, 1927.

-Draseke,

Von Diony iy sios Kloster auf dem Athos, CF. Byz, zeits
Chrft, II, 1893.

-Franzuis, E.,

History of Byzantine Empire Mother of Nation, New
York, 1967.

-Fatula . M. H.,

The council of florence and plur alism in Dogma, one in-
christ, Vol : XIX, Columbus, Ohio, 1983.

-Fallmeray er, J.,

Geschichte der halbinsel Morea, T. II. Buobanblung, 1836.

-Finlay, G.,

History of Greece, Vols. III, IV, Oxford, 1877.

-Geonoiptes, J,

Church, society and civilization, Trough century ages,
London, 1984.

-Gibbons, E.,

The Foundation of ottoman Empire, Oxford, 1916.

-Gill, J,

1-Greeks and latins in a Common council, the council of
Florence , 1438- 1439, CF. O.C.P. Rome 1959.

2-Church union Rome and Byzantium, London, 1979.

3-Genoa and Byzantine, Byzantinisch for schungen, Band,
X, 1985.

4-The sources of " Acta" of the council of florence cf.
O.C.P., Vol . XV, Rome, 1978.

Hakkert und Ekaegi, jr.,

Byzantinisch fors chungen iter national zeits chrif fur By-
zantiniatik , Amsterdam, 1985.

-Hammer, D.,

Histoire L' Empire ottoman, T . III, Paris, 1985.

-Hertzbergs,

Storia Bizantini E D' ell Impero Ottoman Sinvers la Fine del
XVI. Secolo, Milano, 1894.

-Inalcik, H.,

Closing of the black Sea under Ottoman, Athena, 1979.

-Iorga, N.,

1-Latins et Grecs d'orient et L' etablissement des Turs en
Europe. B. Z. 15 (1906).

2-Notes et extraits Pour Servir a L' histoine des Croisades au
XV Siecle, CF, Revue de L'orient latin , 1900-1901.

-Izzeddin, M.,

Notes Sur le margiages Princier en orientmoyen age, Cf.
J.A. 1969.

-Joinville,J.,

Histoire de Saint Louis , ed. Wailly, Paris, 1882.

-Jounannia , M.J.,

Turquie, Paris, 1840.

-Karpok, S.P :

The Empire of Trebizond and Venice , Twelfth Spring
Symposium of Byzantine Studies, Athena, 1979.

-Kitovoulos, P.,

History of Mehmed the Conqueror, New Jersay, 1954.

-Kntschmar,

The Councils of the Church, Philadelphia , 1906.

-Kursanskis, M.,

1-L'Empire de Trebizond et la Georgie , CF.R.E.B, T. 35,
Paris, 1977.

2-La descendance d' Alexis IV empereur de Trebizonde,
CF.R. E.B. T. 37, 1979.

3-The coinage of the Grand Komnenos Manuel I, Ath
ena, 1979.

-Laiou-Anglikie E.

1-The Byzantine Economy in the Mediterranean trade
System Thirteen th - Fifteen th Centuries , Cf. D.O.P. N.
34-35; 1981.

②Constantinople and Latins. The Foreign Policy of
Andronicus II (1282- 1328) Cambridge, Mass, 1972.

-Lamouche,C.,

Histoire de la Turquie depuis les origines Jusqu a nos jours,
Paris, 1934.

-Lampsidis .O.D;

1-Grand Comnene Paleologue, CF. R.E.BT. 42, Paris, 1984

2-Le titre MELAE Momaiho E . CF, Byzantion . T. IV .
Bruxelles, 1967.

-Leaf.W.

The Commerce of Sinope . cf. J.H.S. Vol . VIXXXV,
London, 1916.

-Lebeau,D.,

Histoire de L' Empire Byzantin, T: XX, Paris, 1835.

-Lopez,R.,

Medieval Trade in the Mediterranean World, London, 1955.

-Macrides, R.,

What's in the name, Megas Komnenos, Athena, 1979.

-Miller . W.,

1-Trebizond the Last Greek Empire, London , 1926.

2-The Last Athenian Historian Ioannikos Chalkokondyles,
CF. Journal of Hellenic Studies, T. XLII. 1922.

-Millet, G.,

Byzantine Painting at Trebizond, London, 1936.

-Nicol ,D.,

1-The Byzantine Family of Kantakouzenos.

Columbia. 1969.

2-The Byzantine Lady Ten Portraits, Cambridge, 1994.

3-The Immortal Emperor the life and legend of Constantine
Palaiologos last Emperor of the Romans, Cambridge, 1991.

4-Last Centuries of Byzantium, Cambridge 1993.

5-The Greeks and union of the Churches, Vol : VII., The
Report of Ogerius Protonotarius of Michael VIII Palaiolo-
gos, in 1820, CF, Variorum,1972.

6-The end of the Byzantine Empire, New York, 1949.

-Nystazopoulou,

La dernière Reconquête de Sinope par les Grecs de Trebi-
zond, Cf. R.F.B.Vol . XXXII, 1964.

-Ostrogorsky, G.,

History of Byzance state, Oxford, 1956.

-Pitcher , D.F,

An historical Geogrophy of the ottoman Empire From earli-
est time to the end of the Sixteen century, Leiden E. J.B
rill, 1972.

-Ramsay, W.M;

The historical Geograpy of Asia Minor, Amsterdam, 1967.

-Rice , T.,

Notice on Some Religious building in the city and Vilayes
of Trebizond, Byzantion, vol . V, Paris, 1930.

-Schff, .D,

History of the Christian Church, The middle ages from Bon-
iface VIII, 1294, to the protestant Reformation, Vol . VI,
NewYork, 1890.

-Schulumberger,G.,

Les siege la prise etle Sac de Constantinople, Paris, 1922.

-Texier, Ch.

Asie Mineure, Paris, 1961.

-Thiriet , Fr.,

Les Venitiens en Mer Noine, Athena, 1979.

-Tournebize , FR.,

Histoire Politique et religieuse L' Armenie, Paris, 1900.

-Troboyre, J.,

Ce qu' L Faut Cannaitre des Tures et de Leur histoire,
Paris, 1935.

-Vasliev, A.A.,

1-The Foundation of the Empire Trebizond,

Speculum, 1936.

2-Zur geschichte Von Trapezunte unter Justinian Grossen,

B.Z. 1929- 1930.

3-on The relationShip between the Empire of Trebizond,

Thamara. SP. Vol. XV , 1940.

4-Histoire de L' Empire Byzantin, Tom , II, Paris, 1932.

5-Peru Tafur . Aspania Traveler of The Fifteenth century, B.

Vol : VII, 1932.

-Vnyonis, S.,

Byzantine legacy and ottoman Forms, D.O.P. N. 23. Colum-

bia. 1969.

-Westerink, L.G.,

Le Profession de foi de Gregoire Chioniates, R.E.B.T. 38,

Paris, 1980.

-Zachariadou, A.,

Trebizon and Turcs " 1352- 1402" Twelfth spring sympo-

sium of Byzantine studes , Athena, 1979.

-Zakythions, A.,

Le Chrysobulle d' Alexios III. Comnenos Emperur de Trebi-

zond de en faveur de Venitiens, paris, 1932.

رابعاً: المراجع العربية والمعرية

- ابراهيم أنيس وآخرون

الموسوعة العربية الميسرة ، ج ٢ ، دار نهضة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٧ .

- ابراهيم خورشيد وآخرون :

دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٢ ، ٣ ، دار الشعب ، القاهرة . د.ت.

- أحمد شلبى (دكتور) :

موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، الطبعة الثالثة، ج ٥ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

- أحمد مصطفى :

فى أصول التاريخ العثمانى ، دار الشروق ، القاهرة ، (د.ت) .

- أرشيبالد - لويس :

القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط، ترجمة/ محمد عيسى ، القاهرة، (د.ت) .

- اسحاق مسعد :

نشأة الطوائف فى المسيحية ، القاهرة (د.ت) .

- أندرو ملر :

مختصر تاريخ الكنيسة ، ج ٢ ، مكتبة كنيسة الأخوة ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

- أومان (ش) :

الإمبراطورية البيزنطية ، ترجمة/ مصطفى طه بدر ، القاهرة ، ١٩٥٣ م.

- ايريس حبيب المصرى :

قصة الكنيسة القبطية من سنة ٩٤٨ - ١٥١٨ ، الطبعة الثانية ، ج ٢ ، القاهرة، ١٩٧٥ م.

- بطرس البستاني :

دائرة المعارف ، ج ٣، ٥ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د.ت .

- تلماز أوزنوس :

تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة/ عدنان سليمان ، ج ١ ، أسطنبول ١٩٨٨ م.

- جوزيف داهموس :

سبع معارك فاصله فى العصور الوسطى ، ترجمة محمد الشاعر ، الطبعة الثانية ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٩٢ م .

- جوزيف نسيم (دكتور) :
تاريخ الدولة البيزنطية ، مؤسسه شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٨٤ .
- حافظ أحمد حملى :
الشرق الإسلامى قبل الغزو المغولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٥٠ م .
- حسين مؤنس (دكتور) :
أطلس التاريخ الإسلامى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٨٧ .
- رأفت عبد الحميد (دكتور) :
١- العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٨٤ م .
- رنسيमान :
١- تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة/ السيد العرنى . الطبعة الثانية ، ج٣ ، دار الثقافة بيروت ، لبنان ، ١٩٨٠ .
- ٢- الحضارة البيزنطية ، ترجمه عبدالعزيز جاويد ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦١ .
- زبيده عطا لله (دكتور) :
الشرق الإسلامى والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين ، القاهرة ، ١٩٩٤ .
- سراييون :
مجلة الكرازة ، العدد ٣١ ، ٣٢ ، القاهرة ، ١٩٩٥ .
- سعيد هرجاوى :
الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسى والعسكرى ، بيروت ، ١٩٩٣ .
- صلاح حسين :
العراق فى التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣ .
- فايز اسكندر (دكتور) :
دراسه لاتفاقية تجارية بين إمبراطورية طرابزون والبنديقية عام ١٣٦٤م ، مكتب نشر الثقافة ، الاسكندرية ، ١٩٨٣ م .
- فايد عاشور (دكتور) :
العلاقة بين البنديقية والشرق الأدنى الإسلامى فى العصر الأيوبى ، دار المعارف ، ١٩٨٠ .

المراجع

- قاسم عبده قاسم (دكتور) :

ماهية الحروب الصليبية ، سلسلة كتب ثقافية ، الكويت ، ١٩٩٠ .

- كامل نخله :

سلسلة تاريخ البابوات بطاركة الكرسي الإسكندري ، مطبعة دير السيد العذراء ، السريان ، القاهرة ، ١٩٥١ .

- محمد قريد :

تاريخ الدولة العليا العثمانية ، دار النفائس ، القاهرة ، د.ت .

- محمد كوبريلي :

قيام الدولة العثمانية ، ترجمة أحمد سليمان أسطنبول . د.ت .

- محمود سعيد عمران (دكتور) :

١- تاريخ الحروب الصليبية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٩٥ م .

٢- معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، مدخل لدراسة التاريخ السياسى والحربى ، الاسكندرية ١٩٨١ م .

- موريس تاضروس وآخرون :

نحو نص عربى موحد لقانون الإيمان ، النيقاوى ، القسطنطين ، الاسكندرية ، ١٩٨٨ .

- نعيم فهمى (دكتور) :

طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

- هانز ماير :

تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمته عماد الدين غانم ، منشورات مجمع الفاتح للجامعات ، ليبيا ، ١٩٩٠ م .

- هايد :

تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ترجمة أحمد رضا ، ج ٣ ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤ م .

خامساً: المعاجم الأجنبية

- Collier's Encyclopedia, London, 1986.
- The Coptic Encyclopedia , New york , oxford, 1973:
- Dictionnaire de Thèologie Catholique , Paris , 1935.
- The Encyclopedia Americana, New york, 1829.
- Enciclopedia Cattolica, Romae, 1954.
- The New Encyclopedia Britiannica, London, 1973- 1974.
- Oxford Dictionary Byzantium, London, 1991.



0185523

1. The first step is to identify the problem or question that needs to be answered. This involves understanding the context and the specific requirements of the task.

RESEARCH